دروس من

رسالة أفسس

بقلم

الدكتور القس منيس عبد النور

مقدمة الرسالة

(١: ١، ٢)

المرسِل، والمرسَل إليهم، والتحية

القسم الأول

العقائدي التعليمي

(أفسس ١: ٣-٣: ٢١)

الفصل الأول: عمل الثالوث الأقدس في الفداء (١: ٣-١٤)

الفصل الثاني: صلاة بولس الأولى (١: ١٥-٢٣)

الفصل الثالث: إقامة المؤمن من موت الخطية (٢: ١-١٠)

الفصل الرابع: البعيدون الذين اقتربوا (٢: ١١-٢٢)

الفصل الخامس: بولس وسر الأمم (٣: ١-١٣)

الفصل السادس: صلاة بولس الثانية (٣: ١٤-٢١)

القسم الثاني

العملي التطبيقي

(أفسس ٤: ١-٦: ٢٤)

الفصل السابع: ضرورة الوحدة المسيحية (٤: ١-١٦)

الفصل الثامن: لبس الجديد (٤: ١٧-٣٢)

الفصل التاسع: السلوك الجديد (٥: ١-٢١)

الفصل العاشر: المجتمع الجديد (٥: ٢٢-٦: ٩)

الفصل الحادي عشر: السلاح الكامل (٦: ١٠-٢٠)

الفصل الثاني عشر: خاتمة الرسالة (٦: ٢١-٢٤)

مقدمة الرسالة

المرسِل، والمرسَل إليه، والتحية

(أفسس ١: ١، ٢)

«١ بُولُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ اللهِ، إِلَى الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ فِي أَفَسُسَ، وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. ٢ نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ».

أولاً: مقدمة عامة

رسالة أفسس

(أ) رسائل العهد الجديد:

الرسالة خطاب يرسله الرسول إلى شخص أو جماعة من الناس، بقصد خاص. وفي رسائل العهد الجديد نجد:

* رسالة موجَّهة إلى شخص – مثل رسالة بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس، أو تيطس ورسالته إلى فليمون

* رسالة موجَّهة إلى كنيسة معينة – مثل رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي أو كورنثوس، وهي رسالة خاصة تعالج حالة خاصة.

* رسالة موجَّهة إلى عدة كنائس، واسمها رسالة دورية بمعنى أنها تدور على كنائس مختلفة، فتقرأها كنيسة، ثم ترسلها إلى كنيسة أخرى.

ورسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس من النوع الأخير، فهي رسالة دورية.

والغرض من الرسائل متنوع:

* هناك رسالة تجاوب على سؤال أرسلته إحدى الكنائس إلى الرسول، مثل رسالة تسالونيكي التي أُرسلت تسأل الرسول عن الموتى الذين رقدوا قبل مجيء المسيح.

* وهناك رسالة تُصلِح خطأ وقع فيه أهل كنيسة ما، مثل رسالة كولوسي التي وقع أهلها فريسة تعاليم بعض المعلّمين الكذبة، أو مثل رسالة كورنثوس التي أخطأ أهلها في ممارسة عشاء الرب، وكانت حياتهم العملية ضعيفة.

* وهناك رسالة شكر على فضل، مثل رسالة فيلبي التي أرسلها بولس شاكراً على العون الذي قدَّمه أهلها له، من مال أعطوه، وشخص أرسلوه إليه لمساعدته أثناء وجوده في سجن روما.

* وهناك رسالة للتعليم والشرح، مثل رسالة أفسس

وبالطبع قد تجمع رسالة واحدة تعليماً؛ وشكراً؛ وتوبيخاً؛ وإجابة أسئلة.

ولما كانت رسالة أفسس دورية، فإنها لا تعالج حالة كنيسة واحدة، لكنها تشرح العقيدة المسيحية شرحاً عميقاً.. فهي رسالة تعليم وشرح، تخلو من الجدل والإشارات الشخصية.

(ب) مكان وزمان كتابة رسالة أفسس:

كتب بولس الرسول هذه الرسالة وهو سجين في روما نحو عام ٦٢م، وفي ذلك السجن كتب أربع رسائل هي رسائل أفسس؛ وفيلبي؛ وكولوسي؛ وفليمون.. حمل تيخيكس منها ثلاث رسائل، وحمل أبفرودتس الرسالة الرابعة إلى بلده فيلبي.

وتيخيكس الذي حمل الرسائل مسيحي من آسيا كان خادماً أميناً للرب، حتى اقترح بولس أن يرسله إلى كريت (تيطس ٣: ١٢) وأخيراً أرسله إلى أفسس (٢تيموثاوس ٤: ١٢).

ونلاحظ أن النسخ القديمة تحتوي على العبارة «إلى القديسين في..» والقصد من ذلك أن يوضع اسم الكنيسة التي ستقرأ الرسالة في هذا الفراغ، لأن الرسالة كما قلنا رسالة «دورية».

(جـ) موضوع رسالة أفسس:

تتحدث الرسالة كلها عن قصد الله الأزلي في فداء العالم، هذا القصد الذي أعلنه لنا المسيح، والذي تحققه الكنيسة..

وتنقسم رسالة أفسس إلى قسمين كبيرين، شأنها في ذلك أن كل رسائل بولس الأخرى. القسم الأول منها عقائدي تعليمي، والقسم الثاني عملي تطبيقي.

ففي القسم التعليمي نرى في الأصحاح الأول شرحاً لعمل الله الآب والابن والروح القدس في الفداء، ثم صلاة بولس الرسول طالباً أن يكشف الله للقراء رجاء دعوة المسيح..

وفي الأصحاح الثاني يتحدث الرسول عن طريق الخلاص من الخطية، ثم يشرح أن كل المؤمنين وحدة واحدة معاً كهيكل واحد مقدس للرب..

وفي الأصحاح الثالث يتحدث عن خدمته بين الأمم بعد أن أعلن الله له سراً هو أن الأمم الوثنيين شركاء في الخلاص. وبعدها يرفع صلاته الثانية لأجل المؤمنين من يهود وأمم.

وفي الأصحاح الرابع يتحدث عن ضرورة الوحدة بين المؤمنين لأنهم جميعاً واحد في المسيح، ثم يطلب منهم في النصف الثاني من هذا الأصحاح أن يخلعوا أعمال الظلمة ويلبسوا الحياة الجديدة.

وفي الأصحاح الخامس يتحدث الرسول عن ضرورة السلوك المسيحي، في المحبة، وفي النور، وفي التدقيق. وفي النصف الثاني من الأصحاح يتحدث عن واجب الزوج والزوجة.

وفي الأصحاح السادس والأخير من الرسالة يتحدث الرسول عن واجبات الأبناء والآباء، ثم عن واجبات العبيد والسادة. وفي النصف الثاني من الأصحاح يتحدث عن أسلحة حربنا الروحية. ويختم رسالته بالبركة.

ثانياً: المرسِل

(أ) الرسل أنواع:

نجد في الكتاب المقدس ثلاثة أنواع من الرسل:

(١) رسول مُرسَل بأية رسالة، فقد كان تيطس والأخ الذي معه رسولين من الكنائس (٢كورنثوس ٨: ٢٣)؛ كما كان أبفرودتس رسول كنيسة فيلبي (فيلبي ٢: ٢٥) حمل منها رسالة ومالا إلى بولس في سجنه.

(٢) وهناك رسول مرسَل للتبشير في كنيسة خاصة، ترسله كنيسة خاصة، كما كان برنابا وشاول رسولي كنيسة أنطاكية (أعمال ١٣: ٤-١٤).

(٣) وهناك رسول مختار، رأى المسيح بالعين وعرف الإنجيل من المسيح نفسه – وهذه هي الصفة التي طلبها الرسل في من يحل محل يهوذا الإسخريوطي (أعمال ١: ٢٢)؛ وهذا ما حدث مع بولس الرسول (أعمال ٢٦: ١٦).

(ب) إرسالية بولس:

يتحدث بولس الرسول على أن سلطانه الرسولي مأخوذ من رؤيته للمسيح؛ ولأن المسيح بذاته أعلن عن نفسه له، وكان التعليم الذي يعلّم به يأتيه مباشرة من الله، ولم يخبره به أحد من البشر (١كورنثوس ٩: ١، غلاطية ١: ١٢). وبولس رسول من الله، رأى المسيح، وسمع منه، وتلقى تعليماته منه. وهو كرسول ليسوع المسيح مِلك ليسوع، لا يملك نفسه، لكن يسوع يمتلكه.. ويسوع يرسله كما يرسل الملك الجيش لعمل عسكري، وكما يرسل السفير ليمثله، أو كما يرسل عاملاً ليقوم بعمل خاص به.. وبولس رسول يسوع المسيح يأخذ قوته وأجرته من يسوع الذي أرسله! كما يستمد سلطانه منه.

وعلى هذا فإن يسوع المسيح هو سبب إرساليته، وهو موضوعها، وهو وحده غايتها، وانتساب بولس للمسيح يعطي رسالته كل السلطان، ويرفع من مقامه ويزيده تواضعاً.

هو رسول «بمشيئة الله» ليس بمشيئة نفسه، ولا بمشيئة الرسل زملائه، ولا بحماسه وغيرته، ولا بدعوة من سامعيه. لكن الله هو الذي دعاه وأفرزه واختاره وأرسله حسب مشيئته!

ويحكي بولس الرسول حكاية رسوليته في غلاطية ١: ١٥-٢٠ ويقول إن الله هو الذي أعطاه العمل الذي يقوم به.

وأنت يا عزيزي القارئ رسول من الله إلى الذين تعمل بينهم.. صحيح أنك لا تنادي برسالة جديدة، لكنك توصِّل الرسالة القديمة إلى أشخاص جدد لم يكونوا يعرفونها. فلا تضع فاصلاً بينك وبين الله، أو بينك وبين مشيئته.. لكن اعمل جهدك في خدمته وعمل إرادته.. واعلن رسالة الله للمحيطين بك.

كاتب هذه الرسالة هو بولس الرسول، الذي كان قبلاً يحمل اسم شاول الطرسوسي، وشاول معناه «المطلوب والمرغوب فيه» أما بولس فمعناه «صغير». وقد جرى التغيير العظيم على حياة شاول حتى صار بولس في لقاء شخصي مع المسيح، عندما قابله في الطريق إلى دمشق، وتحدث معه وغيّر حياته. وقد ورد ذكر قصة تجديده ثلاث مرات في سفر الأعمال (أصحاحات ٩، ٢٢، ٢٦). في المرة الأولى رواها البشير لوقا، وفي المرتين الثانية والثالثة رواها بولس بنفسه.

ويقولون إن شاول الطرسوسي أخذ اسم «بولس» من اسم أول شخص ربحه للمسيح، كما كان القائد العسكري يأخذ اسم المدينة التي ربحها أو الموقعة التي كسبها في الحرب. وكان الوالي سرجيوس بولس أول من تجدد على يدي بولس الرسول في جزية قبرص، ونجد قصته في سفر الأعمال ص ١٣.

وهناك صلة قوية بين أهل أفسس وبين بولس، فقد نادى بولس برسالة المسيح في المجمع اليهودي في أفسس أثناء رحلته التبشيرية الثانية، ثم ترك هناك أكيلا مع زوجته بريسكلا ليكملا الكرازة بالإنجيل في أفسس (أعمال ١٨: ١٨-٢١).

وفي أثناء الرحلة التبشيرية الثالثة أقام بولس الرسول في أفسس سنتين وثلاثة شهور يعلم في مجمع اليهود، وفي مدرسة فيلسوف اسمه «تيرانس» وفي بيوت خاصة (أعمال ١٩: ٨-١٠، ٢٠: ٢٠) وكانت نتيجة خدمة بولس ناجحة إذ آمن كثيرون بالمسيح، فأحرقوا كتب السحر (أعمال ١٩: ١٩). ويظهر أن عدد المسيحيين كثر في أفسس بدرجة جعلت تجارة الأصنام تخسر الكثير من المال، فتضايق الصاغة بسبب ضياع مكسبهم وعملوا مظاهرة عظيمة (أعمال ١٩: ٢٤). وكانت نتيجة هذه المظاهرة أن اضطرَّ بولس الرسول أن يترك مدينة أفسس.

ولكن علاقة بولس بأفسس لم تنقطع، ففي طريق سفره توقَّف في ميليتس وأرسل إلى أفسس يستدعي قسوسها، فوعظهم وشجعهم أن يهتموا بالرعية (أعمال ٢٠: ١٧-٣٨).

وبقى بولس مهتماً بأهل أفسس فأرسل إليهم هذه الرسالة.. والأغلب أنه زار أفسس بعد سجنه الأول في روما، وترك تيموثاوس هناك ليشرف على العمل في الكنيسة (١تيموثاوس ١: ٣).

يقول بولس الرسول إنه «رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ اللهِ».

ويحكي بولس الرسول حكاية رسوليته في غلاطية ١: ١٥-٢٠ ويقول إن الله هو الذي أعطاه العمل الذي يقوم به.

ثالثاً: المرسَل إليهم
كنيسة أفسس

(أ) أفسس المدينة، وكنيستها:

بولس هو مؤسس كنيسة أفسس وأبوها الروحي الذي يهتم بها.. وأفسس مدينة هامة وغنية، بل هي أهم مدينة في آسيا الصغرى، وهي العاصمة، وتقع على شاطئ نهر الكايستر على مسافة ثلاثة أميال من البحر تجاه جزيرة ساموس. وقد بُني لها مرفأ صناعي مما جعلها ميناءً تجارياً.

وكانت أفسس مركزاً دينياً وثنياً عظيماً، وفيها هيكل أرطاميس وهو أحد عجائب الدنيا السبع، استغرق بناؤه ٢٢٠ سنة، به مائة عمود كل عمود منها تحفة أهداها أمير من الأمراء للمعبد. وكان ارتفاع العمود منها عشرين متراً. وكانت أفسس مركزاً لصناعة التماثيل الذهبية للإلهة أرطاميس (التي هي ديانا) وكانوا يقولون إنها نزلت من السماء. وقد اكتشفوا في الأيام الأخيرة نماذج فضية لهيكل أرطاميس تشبه ما كان ديمتريوس الصائغ يعمله!

وكان في أفسس مسرح عظيم فيه ٦٦ صفاً من المقاعد ويسع نحو ٢٥ ألف شخص، وهو المسرح الذي ذهب إليه الصياغ عندما احتجوا على بولس.

وكان اليونانيون قد احتلوا أفسس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، ثم حكمها بعد ذلك كورش ملك فارس والإسكندر الأكبر. وفي عام ١٣٣ قبل الميلاد حكمها الرومان.

في هذه المدينة العظيمة عمل بولس الرسول حتى صارت فيها كنيسة هامة، ويقول التقليد إن البشير يوحنا قضى السنوات الأخيرة من حياته يخدم في أفسس، كما كتب سفر الرؤيا وهو في جزيرة بطمس تجاه أفسس، وفيها رسالة مدح وتحذير لكنيسة أفسس. وصارت أفسس مركزاً مسيحياً هاماً، واجتمع فيها المجمع المسكوني الثالث عام ٤٣١م حضره كل آباء الدين المسيحي في العالم.

ولكن أفسس لم تحتفظ بمكانها بل تركت محبتها الأولى وسقطت! وملأ الطمي الذي يحمله نهر الكايستر الميناء، وفي عام ١٣٠٨ استولى الأتراك على أفسس، وتركوها خراباً. ويدعوها الأتراك «أفيس» وقد تحققت فيها تحذيرات السيد له المجد: «فَاذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى، وَإِلا فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزَحْزِحُ مَنَارَتَكَ مِنْ مَكَانِهَا، إِنْ لَمْ تَتُبْ» (رؤيا ٢: ٥).

وحالة أفسس هذه عبرة لكل من يسمع دعوة الله للتوبة ثم يهملها!
ولكنها في نفس الوقت ترينا عظمة عمل نعمة الله الذي أوجد كنيسة عظيمة في هذه البلد التي تعبد الأصنام. وإلى جوار هيكل أرطاميس عاش القديسون المؤمنون.

(ب) صفات المرسَل إليهم: قديسون، ومؤمنون

«إِلَى الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ فِي أَفَسُسَ، وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ»

(١) إلى القديسين:

يكتب بولس الرسول إلى «القديسين الذين في أفسس» .. وكل مؤمن بالمسيح يحسبه الله قديساً، ويجعله في مقام القديسين..
ولكننا نلاحظ أن المؤمن بالمسيح ليس دوماً في قداسة الحال. صحيح أن مقامه «قديس» فهكذا يدعوه الله، لكن حالته ليست دائماً حالة القديس. فعلى كل مؤمن أن يجاهد حتى يعيش العيشة التي تناسب مقامه في المسيح. ولكن من هو القديس؟

*** القديس هو المخصص المفروز للرب:**

القداسة هي تكريس الإنسان نفسه وماله وكل ما عنده من وقت وقوة وتفكير لخدمة الله. ليس المؤمن ملكاً لنفسه لأن المسيح اشتراه بموته من أجله، ودفع فيه ثمناً عظيماً.
عندما تستعمل وقتك فيما لا يُرضي الرب، أنت تبتعد عن القداسة! ولكن عندما تعطي كل وقتك لعمل إرادته تكون في حالة القداسة.

*** القديس هو الطاهر:**

وليس المقصود بذلك أن يكون الإنسان خالياً من الخطأ، فإنه لا يوجد كمال على الأرض. لكن المقصود أن يكون كل عزم الإنسان أن يحيا في طهارة. الطهارة هنا هي طهارة العزم. وهي طهارة القلب والداخل. قال الزعيم المسيحي الياباني المشهور كاجاوا «منذ أن عرفتُ قوة الله وتعمَّقت في معرفته، وأنا أرى قوة الشر تذبل داخلي، وقوة البر تقوى وتتعاظم».

*** القديس هو المرتفع:**

رأى إشعياء السيد الرب جالساً على كرسي مرتفع وعال، والملائكة حوله يهتفون: «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ» (إشعياء ٦: ٣). فالقداسة معناها الارتفاع فوق مستوى السلوك العادي.
وقد تحدث السيد المسيح عن رفعة المؤمن فوق مستوى البشر العادي، فقال لتلاميذه: «إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ» (متى ٥: ٢٠).
فهل أنت مخصص لخدمة الله ومفروز مكرس له؟
وهل أنت طاهر النيَّة والقصد؟

وهل تحيا حياة قداسة أفضل من حياة الذين هم حولك؟

(٢) إلى المؤمنين في المسيح يسوع:

«وَ(إلى) **الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ**». هم قديسون، وهم مؤمنون. لهم عنوان في الأرض (إنهم في أفسس).. ولهم عنوان آخر في السماء (إنهم في المسيح يسوع). ومع أن المؤمن يحيا في الأرض لكنه يحيا «في المسيح». فالمسيح سبب وجوده، ومصدر وجوده، وغاية وجوده. إنه يحيا «في المسيح يسوع».. «لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ» (أعمال ١٧: ٢٨).

ولكن من هو المؤمن؟

*** المؤمن هو الذي يصدق كلام الله:**

عندما يسمع الرسالة يقبلها على أنها رسالة من الله.. إنه يفعل ما فعله الرعاة الذين سمعوا إعلان الملائكة فقالوا بعضهم لبعض: «لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ هَذَا الأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمَنَا بِهِ الرَّبُّ» (لوقا ٢: ١٥). فقد صدقوا أن ما سمعوه هو «الأمر الواقع».

والمؤمن هو الذي يصدق بقلبه، كما فعلت ليديا بياعة الأرجوان، التي فتح الرب قلبها لتصغي إلى ما كان يقوله بولس (أعمال ١٦: ١٤).

فهل تصدق ما يقوله الرب حتى إن كنت لا تراه؟ «طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا» (يوحنا ٢٠: ٢٩).

*** المؤمن هو الذي يتكل على كلام الله ومواعيده:**

الكلمة «إيمان أو ثقة» معناها في اللغة الأصلية العَكَر الذي يستقر عليه السائل، فهي تعني وجود شيء جامد يسند شيئاً سائلاً. والإيمان هو الذي يسندنا. وهو الذي نقف عليه، ونجد فيه ما نتكل عليه.

وهذا ما أعانه المرنم في قوله: «أَصْعَدَنِي مِنْ جُبِّ الْهَلاَكِ، مِنْ طِينِ الْحَمْأَةِ، وَأَقَامَ عَلَى صَخْرَةٍ رِجْلَيَّ. ثَبَّتَ خُطُوَاتِي، وَجَعَلَ فِي فَمِي تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَةً لإِلَهِنَا. كَثِيرُونَ يَرُونَ وَيَخَافُونَ، وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى الرَّبِّ. طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي جَعَلَ الرَّبَّ مُتَّكَلَهُ» (مزمور ٤٠: ١-٤).

والإيمان هنا هو الصخرة التي أقام الله عليها المؤمن، وعدم الإيمان يشبه طين الحمأة الذي يغوص فيه الإنسان ويضيع!

ونجد هذا المعنى نفسه في قول الرب على لسان النبي إشعياء: «هَئَنَذَا أُؤَسِّسُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ امْتِحَانٍ، حَجَرَ زَاوِيَةٍ كَرِيماً، أَسَاساً مُؤَسَّساً. مَنْ آمَنَ لاَ يَهْرُبُ» (٢٨: ١٦). فيصبح ثابتاً صاحب رأي ممكَّن: «ذُو الرَّأْيِ الْمُمَكَّنِ تَحْفَظُهُ سَالِماً سَالِماً، لأَنَّهُ عَلَيْكَ مُتَوَكِّلٌ. تَوَكَّلُوا عَلَى الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ، لأَنَّ فِي يَاهَ الرَّبِّ صَخْرَ الدُّهُورِ» (إشعياء ٢٦: ٣، ٤).

*** والمؤمن هو الذي يمسك في يده وثيقة الملكية:**

فالإيمان «عقد امتلاك» فالكلمة اليونانية المترجمة إيمان تعني أيضاً «عقد مِلكيَّة» فقد كتب جندي روماني خطاباً إلى جندي صديق له في مصر يقول فيه إنه ورث بيت عمته بعد موتها، وإنه يرسل له عقد ملكية البيت. وكلمة «عقد ملكية البيت» هي نفسها كلمة «الإيمان»

الإيمان في قلب المؤمن هو عقد ملكية للبيت السماوي، ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين نفس هذا المعنى عن أبطال الإيمان: «فِي الإِيمَانِ مَاتَ هَؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا، وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ. فَإِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذَا يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ وَطَناً. فَلَوْ ذَكَرُوا ذَلِكَ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، لَكَانَ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلرُّجُوعِ. وَلَكِنِ الآنَ يَبْتَغُونَ وَطَناً أَفْضَلَ، أَيْ سَمَاوِيّاً. لِذَلِكَ لاَ يَسْتَحِي بِهِمِ اللهُ أَنْ يُدْعَى إِلَهَهُمْ، لأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً» (العبرانيين ١١: ١٣-١٦).

لم يأخذ هؤلاء الآباء أرض الموعد، لكن إيمانهم كان عقد ملكية بيت أبدي لهم في السماء. ونحن مثلهم قد يسألنا أحد: «كيف تعرفون أن لكم بيتاً سماوياً؟» ونحن نجاوب: لأننا نثق ونؤمن في قول المسيح له المجد: «فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً» (يوحنا ١٤: ٢، ٣). وقد سبق المسيح هذا بقوله: «أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَآمِنُوا بِي» (يوحنا ١٤: ١).

*** والمؤمن هو الذي يعيش بالأمانة:**

والكلمة إيمان وأمانة من أصل واحد، فالمؤمن هو الأمين في عمله، فيقوم به على أحسن وجه.. وهو الأمين في حياته، فيطيع كلمة الرب طاعة مخلصة.. وهو الأمين في وكالته، كوكيل صالح ليسوع المسيح، يتصرف في وقته وماله وصحته ونشاطه بما يُرضي الرب.

رابعاً: التحية

«نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»

بعد أن وصف بولس الرسول أهل أفسس أنهم مقدسون ومؤمنون في المسيح يسوع، أرسل إليهم التحية: «نعمة لكم وسلام». والنعمة هي سلام اليوناني لصديقه اليوناني.. أما السلام فهو تحية اليهودي لصديقه اليهودي. وقد جمع بولس تحية اليهود واليونان معاً.. فتلاقت تحيتا الشرق والغرب في يسوع المسيح.

كان اليوناني يرجو لزميله النعمة، وكان اليهودي يرجو لزميله السلام.. مجرد أمنية لا يقدر أن يحققها أيٌّ منهما لزميله. لكن بولس الرسول يعرف كيف تتحقق الأمنية.. إنها تتحقق في المسيح «نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح»

ونحن ننال النعمة والسلام من الله أبينا الذي هو مصدر وجودنا؛ والذي خلقنا على صورته لأنه أبو الأرواح؛ والذي ولدنا في عائلته بالولادة الثانية، وحسبنا بالتبني من أهل بيته.

وننال النعمة والسلام من الرب يسوع الذي جعل وصول النعمة والسلام ممكناً لنا.. وبدونه يستحيل أن نكون في سلام مع الله!

(أ) والآن ما هو معنى كلمة نعمة؟

*** النعمة هي «جمال الحياة»:**

كان اليوناني يرجو لزميله جمال الحياة، وهو يحييه بكلمة «نعمة» وكأنه يقول له: «صباح الجمال». فالنعمة معناها الجاذبية، كما قيل عن كلام المسيح ووعظه: «وَكَانَ الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ» (لوقا ٤: ٢٢).

ومن يعطي جمال الحياة غير يسوع المسيح؟ هو الذي يجمِّل الشفاه فتنطق بالكلام الصالح، ويجِّل الوجهَ بالفرح الذي يملأ القلب، ويجِّل الأيدي بعمل الخير، ويجمِّل الأقدام بالذهاب إلى بيت الله! وقد صدق أحد رجال الله عندما قال: «الله يدير صالوناً للتجميل» نعم! فإن الذي أفسدته الخطية وجعلته «لا صورة له ولا جمال» يجعله الله جميلاً إذ يعيد إليه الصورة الأولى التي خلقه عليها، وإذ هو حسن جداً، لأن الله خلق كل شيء حسناً وجميلاً. وليس شيء يجمِّل حياتك إلا نعمة الله!

*** والنعمة معناها «مجاناً»:**

وهذا واضح من كلام بولس الرسول في الرسالة عندما يتكلم عن الخلاص بالنعمة فيقول: «لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» (٢: ٨-١٠).

الخلاص نأخذه مجاناً، بعد أن نؤمن. وهذا الإيمان مجاناً لأنه عطية الله وليس من أعمال! (أفسس ٢: ٩). ويشرح بولس الرسول هذه الفكرة في رسالته إلى أهل رومية فيقول: «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرّاً». أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلاَ تُحْسَبُ لَهُ الأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ. وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ وَلَكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرّاً. كَمَا يَقُولُ دَاوُدُ أَيْضاً فِي تَطْوِيبِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَحْسِبُ لَهُ اللهُ بِرّاً بِدُونِ أَعْمَالٍ: «طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ آثَامُهُمْ وَسُتِرَتْ خَطَايَاهُمْ» (رومية ٤: ٣-٧)».

*** والنعمة معناها «لمن لا يستحق»:**

فالنعمة هبة مجانية يعطيها الله لشخص، ليس بسبب خير عمله أو سيعمله، وليس نتيجة استحقاقه، ولكن بسبب محبة الرب له. «وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ– بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ» (أفسس ٢: ٥).

قال الواعظ الإنكليزي سبرجون: «عندما أذهب إلى السماء سأتعجب من ثلاثة أشياء: سأتعجب لأني سأرى هناك أشخاصاً لم أكن أنتظر أبداً أن أجدهم هناك؛ وسأتعجب من عدم وجود أشخاص كنت أثق في وجودهم هناك؛ وفوق الكل سأتعجب لأني أنا نفسي هناك»!

النعمة إذاً هي جمال الحياة مجاناً لمن لا يستحق.. وهذا ما يمنحه المسيح لكل من يأتي إليه تائباً معترفاً بخطاياه.

(ب) وما هو معنى كلمة سلام؟

*** سلام تعني الاستقرار والاطمئنان**

الذي يحيا في سلام هو الهادئ المطمئن المستقر. تكون الحرب حوله، لكنه لا يخاف. أفضل وصف له هو ما قاله المرنم في مزمور ٢٣ عن أنه يأكل في اطمئنان على مائدة ربها الله، مع أن أعداءه يقفون تجاهه. إنه في سلام واطمئنان بغير خوف، لأن الله معه (مزمور ٢٣: ٥).

وقد رسم أحد الفنانين صورة للسلام، فرسم شجرة تعبث الرياح بأغصانها، وتحتها بحر هائج ترتفع أمواجه.. ولكن في وسط الصورة عصفور يغني بفرح، لأنه وضع عشه في صخرة وسط الجبل، لا تصل إليها الأمواج ولا تؤذيها الرياح!

فإن حصلت على سلام الله في قلبك تكون في طمأنينة، ولا تخاف شراً، حتى لو انقلبت الجبال إلى قلب البحار.

إن تطمُ حولي النائبات كاللج وسط البحر
يدُم سلامي في ثبات أساسه في الصخر
لا تقدر الدنيا تنيل هذا السلام الأسمى
كلا ولا عنا تزيل تلك العطايا العظمى!

*** السلام معناه عدم حرب:**

كان اليهود تحت نير الرومان فكانوا يثورون على الاستعمار، وكانت حروبهم كثيرة، فخلط بيلاطس دمهم في ذبائحهم مرة، وقتل منهم الرومان كثيرين، فكانوا يتمنون السلام لبعضهم دون أن يجدوه.. ونحن نحصل على السلام وعدم الحرب عندما نعيش مع المسيح الذي يُصلح حياتنا، فيصير أعداؤنا أصدقاء لنا..

*** السلام معناه الصداقة**

الصداقة هي إعادة الصلات المقطوعة مع أصحابنا، فنكون في سلام معهم. والصداقة تقــوى وتضعف بقدر ما يقوى السلام بيننا وبين أصحابنا أو يضعف.. والسلام القوي الذي يجيء من الله، يعطينا الصداقة القوية الصافية مع إخوتنا وأصحابنا وأهل بيتنا.

القسم الأول

القسم العقائدي التعليمي

(أفسس ١: ٣-٣: ٢١)

الفصل الأول

عمل الثالوث الأقدس في الفداء

(أفسس ١: ٣-١٤)

«٣مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، ٤كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، ٥إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، ٦لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ، ٧الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ، ٨الَّتِي أَجْزَلَهَا لَنَا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ، ٩إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ، ١٠لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، فِي ذَاكَ ١١الَّذِي فِيهِ أَيْضاً نِلْنَا نَصِيباً، مُعَيَّنِينَ سَابِقاً حَسَبَ قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ، ١٢لِنَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ، نَحْنُ الَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي الْمَسِيحِ. ١٣الَّذِي فِيهِ أَيْضاً أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمُ، الَّذِي فِيهِ أَيْضاً إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، ١٤الَّذِي هُوَ عَرْبُونُ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى، لِمَدْحِ مَجْدِهِ» (أفسس ١: ٣-١٤).

في هذه الآيات نسمع ترنيمة جميلة عن الفداء، تحدثنا في ثلاثة أعداد عن عمل الله الآب؛ ثم عمل الله الابن؛ ثم عمل الله الروح القدس في الفداء. وينتهي كل عدد منها بالقرار الذي يقول: «لمح مجده»

وفي هذه الآيات نقرأ عن نعمة بعدها نعمة أخرى ينعم الله بها علينا في المحبوب يسوع، فمن قبل تأسيس العالم دبر الله الآب الفداء، لمدح مجد نعمته، وفي الحاضر ينفذ الله الابن الفداء، ويضمنه الروح القدس، لمدح مجده!

وتربط أعداد ترنيمة الفداء فكرة واحدة هي «في المحبوب» (آية ٧) و«في المسيح» (آية ١٠) وفيه (آية ١٣) فإنه لولا المسيح ما تم الفداء، فإن لنا الآن في المسيح الفداء، بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته.

** أما عمل الله الآب في الفداء فهو أنه اختارنا في المسيح قبل إنشاء العالم (آية ٤)؛ وسبق فعيننا للتبني (آية ٥)؛ وجعلنا مقبولين في المحبوب (آية ٦) «لمدح مجد نعمته».

** وعمل الله الابن في الفداء أنه فدانا بدمه (آية ٧)؛ وأعلن لنا سر مشيئته (٨-١٠)؛ وفيه نلنا الميراث (آية ١١) لنكون «لمدح مجده».

** وعمل الله الروح القدس في الفداء أنه جعلنا نؤمن بكلمة الحق (آية ١٣)؛ ثم ختمنا (آية ١٣)؛ وهو عربون الميراث (آية ١٤) .. «لمدح مجده»!

تبدأ كلمات هذه الترنيمة الجميلة بالقول: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ» (آية ٣).

* في هذه الآية نجد التعبير «**مبارك الله**» والتعبير «**الذي باركنا بكل بركة**». والتعبيران مختلفان في المعنى، فالقول «مبارك الله» معناه أن الله يستحق أن نتكلم عنه كلاماً صالحاً، لأنه مشهور بالصلاح وسمعته حسنة. أما القول «الذي باركنا بكل بركة» فيعني أنه أعطانا السعادة والنجاح. وكأن الرسول بولس يقول: «نحن نمدح الله ونعلن للناس جميعاً صلاحه وحبه، ولا ننسى كل حسناته، لأنه هو الذي باركنا وأعطانا كل نجاح روحي بالفداء».

ونحن نمدحه لأنه أعطانا الفداء بأن نرنم له ترنيمة الفداء الجميلة التي نجدها في الآيات ٤-١٣. والله الذي نباركه ونمدحه ونمجده ونعلن للناس فضله، هو أبو ربنا يسوع المسيح، لأنه كشف لنا عن حبه في ابنه، وفيه أجزل لنا فضله.

* وهو باركنا نحن القديسين الذين في العالم، والمؤمنين في المسيح يسوع (آية ١). ومع أننا أخذنا جزءاً من البركة التي باركنا بها، وسنأخذ الباقي اليوم وغداً وبعد موتنا، إلا أننا نشكره ونقول إنه «باركنا» (بصيغة الماضي) لأن هذه البركات مضمونة بضمان وعده الصادق، ولأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة (رومية ١١: ٢٩)، ولأنه في قصده الأزلي قبل تأسيس العالم قد سبق وعيَّننا لنوالها!

* هذه البركات التي وهبها لنا «**بركات روحية**» بمعنى أنها من بركات الروح القدس وعطاياه؛ وبمعنى أنها تختص بروح الإنسان وليس بجسده. وهذا هو الفرق بين بركات العهد القديم والعهد الجديد. في العهد القديم كانت البركات جسدية، مثل «إِنْ شِئْتُمْ وَسَمِعْتُمْ تَأْكُلُونَ خَيْرَ الأَرْضِ» (إشعياء ١: ١٩ راجع تثنية ٢٨: ٣-١٦) – ولكن بركات العهد الجديد روحية «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ» (راجع متى ٥: ٣-١٢). وسبب الاختلاف أن البشر نضجوا ولم يعودوا أطفالاً في الروحيات.

ولما كنا نعلم أن هذه البركات روحية، فإننا نبيع كل شيء في العالم لنشتري هذه اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن (متى ١٣: ٤٦). وماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه (متى ١٦: ٢٦)!

* وهذه البركات الروحية **هي في السماويات:**

مصدرها من السماء ومن ساكن السماء، حيث المسيح صاحب السلطان الكامل (أفسس ١: ١٠). وهي تختلف في طبيعتها ونوعها عن بركات الأرض، فإن المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح (يوحنا ٣: ٦). إنها بركات محفوظة لنا في السماوات.

* وهذه البركات الروحية هي «**فِيهِ**» (في المسيح) ننالها إن كنا متحدين فيه وبه حسب قوله: «اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ» (يوحنا ١٥: ٤).

فهل تحتاج إلى غفران خطاياك؟ وهل تحتاج إلى راحة البال؟ وهل عندك مشكلة لا تجد لها حلاً؟.. يمكن أن تجد كل بركة روحية في السماويات، في المسيح!

أولاً: عمل الله الآب في الفداء
(أفسس ١: ٤-٦)

(أ) اختارنا قبل تأسيس العالم (آية ٤)

(ب) عيَّننا للتبني (آية ٥)

ج- أنعم علينا بالقبول في المحبوب يسوع (آية ٦)

(أ) الآب «اخْتَارَنَا فِيهِ (في المسيح) قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ»: (آية ٤)

من قبل إنشاء العالم اختار الله المؤمنين، لا بالنظر إلى نفوسهم بل بالنظر إلى قصده في حياتهم، وليس لأنهم قديسون، بل ليجعلهم قديسين. وقال المسيح لتلاميذه: «أَنَا أَعْلَمُ الَّذِينَ اخْتَرْتُهُمْ.. لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ» (يوحنا ١٣: ١٨ ، ١٥: ١٦).

والكلمة «**اختار**» معناها «انتقى من وسط مجموعة» فمثلاً اختار الله نسل إبراهيم ليكونوا قناة توصيل الحق إلى الأمم. وليس معنى اختيار نسل إبراهيم أن الله رفض الأمم الباقين، فإن هدف خلاص إسرائيل هو وجود الخلاص لجميع البشر. وهكذا يختار الله البعض ليؤمنوا، فيكونوا وسيلة توصيل الرسالة إلى الباقين، ليؤمن كل من يقبل ويخلُص.

كما أن الاختيار لا يعني تفضيل شخص على آخر، لكن معناه - في اللغة الأصلية - تعيين شيء خاص أو شخص خاص لهدف خاص! والمختارون يصيرون للرب ليستخدمهم في أغراضه الخاصة «لمدح مجد نعمته».

ولا يمكننا أن معرفة كل الأسرار المحيطة بالاختيار، فليس سهلاً على الفكر البشري الذي خلقه الله أن يدرك كل أسرار الفكر الإلهي الخالق. لكننا في تواضع نجيء إلى الكتاب المقدس

لنتعلم منه ما أعلنه الله من أسراره. فإن كان الله قد أعطانا الحياة الجديدة في المسيح فلنشكره على هذا الفضل الذي لا نستحقه، ولنشهد عن البركة التي أخذناها منه لنشارك فيها أكبر عدد من الناس.

أما إن كان القارئ لم يتمتع بالحياة الجديدة بعد، فليعلم أن الله اختاره ليقرأ هذه السطور ويسمع هذه الدعوة للخلاص، فيطلب من الله أن يعطيه الحياة الأبدية بمغفرة خطاياه. وكل من يطلب يجد، لأن الله لا يُخرج من يُقبل إليه خارجاً.

أما الذين يتعللون بأنهم لم يسلموا حياتهم للمسيح لأن الله لم يخترهم للخلاص فإنهم بلا عذر، لأن الله يبسط يده إليهم يدعوهم للخلاص، ولكنهم يعاندون!

*** والمسيح هو واسطة هذا الاختيار:**

فإن تغيير حياة الإنسان إلى حياة القداسة لا تكون باجتهاد الإنسان، لكن «في المسيح». قد يحاول الغريق أن ينقذ نفسه من الغرق بأن يشد شعره، لكن هذا لا يساعده، لأنه يحتاج إلى منقذ يجيء إليه من خارج الماء، ويسحبه إلى الشاطئ، بشرط أن يوقف الغريق كل محاولة لإنقاذ نفسه، بل يسلم نفسه للمنقذ الآتي له بالخلاص!

*** وزمن الاختيار هو «قبل تأسيس العالم»:**

وكلمة «تأسيس» في اللغة اليونانية معناها «خلق شيء من العدم» – فعندما لم يكن شيء مما كان، اختارنا الله! وهذا يعطينا الطمأنينة الكاملة، فإنه معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله (أعمال ١٥: ١٨) وكل شيء مرتَّب بعنايته الحكيمة، لذلك يقول الرسول: «وَلَكِنْ لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَماً» (غلاطية ١: ١٥، ١٦).

ما أجمل أن نعلم أننا كنا في فكر الله قبل تأسيس العالم «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ، مَعْرُوفاً سَابِقاً قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلَكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ» (١بطرس ١: ١٨-٢٠).

*** وغاية الاختيار فهي «لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة»:**

اختار الله المؤمنين للقداسة، فليس الاختيار للحياة الخالية من التدقيق، وليس هو ضماناً للمؤمن حتى يخطئ كيف يشاء بحجَّة أن الله اختاره!

بالعكس! إن الاختيار خير حافز للمؤمن لحياة القداسة، لأن الله اختارنا لنكون قديسين مفروزين مخصَّصين له، طاهرين من الدنس، مرتفعين عن المجتمع الذي نحيا فيه. وعلامة اختيارنا أننا نجتهد لنكون قديسين ونبذل كل ما نقدر عليه لنكون بلا لوم قدامه!

الموظف المؤمن الذي اختاره الله للخلاص والقداسة يعمل عمله كما للرب، والطبيب المسيحي يعالج المريض ليس باعتبار أنه حالة، لكن على أنه شخص مات المسيح لأجله.. وهكذا يحيا التاجر المسيحي والفلاح المسيحي والمزارع المسيحي.

وعندما يكون المؤمن قديساً في الداخل يظهر في الخارج أنه بلا لوم، وعندما يكون أساسه في القداسة يكون ثمره بلا لوم أمام الناس.

«وبلا لوم» معناه أن يصير الإنسان كالذبيحة التي كانوا يقدمونها للرب، خالية من أي عيب بعد أن يفحصها الكاهن ويقرر أنها صالحة «كُلُّ عَيْبٍ لاَ يَكُونُ فِيهَا» (لاويين ٢٢: ٢١).

وعلينا أن نحيا في القداسة بلا لوم، لأننا قدامه، تحت نظره حتى يرى كل شيء فينا. إنه مثل المفتش الذي يفحص الذبيحة. فلنحفظ نفوسنا لنكون بلا لوم، لأنه قريب منا يفحصنا في المحبة، وعيناه تخترقان أستار الظلام! ليس شيء فينا مخفياً عليه، بل كل شيء عريان ومكشوف لدى ذاك الذي معه أمرنا (عبرانيين ٤: ١٣). ونحن قدامه في المحبة، يصفهم الرائي بقوله: «هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللهِ وَيَخْدِمُونَهُ نَهَاراً وَلَيْلاً فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ» (رؤيا ٧: ١٥).

هل حققت قصد الله في حياتك، أن تعيش في القداسة، بلا لوم أمام الناس؟ لا يجب أن تكتفي بما أنت فيه، لكن يجب أن تسعى دوماً نحو الأفضل، وتحفظ ثوبك الأبيض لئلا يسقط عليه شيء من دنس العالم والخطية.

(ب) الآب عيننا للتبني (١: ٥):

يقول: «إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ». في هذه الآية نرى موعد التبني، وواسطته، والدافع إليه.

*** موعد التعيين للتبنّي**

سبق اختيارنا لحياة القداسة، وسبق تعييننا لشرف البنوية لله «لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ» (رومية ٨: ٢٩).

هذا التبني قديم «قبل تأسيس العالم مثل الاختيار تماماً.

والكلمة «عيَّن» معناها «تحديد مصير الإنسان من قبل ولادته». وإن كان الله قد سبق فعيننا لنكون أبناءه، فإن هذا معناه أننا يجب أن نكون على صورة المسيح، كما أن معناه أننا موضوع حبه، وورثة مجده.

وما أعظم الامتياز! كان يمكن أن يختارنا عبيداً في عمله، لكنه أعطانا مركز الأبناء! يُقال لنا: «لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضاً لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ!» (رومية ٨: ١٥).

*** واسطة التبني «بيسوع المسيح»**

ما كان يمكن أن نكون أبناء الله إلا بيسوع المسيح، كما هو مكتوب: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ (المسيح فادياً ومخلِّصاً) فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ، الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللَّهِ» (يوحنا ١: ١٢، ١٣).

ويوضح بولس الرسول أن المسيح هو واسطة التبني عندما يقول: «لأَنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ... وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ» (غلاطية ٣: ٢٦، ٤: ٤، ٥).

وهناك فرق كبير بين بنوية المسيح لله، وبنوية المؤمنين له. فالمسيح ابن الله قبل كل الدهور، وهو مساو للآب في الجوهر. أما بنويتنا نحن لله فهي من فضل الله علينا.

*** الدافع على التبني «حسب مسرة مشيئته»**

الدافع هو «حسب مسرة مشيئته» أي رضاه الكامل الذي لا يخضع لفكرٍ بشري، ودون حاجة إلى تقديم حساب عن عمله. فهو يتبنى الإنسان الساقط ليرفعه إلى أعظم درجة بفضل رغبته وحده، وحسب إرادته وحدها. لا فضل لإنسان أو ملاك في ذلك!

وقد قال المسيح لله في صلاته: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ، لأَنْ هَكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ» (متى ١١: ٢٥، ٢٦). ومسرة مشيئة الله صالحة دوماً، مرضية، كاملة.. لأنها تتبع من قلبه وعواطفه الطاهرة التي تريد كل الخير لنا.

وعندما نفكر في هذا المركز العظيم الذي رفعنا الله إليه ننحني قدامه في خضوع! لقد كنا أعداء للرب، لكنه جذبنا إليه، وصالحنا معه، ثم جعلنا أبناء له نتمتع بكل امتيازات الأبناء، ومن بينها الميراث في كل غِنى وبركات الآب السماوي! لم يكن ممكناً أن نرفع نفوسنا إلى هذا المركز العظيم، لكنه في رحمته منحنا هذا الامتياز.

وفي هذه المكانة الجديدة يتغير حالنا تغييراً كاملاً، وتسقط عنا الديون القديمة التي كانت علينا في الوضع القديم، ويصير لنا حق التمتع بكل امتيازات بيت الآب الجديد! فماذا نرد للرب من أجل كل حبه وفضله؟

لنضع نفوسنا في خدمته، وكل قوتنا لعمل إرادته، طاعةً له، في حب وثقة.

جـــ- الآب أنعم علينا بالقبول (١: ٦)

«لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ»

أنعم علينا بهذه النعمة كلها في المحبوب يسوع، وأعطانا أن نكون مقبولين فيه! والنعمة مجانية في أساسها، ليس لها دافع إلا نفسها! لا تستطيع الدموع أن تجعلها تعطي، ولا يقدر الإحسان أو الصلوات والأصوام أن يؤثر في دوافعها! والحصول على هذه النعمة مجاني لأنها لكل من لا يستحق، حيث أنها بفضل المحسن المعطي وحده. إنها نعمة مجانية في غايتها، لا تنتظر أجراً ولا شكراً.

وهذه النعمة – نعمة الاختيار ونعمة التبني – في «المحبوب» الذي نادت السماء مرتين تقول: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (متى ٣: ١٧، ١٧: ٥). هو «الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ» (كولوسي ١: ١٣).

* * *

أما قرار العدد الأول في الترنيمة الفداء هذه فهو «لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ».

سكان الجحيم وسكان السماء يندهشون. الملائكة والشياطين يستغربون. الأحياء المؤمنون والخطاة يسألون عن سر هذا الحب العجيب: لماذا يختار الله البشر الخطاة، الأعداء في القول والفكر؟

والإجابة: ليس لسبب إلا لمحبته، ونعمته الغنية المجانية التي يمدحها الجميع لأنها ترفع كل من يتمتع بها إلى المجد، لأنها صادرة من الإله المجيد العالي ساكن السماء! هو الذي أنقذ من الموت والهلاك، وقاد إلى التبني والخلاص. «وَيُتَعَجَّبَ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ» (٢تسالونيكي ١: ١٠) ونمدحه على ما عمل لنا، كما نمدحه في صفاته وشخصه، لأن ما حدث معنا نتيجة صلاحه الكامل.

ثانياً: عمل الله الابن في الفداء

(أفسس ١: ٧-١٢)

يذكر الرسول بولس ثلاثة أمور فعلها المسيح في فدائنا:

(أ) فدانا بدمه (آية ٧)

(ب) أعلن لنا سر مشيئته (آية ٨-١٠)

(جـــ) فيه صرنا ورثة الله، وصرنا ميراث الله (آية ١١، ١٢)

(أ) الابن فدانا بدمه (آية ٧)

«الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ». والفداء معناه تخليص العبد من عبودية الأسر وإطلاقه حراً..

كانت تجارة العبيد معروفة وسائدة زمن بولس لرسول، وكان تجار العبيد يحشرونهم ويربطونهم بالحبال والسلاسل ويبيعونهم. وفي بعض الأحيان كان شخص غني يجيء ويشتري بعض العبيد ويدفع ثمنهم، ثم يعطيهم حريتهم وكان اسم هذا العمل «الفداء».

والمسيح وجدنا في أسر الشيطان وعبوديته، فاشترانا بدمه وأعطانا الحرية، فصار لنا فيه الفداء. ويقول الرسول بولس: «لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ» (١كورنثوس ٦: ٢٠) ولذلك نسمع ترنيمة المفديين: «وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: «مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ» (رؤيا ٥: ٩).

ومعنى كلمة الفداء أن المسيح اشترانا لنفسه، فلا يعود يبيعنا مرة أخرى. كان تاجر العبيد يشتري العبيد ويبيعهم مرة أخرى، لكن المسيح اشترانا لنفسه لنكون له هو شخصياً. ولن يعود يعرضنا في سوق العبيد مرة أخرى. ويقول الرسول بولس « وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِن امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ. ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً: «يَا أَبَا الآبُ». إِذاً لَسْتَ بَعْدُ عَبْداً بَلِ ابْناً، وَإِنْ كُنْتَ ابْناً فَوَارِثٌ لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ» (غلاطية ٤: ٤-٧).

لم يكن الفداء مجاناً، فقد دفع المسيح ثمن الفداء: دمه! وهكذا أنقذنا من الشيطان الذي استعبدنا، ودفع كل تكلفة هذا الإنقاذ «الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (تيطس ٢: ١٤) «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ، مَعْرُوفاً سَابِقاً قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلَكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ» (١بطرس ١: ١٨-٢٠).

ما أعظم الفداء! صحيح أنه حسب غنى نعمته. فإن نعمته تمنح الغنى الروحي بوفرة وكثرة، حسب غنى الرب الذي يمنح.

*** وبالفداء غفران الخطايا..**

والخطية هي عدم إصابة الهدف. ولكن الله سامحنا على كل أخطائنا!

أخطأنا، وصار علينا حكم الموت «لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية ٦: ٢٣). ولكن الله وهبنا الغفران والفداء بالمسيح الذي أعطانا حياته، فأطلق الأسير حراً لأنه يقول: «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ» (إشعياء ٦١: ١).

والغفران هو الإعفاء من الذنب.. قد تغفر أنت لصديق أساء إليك، ولكن غفرانك لا يمحو ذنبه. أما غفران الله فإنه يمحو الذنب، ويعفي الإنسان من العقاب لأن المسيح تحمَّله في الصليب.

الغفران هو ارتداد غضب الله عن الخاطئ، فلا يعود يعاقبه.. والله بالغفران يرفع العقاب الذي يستحقه المؤمن التائب، فيعطيه راحة الضمير التي يحتاج إليها.

هذا الفداء، وهذه المغفرة هما «**حسب غنى نعمته**» وعلى قدر غنى النعمة يكون غنى الغفران، من المستوى السافل الذي سقطنا إليه، إلى المستوى العالي الذي يرفعنا إليه.

ما أعظم غنى الذي أعطى..

وعندما نمدُّ يد الإيمان نأخذ منه هذه النعمة، وعلى قدر إيماننا يكون لنا!

(ب) الابن أعلن لنا سر مشيئة الآب (آية ٨-١٠):

«نِعْمَتِهِ الَّتِي أَجْزَلَهَا لَنَا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ، لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ»

«**أجزل**» المسيح لنا نعمته، **أي** أنه أعطانا زيادة عما نطلبه أو ننتظره، فإنه «حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدّاً» (رومية ٥: ٢٠). وقد أعطانا هذه النعمة الزائدة بكل حكمة وفطنة.

* أما **الحكمة** فهي التصرف السليم في الوقت المناسب، وهي الصواب الناتج عن الخبرة والمعرفة، والمسيح في حكمته أجزل لنا النعمة.

* و**الفطنة** هي ممارسة الحكمة في العمل، واستعمال الوسائل الموجودة عندنا للوصول إلى الغاية التي نريدها. والمسيح بفطنة أجزل لنا النعمة.

ويقول بعض المفسرين إن معنى هذه الآية هو أن المسيح أجزل لنا نعمته العظيمة، ومنها جاءتنا الحكمة والفطنة، وبهذه الحكمة والفطنة نفهم سر مشيئة الله.. فيكون قصد الرسول أن الله أعطانا البصيرة الروحية لنفهم الأمور العميقة، ولنقدِّر بركات الفداء. وهذه كلها عطية نعمته، وبدونها لا نقدر أن نعرف «السر»!

«عَرَّفَنَا **بِسِرِّ** مَشِيئَتِهِ»: و«السر» في لغة العهد الجديد هو الأمر الذي لا نقدر أن نفهمه حتى يكشفه الله لنا. ويتَّضح هذا المعنى من قول بولس: «نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرٍّ: الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ - لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ. بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ. فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ» (١كورنثوس ٢: ٧-١٠).

فلبسرٌ هو ما كشفه لنا الله، لكن عظماء العالم لا يعرفونه، بل إنه لا يخطر على بالهم. فهو إذاً حقيقة مخفية عن أهل العالم، لكنها ظاهرة لأهل الإيمان، كما قال المسيح لتلاميذه: «قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا سِرَّ مَلَكُوتِ اللَّهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ فَبِالأَمْثَالِ يَكُونُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ، لِكَيْ يُبْصِرُوا مُبْصِرِينَ وَلاَ يَنْظُرُوا، وَيَسْمَعُوا سَامِعِينَ وَلاَ يَفْهَمُوا، لِئَلاَّ يَرْجِعُوا فَتُغْفَرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ» (مرقس ٤: ١١، ١٢).

وقد أعلن بولس سر الإنجيل لأهل أفسس: «مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُواظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، وَلأَجْلِي، لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلاَمٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ فَمِي، لأُعْلِمَ جِهَاراً بِسِرِّ الإِنْجِيلِ، الَّذِي لأَجْلِهِ أَنَا سَفِيرٌ فِي سَلاَسِلَ، لِكَيْ أُجَاهِرَ فِيهِ كَمَا يَجِبُ أَنْ أَتَكَلَّمَ» (افسس ٦: ١٨-٢٠).

وأسرار العهد الجديد التي أعلنها الله لنا هي:

١- **سر التقوى:** «عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ،» (١تيموثاوس ٣: ١٦)

٢- **سر الزيجة:** «هَذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلَكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ» (أفسس ٥: ٣٢)

٣- **سر شركة الأمم في الإيمان:** «أَنَّهُ بِإِعْلاَنٍ عَرَّفَنِي بِالسِّرِّ..أَنَّ الأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ، وَالْجَسَدِ، وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالإِنْجِيلِ» (أفسس ٣: ٣-٦).

٤- **سر قساوة اليهود:** «فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا هَذَا السِّرَّ لِئَلاَّ تَكُونُوا عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ حُكَمَاءَ. أَنَّ الْقَسَاوَةَ قَدْ حَصَلَتْ جُزْئِيّاً لإِسْرَائِيلَ، إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مِلْؤُ الأُمَمِ» (رومية ١١: ٢٥).

٥- **سر التغير:** «هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا وَلَكِنَّنَا كُلُّنَا نَتَغَيَّرُ» (١كورنثوس ١٥: ١٥)

٦- **سر الإثم:** «لأَنَّ سِرَّ الإِثْمِ الآنَ يَعْمَلُ فَقَطْ، إِلَى أَنْ يُرْفَعَ مِنَ الْوَسَطِ الَّذِي يَحْجِزُ الآنَ، وَحِينَئِذٍ سَيُسْتَعْلَنُ الأَثِيمُ، الَّذِي الرَّبُّ يُبِيدُهُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ» (٢تسالونيكي ٢: ٧، ٨).

٧- **سر بابل:** «وَعَلَى جَبْهَتِهَا اسْمٌ مَكْتُوبٌ: سِرٌّ. بَابِلُ الْعَظِيمَةُ، أُمُّ الزَّوَانِي وَرَجَاسَاتِ الأَرْضِ» (رؤيا ١٧: ٥).

كشف الله لنا بروحه **سر مشيئته**.. لما شاء أعلن لنا ما أعلنه، فالكل كان ويكون حسب مشيئته.

* **ومشيئته صالحة** لأنها «حَسَبَ مَسَرَّتِهِ». ومسرة قلبه هي في كل صلاح وخير وبركة وسعادة لأولاده.

* **ومشيئته مستقلة** «الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ» غير خاضعة لمشيئة شخص آخر، فهي حسب قصده هو، وحسب قراره الحر الذي ينبع من محبته وإرادته الصالحة.

أما **غاية هذا السر** فواضحة من قول الرسول:

«لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، فِي ذَاكَ» (أفسس ١: ١٠).

* و«**تَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ**» فيه الحكمة؛ والعناية؛ وبُعد النظر – كما قال الخطيب اليهودي ترتلس للوالي الروماني فيلكس: «وَقَدْ صَارَتْ لِهَذِهِ الأُمَّةِ مَصَالِحُ بِتَدْبِيرِكَ» (أعمال ٢٤: ٣).

وكلمة «**تدبير**» في اللغة اليونانية مركبة من كلمتين هما «بيت» و«قانون» فيكون التدبير هو قانون البيت. ولذلك يقول الكتاب عن شيوخ الكنيسة الصالحين إنهم «الْمُدَبِّرُونَ حَسَناً» (١تيموثاوس ٥: ١٧) لأنهم يدبرون بيت الله تدبيراً صالحاً.

والله الحكيم دبر بيته تدبيراً عظيماً. وتدبيره هو «ملء الأزمنة» أي أن كل زمان يقرّبنا من الزمان الأخير الذي فيه يكون كل شيء للمسيح، ما في السماوات وما على الأرض.

وهناك أزمنة مضت، وأزمنة قادمة. فمن التي مضت زمن ظهور المسيح وهو ظهور سر التقوى؛ ثم زمن الكنيسة وهو سر اتحاد المسيح بها؛ وفيه دعوة الأمم ليكونوا شركاء في الميراث. وننتظر قيامة الأموات، وحياة الدهر الآتي، وهو زمن القيامة الذي يجيء بعده جمع كل شيء في المسيح.

* «**لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ**»

يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد (يوحنا ١١: ٥٢) وتخضع له الملائكة والسلاطين وسائر القوات (١بطرس ٣: ٢٢). فيجتمع حول المسيح الذي هو الرأس والمركز «مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ» ويعود كل شيء إلى الحالة الأولى التي يخدم فيها مصالح الله، لتكون مملكة واحدة في السماء وعلى الأرض، ملكها المسيح. وحينئذٍ تكون سماوات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر.

* **أما السر نفسه فهو دخول الأمم في شركة الإيمان مع اليهود:** وهو ما يوضحه بولس في الأصحاح الثاني من هذه الرسالة من آية ١١–٢٢ وفي الأصحاح الثالث من آية ١–١٣ .

(جـ) في الابن صرنا ورثة الله، وميراث الله (آية ١١)

«**الَّذِي فِيهِ أَيْضاً نِلْنَا نَصِيباً**»: ففي المسيح صار لنا نصيب في المجد، لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل. كما أن هذه الآية تحمل معنى أننا صرنا نصيب الله، فنحن نصيبه، وهو نصيبنا. وهذا في المسيح مخلصنا.

وهو نصيب عيَّننا له «سابقاً» فهو ليس بالصدفة، ولا بحسب الظروف، لكن حسب الترتيب الإلهي الحكيم السابق «لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ» (رومية ٨: ٢٩). وهو تعيين «حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته». هناك قصد له رأي وتفكير وتدبير، وحسب مشيئة صالحة مستقلة، لا تتغير «كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ

مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ» (يعقوب ١: ١٦).

وحسب رأي مشيئته «شَاءَ فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلاَئِقِهِ» (يعقوب ١: ١٨). فهو ليس ميراثاً عارضاً، ولا بالصدفة، لكنه مدبَّر بحكمة، ولهذا فهو بلا ندامة وبلا تغيير. وهو مضمون لنا لأنه جاءنا «**حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ**». وما أجمل أن نثق في ذاك الذي لا يرفضنا بل يضمن لنا أن يكون الله لنا، وأن نكون نحن له، وهو يقول: «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي، وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يوحنا ١٠: ٢٧-٣٠).

* * *

ويختم الرسول العدد الثاني من هذه الترنيمة الجميلة بالقرار الذي يتكرر بعد كل جزءٍ من أجزائها الثلاثة، وهو «**لِنَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ**». صحيحٌ أننا نمدح مجد النعمة التي ظهرت فادية ومخلِّصة لنا!

قال أحد المؤمنين: «عندما وجدني الله في ضلالي كنت حجراً قذراً مهملاً لا أستحق الاهتمام، لكنه انحنى عليَّ وتنازل وأخذني إلى معمل نعمته، وبتأثير دمه الكريم صاغ مني شخصاً جديداً، فخرجتُ من يده حجراً كريماً. صحيح أني كنت خشناً، ولكن بعد سنوات من التهذيب والتلميع والتنعيم سأكون في النهاية أمام عرشه المجيد بلا عيب ولا دنس.. المجد له!».

وكل من سبق ووضع رجاءه في المسيح يكون لمدح مجد نعمة الله.

فهل تضع رجاءك فيه؟ وهل تحتمي في دمه الكريم؟

هل صار الله نصيباً لك، وهل صرت أنت نصيباً له؟.. ليت إجابتك تكون: «نعم».

ثالثاً: عمل الله الروح القدس في الفداء

(أفسس ١: ١٣، ١٤)

يفعل الروح القدس ثلاثة أشياء تقودنا لمعرفة المسيح الفادي والمخلّص:

(أ) يقنعنا بصِدق إنجيل خلاصنا (آية ١٣)

(ب) يختمنا (آية ١٣)

(جـ) هو عربون ميراثنا (آية ١٤)

(أ) الروح يقنعنا بصِدق إنجيل خلاصنا (آية ١٣):

«الَّذِي فِيهِ أَيْضاً أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمُ»

عندما يسمع الشخص «كلمة الحق» يعمل الروح القدس في قلبه ويجعله يجد في ما سمعه إنجيلاً (أي خبراً مفرحاً)، فيقبله ويفتح قلبه له، ويؤمن به، فيخلُص!

* «**إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ**»: «إِذاً الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ» (رومية ١٠: ١٧). تقع كلمة الله على القلب كما تقع البذار على الأرض، فيفتح الروح القدس القلب ليقبل الكلمة، كما فتح قلب ليديا لتصغي إلى ما كان بولس يقوله (أعمال ١٦: ١٤). ولما كان الخاطئ ميتاً روحياً في آثامه، فهو لا يسمع ولا يتحرك، ولكن الروح القدس يحيي في أذنه لتسمع، وقلبه ليقبل..

ويرى أنها كلمة الحق، فتصير «إنجيل خلاص» له.

والإنجيل هو الخبر المفرح، والبشارة السارة، وهو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن (رومية ١: ١٦)؛ وهو بشارة نعمة الله (أفسس ٦: ١٥)؛ وهو بشارة الملكوت (متى ٩: ٣٥). وعندما يقبل المؤمن الخبر المفرح يخلُص «لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ، وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ» (عبرانيين ٤: ١٢). هذه هي البشارة التي بها نصير «مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ» (١بطرس ١: ٢٣).

عندما وعظ بطرس يوم الخمسين قال لسامعيه: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسَطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضاً تَعْلَمُونَ. هَذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّماً بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ. الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ» (أعمال ٢: ٢٢-٢٤). وعمل الروح القدس في السامعين «فَلَمَّا سَمِعُوا نُخِسُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَسَأَلُوا بُطْرُسَ وَسَائِرَ الرُّسُلِ: «مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ؟». فَقَالَ لَهُمْ بُطْرُسُ: «تُوبُوا، وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. لأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلأَوْلاَدِكُمْ، وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ، كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلَهُنَا».. فَقَبِلُوا كَلاَمَهُ بِفَرَحٍ وَاعْتَمَدُوا، وَانْضَمَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ نَفْسٍ» (أعمال ٢: ٣٧-٤١).

(ب) الروح يختمنا (آية ١٣):

«الَّذِي فِيهِ أَيْضاً إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ»

آمن السامع لأن الروح القدس عمل فيه، ففتح قلبه لرسالة الإنجيل باعتبارها رسالة الخلاص. بعد ذلك يختمه الروح القدس تصديقاً على صحَّة إيمانه. وهذا الختم يعني أن:

* **الإيمان أصلي وصحيح:** فالوثيقة التي نختمها معناها أنها صحيحة. فقد ختموا الحجر الذي وضعوه على جب الأسود بخاتم الملك، وخاتم عظمائه (دانيال ٦: ١٧). ويقول الرسول بولس: «وَلَكِنَّ أَسَاسَ اللهِ الرَّاسِخَ قَدْ ثَبَتَ، إِذْ لَهُ هَذَا الْخَتْمُ. يَعْلَمُ الرَّبُّ الَّذِينَ هُمْ لَهُ. وَلْيَتَجَنَّبِ الإِثْمَ كُلُّ مَنْ يُسَمِّي اسْمَ الْمَسِيحِ» (٢تيموثاوس ٢: ١٩).

وعندما يختمنا الروح القدس يظهر أن الإيمان الذي أنشأته فينا كلمة حق الإنجيل صحيح وصادق. وعلى كل مؤمن أن يُظهر في حياته هذا الختم الروحي بالحياة المقدسة «اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضاً يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ» (رومية ٨: ١٦).

* **والختم يعلن الاسم ويذيعه:** فقطعة النقود المختومة بختم الدولة تذيع اسم هذه الدولة. كل من يتعامل بقطعة النقود هذه يعلم أنها تتبع تلك الدولة، وتذيع اسمها.

ونحن المختومين بختم الروح القدس يجب أن نذيع ونشهد للجميع أننا للمسيح، فنكون لمدح مجد نعمته. وقد قال المسيح لتلاميذه: «سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً» (أعمال ١: ٨).

* **والختم علامة الملكية:** وقد نادى الملاك: «لاَ تَضُرُّوا الأَرْضَ وَلاَ الْبَحْرَ وَلاَ الأَشْجَارَ، حَتَّى نَخْتِمَ عَبِيدَ إِلَهِنَا عَلَى جِبَاهِهِمْ» (رؤيا ٧: ٣). فالختم يعني أن المختومين هم مِلكٌ لله.

اشترى النبي إرميا حقلاً من ابن عمه، فكتب هذا في صك وختمه، وأشهد شهوداً أنه دفع ثمن ذلك الحقل (إرميا ٣٢: ٩، ١٠). فالختم كما نرى علامة الملكية. والروح القدس يختمنا علامة على أننا صرنا ملكاً للرب.

* **والختم علامة الضمان والحفظ:** «وَلَكِنَّ الَّذِي يُثَبِّتُنَا مَعَكُمْ فِي الْمَسِيحِ، وَقَدْ مَسَحَنَا، هُوَ اللهُ الَّذِي خَتَمَنَا أَيْضاً، وَأَعْطَى عَرْبُونَ الرُّوحِ فِي قُلُوبِنَا» (٢كورنثوس ١: ٢١، ٢٢).

وفي سفر أستير نقرأ أن الملك قال: «فَاكْتُبَا أَنْتُمَا إِلَى الْيَهُودِ مَا يَحْسُنُ فِي أَعْيُنِكُمَا بِاسْمِ الْمَلِكِ، وَاخْتُمَاهُ بِخَاتِمِ الْمَلِكِ، لأَنَّ الْكِتَابَةَ الَّتِي تُكْتَبُ بِاسْمِ الْمَلِكِ وَتُخْتَمُ بِخَاتِمِهِ لاَ تُرَدُّ» (أستير ٨: ٨)».

وكان أصحاب المخازن يغلقون باب المخزن ويختمون الباب، للحفظ والضمان. والروح القدس يختمنا علامة الحفظ، وعلامة أن الله ضامن إيماننا. وما أجمل أن يشعر المؤمن أن فداءه مضمون من الله الآب الذي دبَّره، والله الابن الذي نفَّذه، والله الروح القدس الذي يضمنه!

* **وهذا الختم بروح الموعد القدوس:** هو روح الموعد لأن الله وعدنا به بفم أنبيائه، كما قال الله على فم النبي يوئيل: «وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَماً، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى. وَعَلَى الْعَبِيدِ أَيْضاً وَعَلَى الإِمَاءِ أَسْكُبُ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ» (يوئيل ٢: ٢٨، ٢٩)». وقد وعد به المسيح تلاميذه، حين قال لهم:

«وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ» (يوحنا ١٤: ١٦، ١٧).

وهو الموعود به لكل من يخلص، كما قال بطرس في عظته يوم الخمسين: « لأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلأَوْلاَدِكُمْ، وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ، كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلَهُنَا» (أعمال ٢: ٣٩).

(جـ) الروح عربون الميراث (آية ١٤):

«رُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عَرْبُونُ مِيرَاثِنَا». وهذا يعني أن:

*** العقد صحيح:**

الذي يدفع العربون «يربط البيعة». والعربون معناه أن البيع والشراء صحيحان. والمسيح اشترانا بدمه، وأعطانا روح الموعد القدوس عربوناً وعلامة على صحة الشراء.

الروح القدس فينا ضمان لنا أننا سنرث الميراث الذي لنا من الله، فإن الروح عربون..

والروح القدس فينا ضمان لله أننا أصبحنا له، فإن الروح الذي سكن فينا عربون!

والروح القدس فينا يضمن لنا حقوقنا، ويضمن لله حقوقه.

والروح يحفظنا للرب، ويذكّرنا بكل مواعيد الرب لنا.

*** البقية تأتي:**

الذي يعطي العربون يعطي بعض الثمن، بوعد أن البقية تأتي بعد ذلك. والروح القدس فينا علامة أن الله سيكمل لنا البركات التي أعطانا أول جزء منها، فقد أعطانا الروح القدس الخلاص في مرحلته الأولى، وهو التجديد والولادة الثانية، كما أنه يعطينا الخلاص في مرحلته الحالية وهو التقديس. وفي النهاية ننال الخلاص في مرحلته الثالثة وهو التمجيد في السماء.

والروح القدس عربون وعلامة على أن التقديس يجيء بعد التجديد، وأن التمجيد يجيء بعد التجديد والتقديس. ويقول بولس الرسول: «وَلَيْسَ هَكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا» (رومية ٨: ٢٣).

سُكنى الروح القدس في قلوبنا هو أول قسط من أمجاد السماء، ولا بد أن الأقساط الباقية ستجيء بعد ذلك. ميراثنا الآن لم يكمُل بعد، وعربون الروح معناه أن كماله آتٍ في السماء.

* هذا العربون «**لفداء المقتنى**» **أي** لفدائنا نحن الذين افتدانا واقتنانا واشترانا فصرنا ملكاً له. «أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ» (١بطرس ٢: ٩) لأننا أعضاء الكنيسة التي اقتناها المسيح بدمه (أعمال ٢٠: ٢٨) «الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْباً خَاصّاً غَيُوراً فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ» (تيطس ٢: ١٤).

* * *

وينتهي العدد الثالث من هذه الترنيمة بالقرار «**لِمَدْحِ مَجْدِهِ**»

يقول الله إنه التصق بشعبه لأنه يحبهم، ويريدهم أن يكونوا له «شَعْباً وَاسْماً وَفَخْراً وَمَجْـداً» (إرميا ١٣: ١١)؛ كما يقول: «هَذَا الشَّعْبُ جَبَلْتُهُ لِنَفْسِي. يُحَدِّثُ بِتَسْبِيحِي» (إشعياء ٤٣: ٢١).

لمدح مجده اختارنا الآب، وعيَّننا للتبنّي، وجعلنا مقبولين..

ولمدح مجده فدانا الابن بدمه، وأعلن لنا سر مشيئته، وأعطانا الميراث..

ولمدح مجده أقنعنا الروح لنؤمن بكلمة الحق، ثم ختمنا، وأعطانا عربون الميراث.

فالمجد لإلهنا الواحد الآب، والابن، والروح القدس..

المجد للثالوث الأقدس صانع الفداء!

الفصل الثاني
صلاة بولس الأولى
(أفسس ١: ١٥-٢٣)

«١٥لِذَلِكَ أَنَا أَيْضاً إِذْ قَدْ سَمِعْتُ بِإِيمَانِكُمْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَمَحَبَّتِكُمْ نَحْوَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، ١٦لاَ أَزَالُ شَاكِراً لأَجْلِكُمْ، ذَاكِراً إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي، ١٧كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلَهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ، ١٨مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ، ١٩وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ ٢٠الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، ٢١فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضاً، ٢٢وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، ٢٣الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ».

بعد أن شرح الرسول بولس عمل الله المثلث الأقانيم في الفداء، رفع صلاة شكر لله لأن أهل أفسس قبلوا الفداء في قلوبهم، ولأن الفداء أثمر فيهم إيماناً ومحبة.. بعد هذا رفع صلاة يطلب فيها من الله أن يمنحهم نعمةً تقوّي إيمانهم قوة.

وتحتوي رسالة أفسس على صلاتين. وهذه هي الصلاة الأولى التي يرفعها بولس، وفيها نرى عمق الإيمان وعظمة الرجاء. وسوف ندرس صلاة ثانية رفعها بولس في نفس الرسالة (أصحاح ٣: ١٤-١٩) وفيها أيضاً نرى عمق الإيمان بالله، وعظمة الرجاء فيه وفي كنيسته.

* يبدأ الرسول صلاته بالقول: «**لِذَلِكَ أَنَا أَيْضاً** إِذْ قَدْ سَمِعْتُ بِإِيمَانِكُمْ» (آية ١٥). فنتيجةً لكل ما أظهره الله من نعمة، ونتيجةً لإيمانهم الذي أنشأه فيهم الروح القدس، يرفع الرسول صلاة شكر وصلاة طلب.

أولاً: صلاة شكر (أفسس ١: ١٥، ١٦)

* «سَمِعْتُ **بِإِيمَانِكُمْ** بِالرَّبِّ يَسُوعَ المسيح»

في مقدمة دراستنا لرسالة أفسس (في تفسير أصحاح ١: ١) رأينا معنى «الإيمان» أنه تصديق كلام الله؛ والاتكال عليه؛ وأنه وثيقة امتلاك السماء؛ والعيشة بالأمانة.

سمع بولس أن أهل أفسس صدقوا الكلمة الصادقة، كلمة الحق، إنجيل خلاصهم، فاتكلوا على المسيح المخلّص، وامتلكوا العربون الذي يضمن لهم الميراث والنصيب السماوي، وعاشوا بالأمانة لله والناس. لذلك يشكر الله على إيمانهم. وكما تثبّت المرساة السفينة على الشاطئ ثبَّت الإيمان بالرب يسوع المسيح قلوب أهل أفسس في كلمة حق الإنجيل.

* «**وَمَحَبَّتِكُمْ نَحْوَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ**»

كان إيمانهم عاملاً فأنتج محبةً في قلوبهم نحو جميع القديسين.. وفي هذه المحبة وُجد الإعزاز، والألفة، والمصاحبة، والمجاملة، والمسالمة، فإن المحبة تستر كثرة من الخطايا.

أحبوا «جميع» القديسين، حتى الذين يختلفون معهم في الميول والتفكير واللون واللغة والجنس.. وهذه علامة الإيمان الصحيح.. فإن كنا نحب الذين يحبوننا، ونسلّم على الذين يسلّمون علينا، فأي فضل لنا؟ إن الخطاة يفعلون ذلك (متى ٥: ٤٦، ٤٧). لكن المحبة الناتجة عن الإيمان تشبه محبة المسيح الذي أحب صالبيه، وصلى لأجل مبغضيه، وصنع الخير مع مقاوميه! هي مثل محبة السامري الصالح لليهودي المجروح الذي يختلف عنه في اللغة والدين، ولكنه أحبه وخاطر بنفسه في سبيله، وعمل معه الخير اللازم (لوقا ١٠: ٢٥-٣٧).

كان المسيحيون في القرون الوسطى يتمسكون بالإيمان ويهملون المحبة، فأحرقوا الذين اختلفوا معهم في العقيدة، وهم يظنون أنهم يفعلون خيراً. لكنهم كانوا مخطئين، فإن المسيح يعلمنا أن نحب «جميع» القديسين.

قد يقودنا التعصب للعقيدة إلى كراهية الآخرين الذين يختلفون معهم في العقيدة. لكن المحبة هي الفضيلة العظمى «أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ. هَذِهِ الثَّلاَثَةُ، وَلَكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ» (١كورنثوس ١٣: ١٣).

وفي صلاة بولس نرى أفضل نموذج للمحبة الناتجة عن الإيمان، لأن الذي يحب الآخرين يصلي لأجلهم. ونقترح عليك أنك حين تصلي لأجل الآخرين، وجِّه كلمات صلاتك للرب، آخِذاً في الاعتبار أن هؤلاء الآخرين لو سمعوك تصلي لأجلهم يفرحون بما تقوله لله عنهم. فهل قلبك عامر بالمحبة نحو الجميع؟ إن كنت في خصام «اذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ» (متى ٥: ٢٤).. فإنه «إِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضاً زَلاَتِكُمْ» (متى ٦: ١٥).

وهل تشكر الله من أجل الآخرين؟

رأى بولس نواحي الخير في المؤمنين فصلى شاكراً الرب على إيمانهم ومحبتهم. كان يمكن أن يفتح عينه على عيوبهم وينتقدهم (ولا بد أنه كانت فيهم عيوب). ولكنه نظر إلى الخير فيهم وشكر الله من أجلهم. فاجعل عينك بسيطة حتى يكون جسدك كله منيراً (لوقا ١١: ٣). لا تنظر إلى عيوب الناس فقط، فإن الذي يفتح عينه على العيوب فقط يتعب هو، ويُتعِب الآخرين.

ثانياً: صلاة طلب (أفسس ١: ١٧-١٩)

بعد أن شكر بولس، طلب. بعض الناس يطلبون وينسون أن يشكروا، لكن بولس يشكر أولاً ثم يطلب بعد ذلك.

يطلب من الله الذي هو «إِلَهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ». الله الذي نعبده هو الإله الذي عرَّفنا به ربنا يسوع المسيح. «اَللَّهُ (الآب) لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ (يسوع) الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ» (يوحنا ١: ١٨).

الله هو الإله الذي لا طريق له إلا ربنا يسوع المسيح، كما قال: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» (يوحنا ١٤: ٦). هذا الإله هو «أبو المجد» منشئ كل عظمة، ومصدر كل جلال، وسبب كل سلطا، ومنه وبه وله كل الأشياء! وهو الذي في مجده تنازل في المسيح.. الذي نراه في هذه الآية إلهاً وإنساناً معاً!

نرى هنا أن الله هو «إِلَهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ» والمسيح هنا هو «ابن الإنسان» ممثل البشر، الذي قال مع إخوته البشر: « أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ» (يوحنا ٤: ٢٢)؛ وخاطب الله قائلاً: « إِلَهِي إِلَهِي» (متى ٢٧: ٤٦)؛ وقال للمجدلية: « إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ» (يوحنا ٢٠: ١٧).

ومع ذلك فإن «ابن الإنسان» ممثل البشر هو نفسه الله «اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (١تيموثاوس ٣: ١٦)، وهو عمانوئيل الذي تفسيره «الله معنا» (متى ١: ٢٣)، وهو العجيب المشير الإله القدير (إشعياء ٩: ٦)؛ الذي فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً (كولوسي ١: ١٩) حتى أن الذي رآه قد رأى الآب (يوحنا ١٥: ١٤) لأنه والآب واحد (يوحنا ١٠: ٣٠) وهو صورة الله غير المنظور (كولوسي ١: ١٥).

ويتحدث الرسول بولس عنه ويصفه بأنه الإله والإنسان معاً، فهو الإنسان في القول: «إِلَهُ.. يَسُوعَ الْمَسِيحِ» وهو الإله في القول: «رَبِّنَا يَسُوع الْمَسِيحِ. وقد رآه الرائي «وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ: «مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ» (رؤيا ١٩: ١٦)؛ كما سجد له توما

وقال: «رَبِّي وَإِلَهِي» (يوحنا ٢٠: ٢٨)؛ وسيجيء اليوم الذي فيه «يَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ، لِمَجْدِ اللهِ الآبِ» (فيلبي ٢: ١١).

هذا هو يسوع الإله الإنسان الذي «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ» (يوحنا ١: ١). وهو الذي يقودنا إلى الله لأنه الشفيع الوحيد، الذي وحده يقف مكان البشر، وفي نفس الوقت يقف مكان الله، ويصالح الاثنين معاً، كما يقول عنه الكتاب: «لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (١تيموثاوس ٢: ٥).

ويسوع هذا: الإله الإنسان أعلن لنا مجد الله «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً» (يوحنا ١: ١٤). «لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢كورنثوس ٤: ٦).

فلنتأمل ما طلبه الرسول بولس من «إله ربنا يسوع المسيح، أبي المجد» لأهل أفسس، ونرى ثلاث طلبات، محددة وواضحة، تعلمنا أن نحدد طلباتنا من الله، فلا تكون صلواتنا «عائمة» بل مركزة ذات هدف.

(أ) يطلب لهم أن يعرفوا الحق الإلهي معرفة كاملة (آية ١٧)

«كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلَهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ». لم يطلب لهم ثمر الروح، الذي هو الحكمة.. لكنه طلب لهم الروح القدس نفسه الذي يعطي كل حكمة وكل معرفة وكل إعلان كما قال عنه المسيح: «وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» (يوحنا ١٤: ٢٦).

والرسول يعلم أن المكتوب إليهم أطفال في الإيمان، يحتاجون إلى مزيد من التعليم حتى يدركوا عمق أسرار وتعاليم المسيح.. ومن مثل الروح القدس يكشف لنا كل شيء؟ حتى أن الرسول يقول عن النور الذي وصل إليه «فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ. لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هَكَذَا أَيْضاً أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ» (٢كورنثوس ٢: ١٠، ١١).

ونحن مثل أهل أفسس نحتاج إلى مزيد من الحكمة والمعرفة، لننمو في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. ولذلك نحتاج إلى روح الحكمة والإعلان.

* **إنه «روح الحكمة»:** الحكمة التي تجعلنا نميز الخطأ من الصواب، وترشدنا إلى عمل الصواب الأفضل والأصلح. فعندما يكون أمامنا أمران كلاهما صواب، ولا نستطيع أن نعمل إلا واحداً منهما فقط.. يرشدنا الروح إلى الأفضل والأهم منهما!

* وهو «**روح الإعلان**» الذي يكشف لنا أسرار ملكوت السماوات، كما يقول بولس: « بِإِعْلاَنٍ عَرَّفَنِي بِالسِّرِّ» (أفسس ٣: ٣). فهو يعلن لنا المشيئة الصالحة، ويخبرنا بما يلزمنا من معرفة الأمور الغامضة علينا: «وَيَكُونُ الْجَمِيعُ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللَّهِ» (يوحنا ٦: ٤٥).

وكما أن الطبيب يتعلم عن الطب كل يوم، يكتشف المؤمن حقائق روحية كل يوم، ويتعلم المزيد من الله كل يوم.

والروح القدس هو روح الحكمة والإعلان في معرفة المسيح «**في معرفته**».. «وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يوحنا ١٧: ٣).. «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نَحْنُ أَيْضاً، مُنْذُ يَوْمَ سَمِعْنَا، لَمْ نَزَلْ مُصَلِّينَ وَطَالِبِينَ لأَجْلِكُمْ أَنْ تَمْتَلِئُوا مِنْ مَعْرِفَةِ مَشِيئَتِهِ، فِي كُلِّ حِكْمَةٍ وَفَهْمٍ رُوحِيٍّ» (كولوسي ١: ٩). والذي يعرف المسيح يعرف إرادته، وكل من يريد أن يعمل مشيئة الله يكشف له يسوع عن نفسه حتى يعرفه.

(ب) يطلب لهم أن يعلموا عظمة قيمة القديسين في نظر الله (آية ١٨)

«مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ»

في الطلبة الأولى طلب لهم روح الحكمة والإعلان. وعندما ينالون روح الحكمة والإعلان تصير «عيون الذهن مستنيرة»

والمؤمن «مستنيرة عيون ذهنه» لأن له نور الحياة (يوحنا ٨: ١٢)؛ ولأنه ترك الظلمة إلى النور (أعمال ٢٦: ٢٦: ١٨)؛ فصار من أبناء النور (لوقا ١٦: ٨)؛ بل إنه صار نوراً (أفسس ٥: ٨).. ولذلك صار قلبه وفكره مستنيرين، وقد انفتحت عيناه على نور المسيح.

وهو على عكس الخاطئ الذي لا يقدر أن يدرك أمور الروح لأنه غير مستنير (١كورنثوس ٢: ١٤).

* وعندما تستنير عيون الذهن يمكن أن «**يعلموا ما هو رجاء دعوته**» فيعرفوا الرجاء الأكيد الذي تخلقه فينا دعوة الله. وهو رجاء أكيد لأنه مبني على إرادة الله التي سبق أن اختارت قبل تأسيس العالم؛ ومبني على صدق المواعيد السماوية الواضحة من الروح القدس المعطى لنا والذي هو «عربون ميراثنا لفداء المقتنى».

وليست هذه الدعوة نتيجة أشواقنا، فإنه «أَمِينٌ هُوَ اللهُ الَّذِي بِهِ دُعِيتُمْ إِلَى شَرِكَةِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا» (١كورنثوس ١: ٩). وعلى هذا فإن الرجاء فيها أكيد.

وهذا الرجاء الذي تخلقه فينا دعوة الله رجاء مبارك (تيطس ٢: ١٣)؛ ورجاء حي (١بطرس ١: ٣)؛ ورجاء مجيد (كولوسي ١: ٢٧)؛ وهو في السماوات (كولوسي ١: ٥) لذلك فهو غير منظور (رومية ٨: ٢٤).

هذا هو «رجاء دعوته» الذي يزيد فينا، لأنه مبني على صدق مواعيد الله. رجاء العالم ينقص كل يوم لأن حروب الذرة تهدده، والانفجار السكاني يرعبه. لكن رجاءنا أكيد. وكم يحتاج العالم إلى هذا الرجاء العظيم!

* وعندما تستنير عيون الذهن تعلم «**ما هو غنى مجد ميراثه في القديسين**». فإن الله يتنازل ويحسب القديسين ميراثاً له غنياً ومجيداً!

فهل فينا شيء يستحق أن يكون نصيباً للرب؟ يقول: «إِنَّ قِسْمَ الرَّبِّ هُوَ شَعْبُهُ. يَعْقُوبُ حَبْلُ نَصِيبِهِ. وَجَدَهُ فِي أَرْضِ قَفْرٍ وَفِي خَلاءٍ مُسْتَوْحِشٍ خَرِبٍ. أَحَاطَ بِهِ وَلاحَظَهُ، وَصَانَهُ كَحَدَقَةِ عَيْنِهِ» (تثنية ٣٢: ٩، ١٠).

ويقول موسى للرب: «هُمْ شَعْبُكَ وَمِيرَاثُكَ الذِي أَخْرَجْتَهُ بِقُوَّتِكَ العَظِيمَةِ وَبِذِرَاعِكَ الرَّفِيعَةِ» (تثنية ٩: ٢٩). ويصلي داود: «خَلِّصْ شَعْبَكَ، وَبَارِكْ مِيرَاثَكَ، وَارْعَهُم وَاحْمِلْهُم إِلَى الأَبَدِ» (مزمور ٢٨: ٩).

وعندما يسكن فينا روح الحكمة والإعلان يكشف لنا عظمة قيمتنا في نظر الله؛ ويظهر لنا مقدار محبته لنا في دعوته التي تملأنا بالرجاء؛ وفي اعتباره لنا نصيباً وميراثاً له غنياً ومجيداً.

ليس غريباً إذاً أن يصلي المسيح إلى الآب ويقول إنه لأجلنا يقدس ذاته، بل أكثر من ذلك يقول الرسول بطرس: «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ» (١بطرس ١: ١٨، ١٩).

ليتك تمتلئ بروح الحكمة والإعلان فتدرك مقدارك في نظر الله!

(جـ) ويطلب لهم أن يعرفوا عظمة قدرة الله (آية ١٩)

«وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ»

قدرته فائقة وعظيمة، وقد ظهرت نحونا نحن المؤمنين. ليست قوة الله معزولة عن العالم لكنها عاملة فيه. وهي ليست قوة ساكنة لكنها متحركة حية فعالة. أحياناً يكون محرك السيارة عاملاً، ولكن السيارة تكون واقفة لا تتحرك. والسبب أن المحرك معزول عن عجلات السيارة.

قوة الله عاملة في العالم «حسب عمل شدة قوته». ونحن المؤمنين نشعر بهذه القوة العاملة فينا ومعنا كل يوم.

ويقدم الرسول برهانين على عمل شدة قوة الله:

* «الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (أصحاح ١: ٢٠-٢٣)
* «وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ » (أصحاح ٢: ١-١٠)

ثالثاً: برهان على عمل شدة قوته

(أفسس ١: ٢٠-٢٣).

أعظم برهان على عمل شدة قوة الله هو قيامة المسيح من الأموات، وهي عربون قيامة المؤمنين، كما أنها مثالٌ لقيامتهم، بل إنها سبب قيامتهم. «كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الآبِ هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ. لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ نَصِيرُ أَيْضاً بِقِيَامَتِهِ. عَالِمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضاً لِلْخَطِيَّةِ» (رومية ٦: ١-١٠).

ويشرح الرسول بولس عمل شدة قوة الله الذي عمله في المسيح، فيقول: إن الله أقامه؛ وأجلسه في السماويات؛ وأخضع كل شيء تحت قدميه؛ وجعله رأساً فوق كل شيء.

(أ) أقامه من الأموات (آية ٢٠)

يتوقَّف خلاصنا على إيماننا بالقيامة: «لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ» (رومية ١٠: ٩).

(ب) أجلسه عن يمينه في السماويات (آيتا ٢٠، ٢١)

«الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضاً»

والجلوس عن اليمين عبارة مجازية لا تعني مكاناً معيناً، بل تعني حالة رفيعة ومكانة ممتازة، فيكون المعنى المقصود: «مكان الشرف والعظمة» وهو مكان لم تأخذه الملائكة لأنها أرواح خادمة (عبرانيين ١: ١٣) ولم يأخذه إلا المسيح الذي أقامه الله وأجلسه عن يمينه في السماويات، التي هي مكان سيادة الله وملكه، والتي إليها يرتفع المؤمنون في المسيح (يوحنا ١٧: ٢٤).

* ومكان جلوس المسيح في السماويات مكان ممتاز «**فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ**» والمقصود بذلك أنه فوق الملائكة. وقد قال دانيال عن أحد الملائكة إنه «رئيس مملكة فارس» (دانيال ١٠: ١٣) وهناك «الرئيس اليوناني» و «ميخائيل رئيسكم» (دانيال ١٠: ٢٠، ٢١). والمسيح فوق كل ««قوة وسيادة» بمعنى أنه القائد الأعلى للجيش المنظم ولأصحاب السلطان فيه. فالمسيح فوق كل القوى المنظمة في الكون.

وعن هذا المكان الممتاز يقول أيضاً: «فوق كُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضاً». ففي كل حقبة من الزمن يقف المسيح سيداً صاحب مكان رفيع عال ممتاز، ولا عجب فقد قال: ««دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ» (متى ٢٨: ١٨). وقد «رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ» (فيلبي ٢: ٩) «الَّذِي هُوَ فِي يَمِينِ اللهِ، إِذْ قَدْ

مَضَى إِلَى السَّمَاءِ، وَمَلاَئِكَةٌ وَسَلاَطِينُ وَقُوَّاتٌ مُخْضَعَةٌ لَهُ» (١بطرس ٣: ٢٢) «لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الاِبْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ» (يوحنا ٥: ٢٣).

(جـ) أخضع كل شيء تحت قدميه (آية ٢٢)

أخضع الله كل شيء لآدم الأول، وقال له ولنسله «امْلأُوا الأَرْضَ وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ، وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ، وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ» (تكوين ١: ٢٨). والكلمة «أخضع» تعبير حربي، معناه هزيمة العدو.

ونحن نعلم أن آدم عصى ربَّه. وعندما دخلت الخطية حياته أفسدتها. ولكن شكراً لأجل قوة الله التي «**أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ**». هذا الذي وُضع قليلاً عن الملائكة عندما تجسد وتنازل وأخلى نفسه «أَخْضَعَ الْكُلَّ لَهُ. لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ – عَلَى أَنَّنَا الآنَ لَسْنَا نَرَى الْكُلَّ بَعْدُ مُخْضَعاً لَهُ – وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ» (عبرانيين ٢: ٨، ٩).

صحيح أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مخضعاً له، لكن سيجيء اليوم الذي فيه «تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ، لِمَجْدِ اللهِ الآبِ» (فيلبي ٢: ١٠، ١١). «لأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ الأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ» (١كورنثوس ١٥: ٢٥).

(د) جعله رأساً فوق كل شيء (آيتا ٢٢، ٢٣)

«وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ». يقول يوحنا كلفن إن خروج المسيح من القبر بالقيامة يشبه الجذور، وجلوسه عن يمين العظمة يشبه الشجر، وخضوع كل شيء له هو الثمر.

(هـ) «وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، لِلْكَنِيسَةِ».

المسيح رأس للكنيسة بمعنى أنه مصدر حياتها؛ وأنه حاضر معها دوماً؛ وأنه يحبها كما يحب الإنسان جسده؛ وأنه حاكمها الوحيد الذي يأمرها فتطيع. وما أعظم التعزية التي لنا ونحن نعلم أن «رأس كل شيء» هو أيضاً «رأس للكنيسة» فإن رئاسته لكل شيء تخدم الكنيسة وتعمل لصالحها أو خيرها. «وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا» (متى ١٦: ١٨). ويقول الله لها «كُلُّ آلَةٍ صُوِّرَتْ ضِدَّكِ لاَ تَنْجَحُ، وَكُلُّ لِسَانٍ يَقُومُ عَلَيْكِ فِي الْقَضَاءِ تَحْكُمِينَ عَلَيْهِ» (إشعياء ٥٤: ١٧). يقصد العالم بالكنيسة شراً، ولكن الله يحول هذا الشر إلى خير. «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رومية ٨: ٢٨). يجنِّد الله كل قوى العالم لخدمتها بطريقة مباشرة وغير مباشرة، سواء قصدت تلك القُوى أو لم تقصد. حتى غضب الإنسان يتحول إلى ما يحمد الله! (مزمور ٧٦: ١٠).

* الكنيسة هي «**جسده**»:

قال أكليمندس الإسكندري: «كما كان جسد المسيح وهو على الأرض يشفي ويعظ ويعمل الخير، هكذا يجب أن تفعل الكنيسة كجسد المسيح. عليها أن تعمل عمل الله، وتقدم رسالته للناس. ومن علامات محبة الله للبشر أنه يُظهر ذاته للبشر وعن طريق البشر، وقد فعل ذلك من قبل في الأنبياء، والآن في الكنيسة».

يجب أن تكون الكنيسة الأيدي التي يعمل بها الله، والأقدام التي يصل بها لتحقيق مقاصده، والصوت الذي يذيع كلامه. فإنه بدون الجسد لا يعمل الرأس، وبدون الرأس لا يحيا الجسد!

على أن الكنيسة هي «**مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ**». وما أعظم المعنى! السفينة الملآنة بالمجدفين والبحارة والجنود كانوا يقولون إنهم «ملؤها» والكنيسة ملء المسيح. وكما أن الجسد بدون رأس ناقص، هكذا الرأس بدون جسد أيضاً ناقص!

الأسرار التي أعلنها الله للبشر لا تصل إلى الناس بدون المؤمنين. أرسل الله ملاكاً إلى كرنيليوس يقول له إن الله سمع صلاته، لكن الملاك لم يبلغ رسالة الخلاص، بل طلب من كرنيليوس أن يدعو بطرس ليبشره بيسوع.

في تقليد قديم يقولون إن يسوع عندما صعد إلى السماء اجتمعت الملائكة حوله تسأله إن كانت الرسالة قد وصلت للبشر جميعاً. وقال المسيح إنه ترك العمل لتلاميذه ليكملوه. وهذا صحيح، فإن الكنيسة تكمل المسيح، مع أنه هو الذي «يملأ الكل في الكل»!

المسيح غير منظور، والكنيسة منظورة، لذلك يرى الناس فيها الجسد، ويعلمون بضرورة وجود الرأس. وحين تعمل الكنيسة رغبة الرأس وتنفذ أوامره يرى الناس فيها يسوع!!

وقد قال البعض إن هذه الآية تعني أن الكنيسة ملآنة بالمسيح كما تملأ الروح الجسد، وكما كان مجد الرب يملأ الهيكل، وإن الكنيسة ملآنة بذاك الذي يملأ الكل في الكل. ولكني أعتقد أن المعنى الأول هو الأصح، فإنه من عظمة محبة الله لنا أن اعتبرنا نصيباً وميراثاً له؛ ثم أنه جعل لنا مكاناً في تكميل برنامجه الفدائي في خدمة العالم، كما قال بولس: «وَأُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لأَجْلِ جَسَدِهِ: الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ» (كولوسي ١: ٢٤). ومع أن آلام المسيح الفدائية قد كملت، إلا أن آلام نشر الرسالة لم تكمل. ولا زال هناك مكان لكل من يريد أن يعمل ويشتغل لأجل المسيح، فيكمل نقائص شدائد المسيح في جسمه.

فماذا ستفعل أنت لأجل يسوع؟

*** والمسيح «يملأ الكل في الكل»**

«فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشاً أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. اَلَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ» (كولوسي ١: ١٦، ١٧). هو «حَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ» (عبرانيين ١: ٣). هو «اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ» (أفسس ٤: ١٠)، ويتساءل الله: «أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ (إرميا ٢٣: ٢٤).

لا مكان يخلو منه، ولا خليقة تغيب عن عينيه. كل شيء تكوَّن به، وقائم دائم به، فهو «الْمُمْسِكُ السَّبْعَةَ الْكَوَاكِبَ فِي يَمِينِهِ» (رؤيا ٢: ١)، وهو «قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ» (٢تيموثاوس ١: ١٢).

هذا هو يسوع الذي عملت فيه قوة الله الفائقة، وما حدث معه سيحدث معنا.

وسنتأمل في الأصحاح الثاني من رسالة أفسس «ما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين، حسب عمل شدة قوته.. ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح.. وأقامنا معه في السماويات». فإن الذي أقام يسوع من الأموات حسب عمل شدة قوته، يقيمنا نحن أيضاً من قبور خطايانا!

الفصل الثالث

إقامة المؤمن من موت الخطية

(أفسس ٢: ١-١٠)

«١ وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتاً بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، ٢الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هَذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ، ٣الَّذِينَ نَحْنُ أَيْضاً جَمِيعاً تَصَرَّفْنَا قَبْلاً بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ الْجَسَدِ وَالأَفْكَارِ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضاً، ٤اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، ٥ونَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ- بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ- ٦وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، ٧لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. ٨لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. ٩لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. ١٠لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» (أفسس ٢: ١-١٠).

طلب بولس الرسول في صلاته أن يدرك المؤمنون عمل شدة قوة الله الظاهرة في إقامة المسيح من الأموات؛ وجلوسه عن يمين الله في السماويات؛ وخضوع كل شيء تحت قدميه ليكون المسيح فوق كل شيء.

وفي أفسس ٢: ١-١٠ نرى مظهراً آخر من مظاهر عمل شدة قوة الله في إقامة المؤمن من موت الخطية؛ وجلوسه في السماويات في المسيح يسوع.

ونرى في هذه الفقرة ثلاثة أفكار رئيسية:

(١) الحالة الفاسدة الأولى التي كانوا عليها ٢: ١-٣

(٢) التغيير الذي جرى على حالتهم الأولى ٢: ٤-٦

(٣) القصد الإلهي من هذا التغيير ٢: ٧-١٠

أولاً: الحالة الفاسدة التي كانوا عليها

(أفسس ٢: ١-٣)

«أَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتاً بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا»

«**أَنْتُمْ**» أيها المؤمنون الذين يطلب الرسول من أجلكم أن تدركوا عظمة قدرته الفائقة نحوكم حسب شدة قوته.. «أنتم» يجب أن تذكروا أين كنتم!

(أ) «كُنْتُمْ أَمْوَاتاً بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا» (آية ١)

يتحدث الكتاب المقدس عن ثلاثة أنواع من الموت:

* موت الجسد، وهو مفارقة الروح للجسد: «وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ» (عبرانيين ٩: ٢٧)».

* موت الروح، وهو الانفصال عن الله «مَنْ لَهُ الاِبْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ» (١يوحنا ٥: ١٢).

* الموت الأبدي، وهو الانفصال عن الله هنا على الأرض، والانفصال الأبدي عنه في الجحيم. وهو الذي يسميه الكتاب «الهلاك الأبدي» (٢تسالونيكي ١: ٩).

والموت الذي يقصده الرسول هنا هو الموت الروحي بالانفصال عن الله. صحيح أنهم أحياء يأكلون ويشربون ويتنفسون، ولكنهم من جهة الروح أموات لا يأكلون الخبز الحي؛ ولا يشربون الماء الحي؛ ولا ينمون في جو الصلاة المقدس.

كانوا أمواتاً منفصلين عن حياة الله! «لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ» (رومية ٦: ٢٣) ويقول الرسول عن آدم: «بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ» (رومية ٥: ١٢).

كانوا «أمواتاً بالذنوب والخطايا»

والذنوب معناها الابتعاد عن الطريق الصحيح بالانزلاق إلى الطريق الخاطئ.. وحين ينزلق الإنسان يضل ولا يقدر أن يعود إلى الطريق الصحيح. «كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ» (إشعياء ٥٣: ٦)» الذنوب إذاً هي البُعد عن الحق...

والخطايا معناها عدم إصابة الهدف، مثل شخص يضرب سهماً ويخيب، وقد خلقنا الله حتى نمجده، ولكن الخطية تجعلنا لا نحقق الهدف الذي خلقنا الله لأجله.

هذه الذنوب والخطايا تميت الإنسان روحياً، والحقيقة أن الخطية قتلتنا!

* **قتلت البراءة فينا:** فإننا بعد أن نخطئ نصير في حالة غير الحالة التي كنا فيها قبل الخطأ، لأن الخطية تترك أثرها في «الإنسان الباطن» الداخلي. وعندما تضيع منا البراءة لا تعود. هذا

ما حدث مع آدم في الجنة، فقد كان عرياناً ولكنه في براءته لا يعلم. وحين أخطأ ضاعت منه البراءة، وعرف أنه عريان، واختشى، واختبأ من الله!

* **قتلت المبادئ فينا:** فإن الإنسان الذي يخطئ ويبتعد عن الله يزيد في البُعد كل يوم، وتصير الخطية عنده أسهل. في أول الأمر لا يتصور الخطية، لكنه عندما يسقط فيها يفعلها بسهولة، ثم يفعلها بدون تفكير. «مَكْرُوهٌ وَفَاسِدٌ الإِنْسَانُ الشَّارِبُ الإِثْمَ كَالْمَاءِ!» (أيوب ١٥: ١٦)

* **قتلت الإرادة فينا:** وبتكرار السقوط فيها يصبح الإنسان عاجزاً عن وقفها، لأنها تصبح عنده عادة. وعندما يريد أن يفعل الحسنى يجد أن الشر حاضر عنده! وإذا هو يفعل ما لا يريد أن يفعله!

عزيزي القارئ، هل تحقق الهدف الذي خلقك الله من أجله؟ هل أنت رب بيت صالح تسعد زوجتك وأولادك؟ أو هل تضع عليهم هموماً ثقيلة؟ هل أنت عامل صالح تؤدي عملك كما يجب، وتقوم بكل الواجب المطلوب منك؟ أو هل تزوغ من المسئولية؟ هل تخدم كنيستك وتصلي لأجل راعيك وتفتش على الضال؟ أو هل تذهب إلى الكنيسة لمجرد أداء واجب ثقيل؟ الخطية هي عدم تحقيق هدف الحياة.. الخطية تقتل.. فهل أنت حي مع المسيح؟

(ب) سلكتم مع الشيطان (آية ٢)

«الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هَذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ».

الحياة طريق يسلك فيه البشر. يسلك قليلون منهم في الطريق الضيق، ويختار الكثيرون الطريق الواسع. وكان اسم المسيحية أولاً الطريق لأنها طريق سلوك في الحياة.. ولقد سلك المؤمنون قبلاً بعيداً عن مصدر الإرشاد الإلهي، لا يسمعون صوت الله ولا يطيعونه ولا يشعرون بحبه.. سلكوا «حَسَبَ دَهْرِ هَذَا الْعَالَم» أي أنهم سلكوا حسب أفكار ومبادئ وآمال ودوافع العالم المحيط بهم، وهو عالم ملآن بالخطية والشر..

والكلمة «**دهر**» معناها نظام السلوك والفكر

والكلمة «**هذا العالم**» معناها: الناس العائشون في انفصال عن الله.

فيكون أن المؤمنين سلكوا وتصرفوا حسب فكر البشر الشرير الساقط، الذي يقول عنه بولس الرسول: «الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ» (غلاطية ١: ٤).. سلكوا قبلاً حسب روح العصر الذي يلهي الإنسان بالحاضر ويجعله ينسى المستقبل، ويشغله بالمنظور ويجعله ينسى غير المنظور، ويبيع له أكلة عدس بائدة ويأخذ منه الشيء الأبدي ثمناً لها (تكوين ٢٥).. مع أن «هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ، وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ» (١كورنثوس ٧: ٣١ و١يوحنا ٢: ١٧)».

وليس المقصود بالعالم هنا الجبال والأنهار، فهذه تحدِّث بمجد الله وتخبر بعمل يديه (مزمور ١٩: ١-٦)؛ وليس المقصود بالعالم كل الناس، فإن الله أحبهم (يوحنا ٣: ١٦)؛ وليس

المقصود به العمل، فقد عمل المسيح نجاراً.. لكن المقصود هو مظاهر الحياة التي تسلب القلب وتبعده عن الله، مثل شهوة الجسد وشهوة العيون.

وبالنسبة للعالم ينصحنا الكتاب المقدس:

* أن لا نكون مثله ولا على شاكلته «لاَ تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ» (رومية ١٢: ٢).

* أن لا نصادقه «فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبّاً لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُوّاً لِلَّهِ» (يعقوب ٤: ٤).

* أن لا نحبه «لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ» (١يوحنا ٢: ١٥).

ثم أنهم سلكوا «حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ». والشيطان هو الرئيس، بمعنى أنه صاحب الكلمة الأولى في سلطان الهواء.. والهواء المقصود هنا هو الطبقة السفلى من الهواء المترب، وليس هواء الجبال النقي!.. وفي مثل الزارع يقول المسيح إن طيور السماء جاءت وأكلت البذار التي وقعت على الطريق، ويمكن أن نترجم العبارة إلى «طيور الهواء» أي أعوان الشيطان وجنوده!

ويقول الرسول بولس إن الشيطان هو «إله هذا الدهر» ويقول إنه « الَّذِينَ فِيهِمْ إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ (الشيطان) قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ» (٢كورنثوس ٤: ٤).

والشيطان «رئيس سلطان الهواء» له سلطان عظيم، فقد قال المسيح لشيوخ اليهود: «وَلَكِنَّ هَذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ» (لوقا ٢٢: ٥٣). ولكنه قال: «رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ» (يوحنا ١٤: ٣٠). ويتضح سلطانه من قول الرؤيا إنه حدثت حرب في السماء (رؤيا ١٢: ٧). وكان القدماء يعتقدون أن الهواء ملآن بالأرواح، حتى أنك لا تقدر أن تعمل ثقب إبرة دون أن تصيب روحاً. وكانوا يقولون إن معظم هذه الأرواح شريرة تنشر الشر؛ وتحاول أن تعطل مقاصد الله؛ وتذل الناس وتريد أن تهلكهم!

ولكننا نشكر الله لأن «رئيس سلطان الهواء» لا سلطان له على المؤمنين. وهو لا يجربهم إلا بقدر ما يسمح الله له أن يجربهم به، كما حدث مع أيوب (١: ١٢، ٢: ٦). وقال المسيح: «الآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هَذَا الْعَالَمِ خَارِجاً» (يوحنا ١٢: ٣١).

ولكن المؤمنين في حالتهم الفاسدة الأولى سلكوا حسب تعليمات رئيس سلطان الهواء «الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية». عمل من قبل في المؤمنين الذين كتب إليهم بولس، وهو لا زال يعمل الآن في أبناء المعصية، الذين لا يخضعون للرب، والذين وصفهم استفانوس بأنهم شعب «صلب الرقبة».

يكشف الله إرادته للناس، بالضمير؛ وبالكتاب المقدس؛ وبنصائح المؤمنين؛ وبالتأديب.. لكن الخاطئ لا يستمع إلى هذه كلها، لأن أبناء المعصية لا يطيعون لأن رئيس سلطان الهواء أعمى أفكارهم حتى لا يطيعوا

(جـ) تصرفتم في شهوات الجسد (آية ٣)

«الَّذِينَ نَحْنُ أَيْضاً جَمِيعاً تَصَرَّفْنَا قَبْلاً بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ الْجَسَدِ وَالأَفْكَارِ». سلك كل البشر مسلك أبناء المعصية. فلا مجال لأن يفتخر المؤمن على الخاطئ، لأنه كان مثله، لولا نعمة الله التي رحمته وأنقذته!

كان التصرف الأول في «**شهوات الجسد**» فكان يرغب بشدَّة في ما يريده الجسد. وشهوات الجسد «الَّتِي هِيَ زِنىً، عَهَارَةٌ، نَجَاسَةٌ، دَعَارَةٌ، عِبَادَةُ الأَوْثَانِ، سِحْرٌ، عَدَاوَةٌ، خِصَامٌ، غَيْرَةٌ، سَخَطٌ، تَحَزُّبٌ، شِقَاقٌ، بِدْعَةٌ، حَسَدٌ، قَتْلٌ، سُكْرٌ، بَطَرٌ» (غلاطية ٥: ١٩-٢١).

ولم يتوقف الأمر عند «شهوات الجسد» لكنه زاد حتى صاروا عاملين مشيئات الجسد والأفكار. فالشهوة أصبحت عملاً، لأن الجسد يشتهي ضد الروح حتى يعمل الإنسان ما لا يريد! ويصف الرسول بولس المؤمنين بقوله: «وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ، قَدْ صَالَحَكُمُ الآنَ» (كولوسي ١: ٢١). لذلك يقول الله: «وَتَذْكُرُونَ كُلَ وَصَايَا الرَّبِّ وَتَعْمَلُونَهَا، وَلا تَطُوفُونَ وَرَاءَ قُلُوبِكُمْ وَأَعْيُنِكُمُ التِي أَنْتُمْ فَاسِقُونَ وَرَاءهَا» (العدد ١٥: ٣٩).

(د) كنتم أبناء الغضب (آية ٣)

«وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضاً».

بطبيعتهم وُلدوا فيها، فيقول كلٌّ منهم: «هَئَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي» (مزمور ٥١: ٥). والخطية تجلب غضب الله «لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ» (رومية ١: ١٨) فإن « اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً، بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ» (يوحنا ٣: ٣٦). والغضب ينتج عقاباً، وأجرة الخطية هي موت!

فهل تغيَّرت حياتك، حتى تقدر أن تقول إن الأشياء العتيقة مضت، وإن الكل قد صار جديداً؟؟

ثانياً: التغيير الذي جرى

(٢: ٤-٦)

بدأ الرسول حديثه عن الحالة الأولى التي كانوا فيها بقوله: «أنتم»، ولكنه يبدأ حديثه عن التغيير الذي جرى بقوله: «الله»! «أنتم» أموات بالخطايا.. لكن «الله» هو الذي يُجري التغيير!

«أنتم» صورة سوداء للخطية والموت، كتب «الله» عليها حكاية محبته بحروف من نور ونار، والتغيير الذي جرى جاء نتيجة رحمة الله، ومحبته، ونعمته.

(أ) «**اللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَــةِ**، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا». والرحمة هــي الرغبة في إسعاف البائس.. وقد رأى الله بؤسنا وخطايانا، ورغب في أن يسعفنا ويخلصــنا! فإن «الرَّبُّ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ» (مزمور ١٠٣: ٨).. «مُبَــارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَــيٍّ، بِقِيَامَــةِ يَسُــوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ» (١بطرس ١: ٣). فلنعمل بقول النبي إشعياء: «لِيَتْرُكِ الشِّرِّيرُ طَرِيقَــهُ وَرَجُلُ الإِثْمِ أَفْكَارَهُ، وَلْيَتُبْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ، وَإِلَى إِلَهِنَا لأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ» (إشــعياء ٥٥: ٧).

(ب) «مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا» (آية ٤)

ظهرت رحمة الله في محبته الكثيرة.. والمحبة أنتجت غنى الرحمة!.. ولكي يُرضي محبتــه الكثيرة ويشبعها أظهر لنا غنى رحمته!

«بِهَذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ. فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا» (١يوحنــا ٤: ٩، ١٠).. «وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَــا» (رومیــة ٥: ٨).

ونقرأ عن سبب محبة الله لشعبه بالقول: «إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لهُ شَعْباً أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الذِينَ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ التَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَل مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ» (تثنية ٧: ٦-٨).

(جــ) «بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ»(آية ٥)

التغيير الذي جرى لنا هو نتيجة رحمته، ومحبته، ونعمته المجانية التي ظهرت لنا، لا لخيــرٍ فينا، بل لمحبته الكثيرة.

هل هناك فضل لشحاذ يطلب إحساناً من شخص كريم؟! وهل لنا فضل ونحن نتناول منه كأس الخلاص؟! «وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية ٦: ٢٣). «لَكِنْ بِنِعْمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ نُؤْمِنُ أَنْ نَخْلُصَ» (أعمال ١٥: ١١) «مُتَبَرِّرِينَ مَجَّاناً بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رومية ٣: ٢٤). ويقول الرسول بولس إن الخلاص مجاني بنعمة الله، وليس نتيجة عمل إنسان: «فَإِنْ كَانَ بِالنِّعْمَةِ فَلَيْسَ بَعْدُ بِالأَعْمَالِ، وَإِلاَّ فَلَيْسَتِ النِّعْمَةُ بَعْدُ نِعْمَــةً. وَإِنْ كَانَ بِالأَعْمَالِ فَلَيْسَ بَعْدُ نِعْمَةً، وَإِلاَّ فَالْعَمَلُ لاَ يَكُونُ بَعْدُ عَمَلاً» (رومية ١١: ٦).. «لأَنَّهُ قَــدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ لِجَمِيعِ النَّاسِ» (تيطس ٢: ١١) «حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا بِنِعْمَتِــهِ نَصِــيرُ وَرَثَةً حَسَبَ رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ» (تيطس ٣: ٧).

* * *

أما التغيير الذي جرى لنا نتيجة الرحمة والمحبة والنعمة، فهو تغيير مثلث. إنه أنعم علينا بالحياة بعد أن كنا أمواتاً؛ وأقامنا من قبور خطايانا؛ وأجلسنا معه في السماويات.

(أ) «وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ» (آية ٥)

وجدنا مثل لعازر الذي أنتن في القبر، فنادانا صوته العذب «هلم خارجاً»! وهو يقول: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الابْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ» (يوحنا ٥: ٢٤-٢٦).

وكل من يسمع صوته، ويؤمن به ينتقل من موت الخطية إلى الحياة الجديدة، لأن المسيح هو الطريق والحق والحياة (يوحنا ١٤: ٦). فلنسمع نصيحة الرسول: «احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتاً عَنِ الْخَطِيَّةِ وَلَكِنْ أَحْيَاءً لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية ٦: ١١).

(ب) «وَأَقَامَنَا مَعَهُ» (آية ٦)

بعد أن أعطانا الحياة بعث فينا الحركة والنشاط، كما فعل مع لعازر، ثم قال لنا: «هلم خارجاً» (يوحنا ١١: ٤٣)، ثم نزع الأربطة والمناديل التي تعطل حركتنا، حتى أننا به نحيا ونتحرك ونوجد (أعمال ١٧: ٢٨)، لنعمل عمله.

هذه القيامة هي «مَعَهُ» فليس لنا حياة ولا حركة في نفوسنا. لكن «معه» الحياة، وفيه النشاط، ومنه القوة للعمل والخدمة. كثيرون أحياء، لكنهم ينامون على فراش الضعف. لكن المسيح يحيي ويُقيم الذي كان ميتاً لكي يخدم ويعمل، وقد امتلأ بالنشاط. فهل أخذت منه الحياة الغالبة العاملة؟

(جـ) «وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (آية ٦).

أحيانا، وأقامنا للعمل، وأجلسنا في مكان رفيع، حيث المسيح جالس، لأننا اتَّحدنا بيسوع المسيح. وحيث يكون المسيح، هناك يكون خادمه أيضاً!

لكل مؤمن عنوانان: عنوان بيته الأرضي المؤقَّت، وعنوان آخر في السماء حيث المسيح، وهو العنوان الدائم «لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ نَصِيرُ أَيْضاً بِقِيَامَتِهِ» (رومية ٦: ٥). «لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ، وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ» (كولوسي ٣: ٣، ٤). ولذلك صار لنا حق الدخول إلى أقداس الله في السماويات «فَلْنُقَدِّمْ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلَّهِ ذَبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، أَيْ ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ» (عبرانيين ١٣: ١٥).

هذا هو التغيير الذي جرى في كل عضو من أعضاء كنيسة أفسس. فهل جرى هذا التغيير في حياتك أنت؟ إن رحمة الله ومحبته ونعمته لم تتغير، وهو مستعد أن يُجري هذا التغيير فيك. فتعال إليه كما جاء العشار وصلى قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» فنزل إلى بيته مبرراً، إنساناً جديداً (لوقا ١٨: ١٤).

ثالثاً: القصد الإلهي من هذا التغيير
(أفسس ٢: ٧-١٠)

لماذا نقلنا الله من الموت إلى الحياة؟ ولماذا عمل الله المثلث الأقانيم في فدائنا (أصحاح ١: ٣-١٤)؟ يقدم لنا الرسول الجواب في هذه الفقرة ويذكر ثلاثة أسباب:

(أ) ليُظهِر غنى نعمته (آية ٧)

«لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ»

ينقسم الزمن إلى دهور أو عصور. كل فترة من الزمن هي دهر. وحين تجيء الدهور الآتية ونرى عظمة عمل النعمة، نهتف لذاك الذي فدانا وخلصنا نحن الخطاة! من يسمع منا عن زكا أو السامرية أو المجدلية، ولا يهتف لصاحب اللطف الفائق الذي غيَّر وجدَّد؟.. وفي الدهور الآتية سيسمع الناس عنا – نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور – ويهتفون للمسيح الذي أنقذنا، فأحيانا، وأقامنا، وأجلسنا في السماويات «لمدح مجد نعمته» (راجع أصحاح ١: ٦، ١٢، ١٤). انتقده رجال الدين اليهود قائلين: «هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ» (لوقا ١٥: ٢). وبعد أن لمسوا لطفه الفائق وغنى نعمته قالوا عنه عند قبر لعازر: «انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ» (يوحنا ١١: ٣٦).

كل خاطئ لمست النعمة قلبه برهان على النعمة الغنية واللطف الفائق الذي في المسيح، الذي لم يأتِ ليدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة! وكل جيل أو دهر أو عصر يجيء يلمس كيف عملت النعمة باللطف في الجيل أو الدهر أو العصر الذي سبقه.!

(ب) كيلا يفتخر أحد (آيتا ٨، ٩)

«لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. ٩لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ».

كيف يستطيع الإنسان الميت أن يسمع صوت الله، وكيف يقدر أن يمد يده ليتناول كأس الخلاص؟ إن رئيس سلطان الهواء قد أعمى ذهن الخاطئ،وطمس بصيرته، وأغلق قلبه! ولكن

روح الله يحيي هذا الخاطئ وينبِّه قلبه ويبعث فيه الحياة، فيرى حالته البائسة، ويشعر بحاجته إلى الخلاص، فيسرع ويطلب الحياة الجديدة من المسيح الذي جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك!
«إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ تَبَرَّرَ بِالأَعْمَالِ فَلَهُ فَخْرٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَدَى الله. لأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِالله فَحُسِبَ لَهُ بِرّاً».. كَمَا يَقُولُ دَاوُدُ أَيْضاً فِي تَطْوِيبِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَحْسِبُ لَهُ اللهُ بِرّاً بِدُونِ أَعْمَالٍ: «طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ آثَامُهُمْ وَسُتِرَتْ خَطَايَاهُمْ» (رومية ٤: ١-٧).
«مُتَبَرِّرِينَ مَجَّاناً بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.. فَأَيْنَ الافْتِخَارُ؟ قَدِ انْتَفَى! بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَبِنَامُوسِ الأَعْمَالِ؟ كَلاَّ! بَلْ بِنَامُوسِ الإِيمَانِ. إِذاً نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ» (رومية ٣: ٢٤-٢٨).
لا يستطيع أحد أن يفتخر بالخلاص الذي ناله، لأن الخلاص عطية الله يعطيها الله لكل من يؤمن، وحتى الإيمان هو عطية الله. هل يستطيع الغريق أن ينقذ نفسه من الماء لو شد شعره؟.. لا بد له من يدٍ تمتد إليه لتنقذه. يد شخص آخر، وكل ما على الغريق أن يسلم نفسه للمنقذ!
ونحن نغرق في بحر الخطية، وتمتد إلينا يد الله بالنجاة، وكل ما علينا أن نسلم نفوسنا للمنقذ المخلص الآتي لنجاتنا. أين الفخر إذاً؟ الكل من الله!

لما رأى الإنسان في بحر الردى قد غاص
دنا إليه مسرعاً بنعمة الخلاص

(جـ) لنسلك في أعمال صالحة (آية ١٠)
«لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» (آية ١٠).
في آيتي ٨، ٩ رأينا الله يخلصنا بنعمته، بالإيمان الذي يعطيه هو لنا، ليس من أعمال حتى لا نفتخر.. وفي بدء آية ١٠ يقول: «لأننا نحن عمله» هو الذي عملنا، وخلقنا خليقة جديدة.
«**نحن عمله**» معناها أننا نحن «قصيدته» التي نظمها، أو العمل الفني الذي عمله، بعد أن بذل في ذلك جهداً كبيراً. والذي يقرأ عمل الله المثلث الأقانيم في الفداء يلمس مقدار ما عمل الله من تدبير حكيم لخلاصنا، حتى يقول الرسول: «وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ الله فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ» (أفسس ٤: ٢٤)، ويصنعه الرسول بقوله: «لاَ تَكْذِبُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، إِذْ خَلَعْتُمُ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ» (كولوسي ٣: ٩، ١٠).
«**نحن عمله**» مخلوقين في المسيح يسوع» له الفضل، وله وحده يرجع المجد..
«مخلوقين.. **لأعمال صالحة**، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها».

لم نخلص لأننا عملنا شيئاً صالحاً، لكننا خلصنا لنعمل العمل الصالح. ليس العمل الصالح سبب الخلاص، لكنه نتيجة الخلاص!

«الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْباً خَاصّاً غَيُوراً فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ» (تيطس ٢: ١٤).. «لِكَيْ يَهْتَمَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ أَنْ يُمَارِسُوا أَعْمَالاً حَسَنَةً. فَإِنَّ هَذِهِ الأُمُورَ هِيَ الْحَسَنَةُ وَالنَّافِعَةُ لِلنَّاسِ» (تيطس ٣: ٨).؟.. وقال المسيح: «أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً» (يوحنا ١٥: ٥).

وقد أوضح المسيح للناموسي من يكون قريبه، وروى له مثل السامري الصالح، ثم قال له: «اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضاً وَاصْنَعْ هَكَذَا» وقال في العظة على الجبل: «إِذاً مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ» (متى ٧: ٢٠)»... «٢٦لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونَ رُوحٍ مَيِّتٌ، هَكَذَا الإِيمَانُ أَيْضاً بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ» (يعقوب ٢: ٢٦).

هناك عمل خاص خلقك الله لتعمله. ولا يستطيع شخص أن يقوم بهذا العمل إلا أنت، لأنه لا يوجد إلا أنت في المكان الذي أنت فيه..

هل تحقق قصد الله من حياتك الجديدة؟ هل عملت الصالح الذي سبق أن أعدَّه لك، وهل سلكت فيه؟

* * *

«**مُخَلَّصُونَ**»: تكررت هذه الكلمة في آيتي ٥، ٨ من هذا الأصحاح. فما هو معنى الخلاص؟

يتم الخلاص في ثلاثة أزمنة: من الماضي، وفي الحاضر، وفي المستقبل

الخلاص من الماضي هو التغيير الذي يجريه الله في القلب، وفيه يغفر خطايا الماضي ويسامح الإنسان الشرير، ويستجيب صلاته: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ».

والخلاص في الحاضر هو التطهير المستمر الذي يجريه الله في القلب الجديد. صحيح أن المؤمن خلص وتغيَّر، لكن حياته في العالم تعرِّضه للخطأ، وهو يحتاج إلى تنقية مستمرة هي التقديس والتطهير. والخلاص في الحاضر استجابة لصلاته: «اغْسِلْنِي كَثِيراً مِنْ إِثْمِي.. اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ.. قَلْباً نَقِيّاً اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ، وَرُوحاً مُسْتَقِيماً جَدِّدْ فِي دَاخِلِي» (مزمور ٥١: ٢، ٧، ١٠).

والخلاص في المستقبل هو تاج عمليه الخلاص، ويتم حين يدخل المؤمن السماء، فيكمل خلاصه، حيث لا خطية ولا شر. وهنا تتحقق استجابة صلاته: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ». فيجيبه المسيح: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» (لوقا ٢٣: ٤٢، ٤٣).

وأهم سؤال يجب أن تجاوب عليه أيها القارئ هو: هل خلصت من الخطية الماضية وتغيَّرت؟ إن كنت قد تغيَّرت: يجب أن تخلُص كل يوم من ضعفاتك، وتتطهر كل يوم حتى تدخل معــه إلى مجده عند مجيئه.

الفصل الرابع
البعيدون الذين اقتربوا
(أفسس ٢: ١١-٢٢)

«١١لِذَلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ الأُمَمُ قَبْلاً فِي الْجَسَدِ، الْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ الْمَدْعُوِّ خِتَاناً مَصْنُوعاً بِالْيَدِ فِي الْجَسَدِ، ١٢أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ وَبِلاَ إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ. ١٣وَلَكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. ١٤لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِداً، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ ١٥(أَيِ الْعَدَاوَةَ). مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً، صَانِعاً سَلاَماً، ١٦وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ. ١٧فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلاَمٍ، أَنْتُمُ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ. ١٨لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُوماً فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ. ١٩فَلَسْتُمْ إِذاً بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلاً، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلُ بَيْتِ اللهِ، ٢٠مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ، ٢١الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّباً مَعاً يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّساً فِي الرَّبِّ. ٢٢الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضاً مَبْنِيُّونَ مَعاً، مَسْكَناً لِلَّهِ فِي الرُّوحِ» (أفسس ٢: ١١-٢٢)

بعد أن تحدث الرسول عن إقامة المؤمن من موت الخطية تحدَّث في موضوع آخر كان يشغل بال الكنيسة الأولى، وهو التفرقة العنصرية. ذلك أن اليهود كانوا ينظرون إلى بقية الشعوب نظرة احتقار، ويقولون إنهم «أمم كلاب» لأنهم ظنوا أنهم وحدهم الشعب الذي اختاره الله، أما كل الشعوب الأخرى فهي شعوب ملعونة. فلم يكن سهلاً على يهودي أن يوصِّل رسالة المسيح إلى الأمم. وعندما زار بطرس الرسول (اليهودي الجنسية) بيت كرنيليوس قائد المئة الروماني خاصمه اليهود، وكان دفاع بطرس عن نفسه قوله: « فَمَنْ أَنَا؟ أَقَادِرٌ أَنْ أَمْنَعَ اللهَ؟» (أعمال ١١: ١٧). ولكن الله فتح باب الخلاص للأمم. وكما كان أغلب عمل الرسول بطرس بين اليهود، كان أغلب عمل الرسول بولس بين الأمم.

وفي هذه الفصل سندرس ما قاله الرسول بولس الأمم عن البركة التي للأمم في المسيح. ونرى فيه ثلاث حقائق رئيسية:

(أ) حالة الأمم في الماضي «اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ الأُمَمُ قَبْلاً...» (٢: ١١، ١٢):

(ب) ما فعله المسيح معهم «ولكن الآن..» (٢: ١٣-١٨):

(جـ) حالة الأمم الآن «فلستم إذاً بعد.. » (٢: ١٩-٢٢).

أولاً: حالة الأمم في الماضي

(أفسس ٢: ١١، ١٢)

«لِذَلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ الأُمَمُ قَبْلاً فِي الْجَسَدِ». الذي يذكر الماضي المؤلم يشكر الله على الحاضر السعيد. والذي ينظر إلى المكان المظلم الذي كان فيه يشكر الله على المكان المنير الذي وصل إليه.

ويذكّر بولس الرسول «الأمم» بالحالة التي كانوا فيها كما وصفهم في رسالته إلى رومية بقوله إنهم «أَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى وَالطُّيُورِ وَالدَّوَابِّ وَالزَّحَّافَاتِ» وهو يقصد بذلك عبادتهم للأصنام. ثم يقول إنه: «لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضاً فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ، لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِمِ.. لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ.. أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ، لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ» (رومية ١: ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٨).

وفي أفسس ٢: ١١، ١٢ يذكر الرسول سبعة أوصاف لحالة الأمم في الماضي:

(أ) «**الْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ الْمَدْعُوِّ خِتَاناً مَصْنُوعاً بِالْيَدِ فِي الْجَسَدِ**» (آية ١١).

كان اليهود المختونون «باليد في الجسد» يُسمّون الأمم «غرلة» بمعنى أنهم غير مختونين. وكان الختان علامة العهد بين الله وإبراهيم إذ أمره الله: «هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» (تكوين ١٧: ٩-١٤).

وكان الختان يتم في اليوم الثامن لولادة المولود، حتى لو كان ذلك اليوم يوم سبت، وهو اليوم الذي لا يُعمل فيه عملٌ ما حسب الوصية الرابعة (خروج ٢٠: ٨). فيكون أن فريضة الختان أكثر أهمية من وصية حفظ يوم السبت. وكان فرض الختان فرضاً دينياً يميز بين نسل إبراهيم عن باقي الناس، ومعناه تكريس الجسد، لذلك كان اليهود يسمّون باقي الشعوب «أهل الغرلة» ويحتقرونهم جداً، كما نرى من كلام داود عن جليات وهو يخاطب الملك شاول «قَتَلَ عَبْدُكَ الأَسَدَ وَالدُّبَّ جَمِيعاً. وَهَذَا الْفِلِسْطِينِيُّ الأَغْلَفُ يَكُونُ كَوَاحِدٍ مِنْهُمَا لأَنَّهُ قَدْ عَيَّرَ صُفُوفَ اللَّهِ الْحَيِّ» (١صموئيل ١٧: ٣٦). وفي بكاء داود على موت شاول يقول: «لاَ تُخْبِرُوا فِي... لِئَلاَّ

تَشْمَتَ بَنَاتُ الْغُلْفِ» (٢صموئيل ١: ٢٠). والمقصود أن الأمم لم تكن بهم علامة عهد مع الله، وكان اليهود يعيرونهم بأنهم أهل الغرلة الغلف، وهم يرتلون لأورشليم قائلين: «لأَنَّهُ لاَ يَعُودُ يَدْخُلُكِ فِي مَا بَعْدُ أَغْلَفُ وَلاَ نَجِسٌ» (إشعياء ٥٢: ١).

(ب) «أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ» (آية ١٢)

لم يكن لدى الأمم رجاء بمجيء المسيح المسيا المخلص. وقال المسيح للمرأة السامرية: «أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ. لأَنَّ الْخلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ» (يوحنا ٤: ٢٢). فقد كان اليهود ينتظرون مجيء الفادي المنتظر، لكن الأمم كانوا في ظلام.

(جـ) «أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ» (آية ١٢)

الرعوية هي جنسية الإنسان، فيقول المصريون مثلاً إنهم رعايا جمهورية مصر العربية، والمؤمنون بالمسيح يقولون إنهم رعايا ملكوت السماوات. وكانت الرعوية الإسرائيلية تعني أن الله ملك الإنسان، وأن التوراة هي دستور المؤمن. لكن الأمم كانوا رعايا الأصنام التي يعبدونها، ودستورهم تعاليم الأوثان، فقد كانوا أجانب عن رعوية إسرائيل.

والكلمة «**أجنبيين**» معناها أنهم مُبعَدون، غرباء، ليس لهم الإله الحقيقي، ولا يعرفون كلمته الصالحة.

(د) «غُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ» (آية ١٢)

الغريب ليس من أهل البلاد. والعهود والوعود الملكية مقصورة على أهل البلد وحدهم. وفي ملكوت السماوات وعد واحد أساسي، تُبنَى عليه عهود كثيرة. وهذا الموعد الأوحد هو الذي نادى به بولس في أنطاكية قائلاً: «إِنَّهُ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ.. وَبِهَذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ» (أعمال ١٣: ٣٢-٤١). والرسول الذي يحقق هذا الموعد الواحد هو المسيح، كما قيل: «هَئَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ» (ملاخي ٣: ١).

وما أعظم العهود التي في المسيح! لكن الأمم كانوا غرباء عن العهود الناتجة من موعد مجيء المسيح المخلص.

(هـ) «لاَ رَجَاءَ لَكُمْ» (آية ١٢)

الأمم غرباء عن عهود الموعد، ولا رجاء لهم في الحصول عليه. ليس لهم رجاء في هذا العالم لأنهم بدون مسيح، وليس لهم رجاء في العالم الآتي لأنهم أجنبيون عن ملكوت الله!

كان شعراء اليونان يفتخرون بالماضي، ولكن أنبياء اليهود كانوا يترنمون بأمجاد المستقبل. وكان الرجاء يملأ نفس كاتب الوحي اليهودي، بينما كان الأمم يقولون: «الخير الأعظم أن لا يولد الإنسان قط، والخير الذي بعده أن يموت الإنسان حالاً».

(و) «بِلاَ إِلَهٍ» (آية ١٢)

كانوا يعبدون آلهة كثيرة، لكنهم لم يعرفوا الله الواحد الحي الحقيقي! كان المصريون القدماء يعبدون العجل أبيس.. وهل العجل إله؟ إنهم «بلا إله». ويقول لهم بولس الرسول: «لَكِنْ حِينَئِذٍ إِذْ كُنْتُمْ لاَ تَعْرِفُونَ اللهَ اسْتُعْبِدْتُمْ لِلَّذِينَ لَيْسُوا بِالطَّبِيعَةِ آلِهَةً» (غلاطية ٤: ٨).

«وبلا إله» قد تعني أن ليس فيهم طاعة الله، وليس لهم عون من عند الله.. فقد أعلن الله عن نفسه في الطبيعة، ولكنهم لم يدركوا هذا الإله الحي الحقيقي!

(ز) «فِي الْعَالَمِ» (آية ١٢)

المقصود بكلمة «العالم» أنه المكان الذي لا يمارس العبادة الحقيقية، والذي لا يخضع لسلطان الله لأنه لا يريد ذلك. والذين رفضوا الله صاروا بلا إله ولا رجاء، ويعيشون في العالم الشرير الثائر ضد مشيئة الله الصالحة.

كانت هذه حالة المؤمنين من الأمم قبل أن يشرق عليهم نور المسيح، ليرفع قدرهم ويعطيهم أن يكونوا ذوي قيمة «في المسيح».

ثانياً: ما فعله المسيح معهم

(أفسس ٢: ١٣-١٨)

جميل أن يفكر الإنسان في الماضي الذي كان فيه، حتى يقدِّر جميل الله عليه. لكن أجمل من ذلك أن يعرف ما فعله المسيح معه، ليشكر في كل حين على كل شيء. وفي هذه الآيات يقول الرسول: «وَلَكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ». ثم يشرح ما فعله المسيح.

(أ) «صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ» (آية ١٣)

«أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ».

كان اليهود يقولون أن الأمم بعيدون عن الله، فإذا صار أحد الأمم يهودياً كانوا يقولون إنه صار قريباً. والحقيقة هي أن الأمم كانوا بعيدين عن أورشليم مركز العبادة اليهودية، كما كانوا بعيدين عن العبادة التي طلبها الله، تفصلهم مسافة عن الإله الواحد الحي الحقيقي، وتفصلهم مسافة عن نفوسهم الحقيقية، كالابن الضال في الكورة البعيدة.

وجعل المسيح البعيدين قريبين: فأدخلهم إلى الكنيسة، وجعلهم يعرفون الله «وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يوحنا ١٧: ٣).

أما واسطة التقريب فهي «دم المسيح»: «وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الأَعْظَمِ وَالأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ. وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيّاً. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ

دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!» (عبرانيين ٩: ١١-١٥).. «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتاً فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ» (١بطرس ٣: ١٨). قدم المسيح حياته، وسفك دمه لأجل الأمم، ليعطيهم فرصة الاقتراب إلى الله، حتى يصير البعيدون قريبين.

(ب) «جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِداً» (آية ١٤)

كان اليهود يحتقرون الأمم ويقولون إنهم كلاب، وكان الأمم يحتقرون اليهود ويقولون عنهم: «سُنَنُهُمْ مُغَايِرَةٌ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ، وَهُمْ لاَ يَعْمَلُونَ سُنَنَ الْمَلِكِ» (أستير ٣: ٨). وجاء المسيح ونقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة، وهكذا جاء السلام بين المؤمنين بالمسيح من اليهود والأمم، بعد أن جعل الاثنين واحداً.

«هُوَ سَلاَمُنَا»: فهو رئيس السلام (إشعياء ٩: ١٥) رنمت الملائكة في ميلاده «عَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ» (لوقا ٢: ١٤) وقال لنا: «سلاَماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سلاَمِي أُعْطِيكُمْ» (يوحنا ١٤: ٢٧).

«جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِداً» إذ بنى بينهما جسور المحبة، وأوجد السلام بينهما، فهما ليسا بعد اثنين بل جسد واحد رأسه المسيح «لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (غلاطية ٣: ٢٨). في المسيح: « لَيْسَ يُونَانِيٌّ وَيَهُودِيٌّ، خِتَانٌ وَغُرْلَةٌ، بَرْبَرِيٌّ سِكِّيثِيٌّ، عَبْدٌ حُرٌّ، بَلِ الْمَسِيحُ الْكُلُّ، وَفِي الْكُلِّ» (كولوسي ٣: ١١).

وفي الصلاة الشفاعية صلى المسيح أن يكون الجميع واحداً، كما أنه والآب واحد: «وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ، وَأَمَّا هَؤُلاَءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا نَحْنُ» (يوحنا ١٧: ١١). وقد عمل على تحقيق صلاته بأن صار هو نفسه سلامنا، وجعل اليهود والأمم واحداً.

«وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ (أَيِ الْعَدَاوَةَ)»: بنى المحبة وخلق السلام، ونقض العداوة وهدم الابتعاد.

كان اليهودي يتضايق إذا سقط عليه ظل رجل أممي، كما كان لا يأكل مع الأمم. حتى بطرس امتنع عن أن يأكل مع الأمم، مع أنه كان يعلم أن المسيح نقض حائط السياج المتوسط بين الاثنين (غلاطية ٢: ١٢، ١٣). فنقض المسيح هذا الحائط الذي كان يفصل اليهود عن الأمم.

كان الهيكل اليهودي يتكون من قدس الأقداس، ولم يكن يدخله إلا رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة في يوم الكفارة العظيم. ثم كان القدس، وكان الكاهن يدخله يومياً ليحرق البخور وقت تقديم ذبيحة الصباح والمساء. ثم كان دار الكهنة، وفيه كانوا يقدمون ذبيحتين كل يوم على

مذبح المحرقة. ثم كان دار بني إسرائيل، وهي ملاصقة لدار الكهنة، وأخيراً دار النساء وهي خارج دار بني إسرائيل شرقاً.

وحول هذه كانت توجد دار خارجية فسيحة مخصصة للأمم الذين يرغبون في تقديم الذبائح لإله إسرائيل، أو الذين يرغبون في رؤية هيكل اليهود. وكان ممنوعاً أن يتخطى الأممي «حائط السياج» الذي يفصل بين الدار الخارجية والهيكل. وكان «حائط السياج» هذا مبنياً من الحجر، وارتفاعه متر ونصف. وقد وجد الأثريون حجراً مكتوباً عليه «لا يجوز لإنسان من بلد أجنبي أن يتخطى السياج ويدخل منه إلى الهيكل. ومن يفعل ذلك يتحمل المسؤولية».

وفي سفر الأعمال ٢١: ٢٨-٣٠ غضب اليهود على بولس الرسول عندما ظنوا أن تروفيمس المسيحي الأممي من أفسس قد دخل الهيكل، فهاجت المدينة كلها، وتراكض الشعب وأمسكوا بولس وجرّوه خارج الهيكل وضربوه ضرباً شديداً!

ولكن المسيح نقض حائط السياج المتوسط هذا، وأبطل العداوة بين اليهود والأمم.. فإذ الجميع فيه واحد!

(جـ) أبطل ناموس الفرائض (آية ١٥)

«مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً، صَانِعاً سَلاَماً».

كان اليهود مفصولين عن الأمم، وكان الأمم في عداوة مع اليهود، لأن الأمم لم يكونوا يحفظون شريعة موسى أو «نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ». ولذلك يقول بولس الرسول إن المسيح أبطل بجسده ناموس الوصايا في فرائض، ويقول: «إِذاً إِنْ كُنْتُمْ قَدْ مُتُّمْ مَعَ الْمَسِيحِ عَنْ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، فَلِمَاذَا كَأَنَّكُمْ عَائِشُونَ فِي الْعَالَمِ، تُفْرَضُ عَلَيْكُمْ فَرَائِضُ: لاَ تَمَسَّ، وَلاَ تَذُقْ، وَلاَ تَجُسَّ؟ الَّتِي هِيَ جَمِيعُهَا لِلْفَنَاءِ فِي الاِسْتِعْمَالِ، حَسَبَ وَصَايَا وَتَعَالِيمِ النَّاسِ» (كولوسي ٢: ٢٠-٢٢).

لقد بطلت وصايا فرائض العهد القديم لأنها كانت ترمز للمسيح. وعندما جاء المسيح (المرموز إليه) بطل رمز العهد القديم. كل ذبائح العهد القديم مثلاً كانت ترمز إلى الصليب، وعندما صُلب المسيح بطلت الذبائح كلها. هذا ما فعله «إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدّاً لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّراً إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ» (كولوسي ٢: ١٤). وهذا يجعلنا نقول: «وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ، إِذْ مَاتَ الَّذِي كُنَّا مُمْسَكِينَ فِيهِ، حَتَّى نَعْبُدَ بِجِدَّةِ الرُّوحِ لاَ بِعِتْقِ الْحَرْفِ» (رومية ٧: ٦).. «وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُوداً لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ» (رومية ٣: ٢١).. «وَلَكِنْ إِذَا انْقَدْتُمْ بِالرُّوحِ فَلَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ» (غلاطية ٥: ١٨).

وقد أبطل المسيح ناموس الفرائض «**بجسده**» لكي «يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ» (كولوسي ١: ٢٠). وكان موته على الصليب سبب وقف كل فرائض العهد القديم.

هذا الذي أبطل ناموس الوصايا في فرائض. فعل هذا «لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً» فلم يرفع قيمة الأمم حتى يصلوا إلى مستوى اليهود، لكنه رفع اليهود ورفع الأمم معاً إلى حالة جديدة عظيمة. ويقول القديس يوحنا فم الذهب «افرض أن اليهود من الفضة، والأمم من الرصاص.. لقد جاء المسيح وجعلهما معاً من الذهب»! نعم، صاروا ذهباً بعد أن خلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، ثم صار كلاهما خليقة جديدة في المسيح. وبهذا العمل العظيم صنع المسيح السلام بين الاثنين، وأبطل ناموس الوصايا في فرائض الذي كان يميز اليهود عن الأمم.

(د) صالح اليهود والأمم مع الله (آية ١٦)

«وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ».

جعل المسيح اليهود والأمم واحداً، ونقض العداوة التي كانت بينهما، ثم خلق من الاثنين إنساناً واحداً ، بعد أن أبطل ناموس الوصايا في فرائض، وهكذا أكمل المسيح عمله العظيم.

«**وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ**» بمعنى أنه يعيد العلاقة بينهم وبين الله إلى ما كانت عليه، بعد أن يزيل الخطية التي فصلتهم عن بعضهم، وفصلتهم عن الله. وهكذا تم طلب الرسول: «وَلْيَمْلِكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلاَمُ اللهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ» (كولوسي ٣: ١٥) «جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ» (أفسس ٤: ٤).

«**فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ**» بعمل صليبه، وبجسده المكسور. صار الأمم واليهود جسداً واحداً هو الكنيسة، ورأسها المسيح، وأصبح اليهود والأمم معاً أعضاء الكنيسة الواحدة.

«**قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ**» هذه العداوة من جانب واحد. فليس الله عدواً لنا، ولكننا نحن أعداؤه بالفكر والأعمال الشريرة. أما العداوة بين البشر وبعضهم فهي عداوة من الجانبين، لأن اليهود لا يعاملون الأمم، والأمم يكرهون اليهود!

في يسوع المسيح تموت العداوة التي في قلوبنا لله، ونتصالح معه بعد طول خصام، وفيه تموت العداوة بيننا وبين الإخوة ونصير جميعنا واحداً فيه. وعندما نراه معلقاً على الصليب لأجل خلاصنا، نرى حب الله لنا. ونرى ضرورة غفران خطايا من يذنبون إلينا. وإن كان قد سامحنا بالكثير، فكم يجب أن نسامح نحن بعضنا بعضاً؟

(هـ) أعطى الجميع حق الصلاة (آية ١٧، ١٨)

«فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلاَمٍ، أَنْتُمُ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ. لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُوماً فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ».

ما أجمل الخبر المفرح الذي بشرنا به وهو السلام مع الله، والسلام مع بعضنا! هذا ما فعله المسيح الذي قيل عنه إنه «يُنَادِيَ بِنُورٍ لِلشَّعْبِ وَلِلأُمَمِ» (أعمال ٢٦: ٢٣). وهذا ما قاله عن نفسه: إنه راعي الجميع من أمم ويهود: «وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ» (يوحنا ١٠: ١٦).

حقاً «مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَمَيِ الْمُبَشِّرِ الْمُخْبِرِ بِالسَّلاَمِ، الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ الْمُخْبِرِ بِالْخَلاَصِ» (إشعياء ٥٢: ٧). هو الذي ينادي: «سَلاَمٌ سَلاَمٌ لِلْبَعِيدِ وَلِلْقَرِيبِ، قَالَ الرَّبُّ، وَسَأَشْفِيهِ» (إشعياء ٥٧: ١٩).

هذا السلام للبعيدين من الأمم والقريبين من اليهود، أعطى لليهود والأمم معاً «قُدُوماً فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ». «فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ أَيْضاً قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالإِيمَانِ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ، وَنَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ مَجْدِ اللهِ» (رومية ٥: ١، ٢).

لقد فتح لنا المسيح الباب إلى الآب، وعرَّفنا به، وأعطانا فرصة الحديث معه، وهو يقول إنه «الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» (يوحنا ١٤: ٦) وهو «الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى» (يوحنا ١٠: ٩).

كان اليهودي يقترب إلى هيكل الله من بعيد، لكننا الآن وجدنا في المسيح الطريق المفتوح إلى قدس الأقداس، فندخل في جراءة وقدوم عن ثقة (أفسس ٣: ١٢). وفي مخدع الصلاة نلتقي بأقانيم الثالوث الأقدس، فنحن نتقدم إلى الله الآب، بشفاعة الله الابن، وفي الروح الواحد الذي هو الروح القدس.

ثالثاً: حالة الأمم الآن

(أفسس ٢: ١٩-٢٢)

بعد أن شرح الرسول الحالة الأولى التي كانوا فيها، ثم ذكَّرهم بما فعله المسيح لأجلهم قائلاً: «فَلَسْتُمْ إِذاً بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلاً، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ». ثم يذكر لهم بقية أوصاف الحالة الجميلة التي وصلوا إليها:

(أ) صاروا رعية مع القديسين (آية ١٩)

كانوا أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد، ولكنهم الآن صاروا رعية مع القديسين، يحملون الجنسية السماوية، ومن أهل «الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ» (عبرانيين ١١: ١٠) وأمكنهم أن يقولوا: «فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضاً نَنْتَظِرُ مُخَلِّصاً هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (فيلبي ٣ : ٢٠).

والسيرة أو الرعوية أو الجنسية شيء يفتخر به الإنسان. وفي حديث دار بين بولس وبين أمير كان حاكماً في أورشليم، قال الأمير عن رعويته (جنسيته) الرومانية: «أَمَّا أَنَا فَبِمَبْلَغٍ كَبِيرٍ اقْتَنَيْتُ هَذِهِ الرَّعَوِيَّةَ». فَقَالَ بُولُسُ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ وُلِدْتُ فِيهَا» (أعمال ٢٢: ٢٧، ٢٨) وكانت الرعوية شرفاً كبيراً لبولس.

ولكن بولس يكتب لأهل كنيسة أفسس عن رعوية وجنسية أعظم. لسنا رعايا دولة أرضية عظيمة، لكننا رعايا دولة روحية أعظم، هي في المسيح. نحن رعايا ملكوت السماوات مع جميع القديسين! كان الأمم قبلاً غرباء عن رعوية شعب الله، لكنهم اليوم يحملون جنسية السماء، والله إلههم، وهم شعبه.

(ب) صاروا أَهْلِ بَيْتِ اللهِ (آية ١٩)

«لَسْتُمْ إِذاً بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلاً، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ»! الغريب والنزيل صار من أهل البيت! وهو أشرف بيت لأنه «بيت الله»! صاروا مثل موسى الذي قال الله عنه «هُوَ أَمِينٌ فِي كُلِّ بَيْتِي. فَماً إِلى فَمٍ وَعَيَاناً أَتَكَلَّمُ مَعَهُ لا بِالأَلْغَازِ. وَشِبْهَ الرَّبِّ يُعَاينُ» (سفر العدد ١٢: ٧، ٨). وصاروا مثل تيموثاوس الذي قال له بولس: «وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أُبْطِئُ فَلِكَيْ تَعْلَمَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي بَيْتِ اللهِ، الَّذِي هُوَ كَنِيسَةُ اللهِ الْحَيِّ، عَمُودُ الْحَقِّ وَقَاعِدَتُهُ» (١تيموثاوس ٣: ١٥).

وفي رسالة العبرانيين نجد مقارنة بين موسى والمسيح في أمانتهما على بيت الله، فيقول: «مُوسَى كَانَ أَميناً فِي كُلِّ بَيْتِهِ كَخَادِمٍ، شَهَادَةً لِلْعَتِيدِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ. وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَكَابْنٍ عَلَى بَيْتِهِ. وَبَيْتُهُ نَحْنُ إِنْ تَمَسَّكْنَا بِثِقَةِ الرَّجَاءِ وَافْتِخَارِهِ ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ» (عبرانيين ٣: ٥، ٦). فما أعظم

الشرف الذي ارتفعنا إليه، فقد كنّا غرباء ونزلاً وأصبحنا من أهل بيت الملك السماوي العظيم «وَبَيْتُهُ نَحْنُ»!

(جـ) صاروا بناء الله (آيتا ٢٠، ٢١)

«مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ».. صاروا بناء الله على أساس التعليم الذي تعلموه من الرسل والأنبياء. وكان بولس الرسول يحترس من أن يعظ في بلاد سبق أن سمعت عن المسيح، فيقول: «لَيْسَ حَيْثُ سُمِّيَ الْمَسِيحُ، لِئَلاَّ أَبْنِيَ عَلَى أَسَاسٍ لآخَرَ» (رومية ١٥: ٢٠). وكان يفضّل أن يعظ للذين لم يسبق لهم أن سمعوا، فيتمِّم المكتوب: «الَّذِينَ لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ سَيُبْصِرُونَ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوا سَيَفْهَمُونَ» (رومية ١٥: ٢١).

والرسل هم الذين عاينوا المسيح، ونقلوا تعاليمه إلى الناس بعدهم، **والأنبياء** هم وعاظ العهد الجديد الذين وعظوا الناس وعلّموهم كما أعطاهم الروح القدس.. وليس المقصود بهم أنبياء العهد القديم. والدليل على أن المقصود «بالأنبياء» هم معلمو العهد الجديد أن الرسول يذكرهم بعد «الرسل». ولو كان يقصد أنبياء العهد القديم لذكرهم أولاً، بسبب وجودهم قبل الرسل.. ثم أن الرسول يذكر الرسل والأنبياء مرة أخرى في نفس الرسالة، ويقول إن الأنبياء هم معلمو العهد الجديد: «الَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الآنَ لِرُسُلِهِ الْقِدِّيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِالرُّوحِ» (أفسس ٣: ٥).

والواضح أن «الأنبياء» المقصودين هنا هم معلمو العهد الجديد، لأن أنبياء العهد القديم لم يعلِّموا الأمم، ولم يُدخِلوهم ضمن البناء الإلهي. أما عمل أنبياء العهد الجديد فهو بنيان الناس، ووعظهم أي تشجيعهم، وتسليتهم بذكر تاريخ معاملات الله مع شعبه (١كورنثوس ١٤: ٣).

وللبناء حجر زاوية «**ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية**». وكان اليهود يستعملون حجر الزاوية ليربط حوائط البناء معاً. ويقولون في التقليد إنهم أثناء بناء هيكل سليمان رفض البناؤون حجراً غير مستوي الشكل، وألقوه بعيداً. لكن عندما جاء وقت ربط الحوائط معاً لم يجدوا حجر الزاوية، ففتشوا على الحجر الذي ألقوه، وإذ هو الحجر المطلوب. ومعروف أن أحجار هيكل سليمان كانت تجيء من المحاجر منحوتة وجاهزة، ولذلك قال المرنم: «الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا، وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا» (مزمور ١١٨: ٢٢). وقد اقتبس المسيح هذا المزمور في حديثه لليهود (متى ٢١: ٤٢) كما اقتبسه الرسول بطرس في حديثه معهم أيضاً (أعمال ٤: ١١).

ومَن غيرُ المسيح يقدر أن يربط اليهود والأمم؟ ومن يوحِّد القلوب المتنافرة؟ ومن يقرِّب القلوب المتباعدة؟.. يسوع وحده حجر الزاوية يقدر على ذلك. ويقول الرسول بطرس: «الَّذِي إِذْ تَأْتُونَ إِلَيْهِ، حَجَراً حَيّاً مَرْفُوضاً مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ مُخْتَارٌ مِنَ اللهِ كَرِيمٌ. كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مَبْنِيِّينَ كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ، بَيْتاً رُوحِيّاً، كَهَنُوتاً مُقَدَّساً، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ

الْمَسِيحِ. لِذَلِكَ يُتَضَمَّنُ أَيْضاً فِي الْكِتَابِ: هَئَنَذَا أَضَعُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ زَاوِيَةٍ مُخْتَاراً كَرِيماً، وَالَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَنْ يُخْزَى» (١بطرس ٢: ٤-٦).

ويسوع المسيح الذي يربط أبناء الله المتفرقين ويجمعهم إلى واحد «فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّباً مَعاً يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّساً فِي الرَّبِّ». وهو لا يربط البناء معاً فقط، لكنه يكمله أيضاً، فهو يربط كل جزء منه بالجزء الآخر، حتى يكمل البناء. كل واحد من المؤمنين حجر حي، ومجموع الأحجار يتقارب من بعضه إلى أن نراه في النهاية بناءً كاملاً، هيكلاً مقدساً مخصصاً لعبادة الرب، لا مكان فيه لمغارة لصوص.

على أننا لا نرى هذا البناء الآن، لأن السقّالات المستخدمة في المساعدة على البناء تحجب منظر البناء، كما أننا نرى بعض أجزائه ناقصاً.. لكننا نطمئن لأن الله المهندس العظيم قد رسم الخطوط الجميلة، ويعمل على تنفيذها. وسيأتي اليوم الذي يكمل فيه كل البناء، ويتركب معاً. عندئذٍ نرى الكنيسة مقدسة بلا عيب، لا دنس فيها. ووقتها تستحق أن ندعوها «هيكلاً مقدساً في الرب»!

(د) صاروا مسكن الله (آية ٢٢).

يسكن الله في هذا البناء، ويحل وسط شعبه، وحيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه فهناك يكون في وسطهم. ويقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس إنه عندما أخربت أورشليم عام ٧٠ ميلادية سمع الموجودون عند الهيكل صوتاً يقول: «لنذهب من هنا» وهم يقصدون أن الله هجر هيكل أورشليم.. نعم هجره، لأنه اتَّخذ من قلوب المؤمنين به مسكناً روحياً حلَّ فيه.

وهو يسكن في هذا البناء الروحي لسببين:

(أ) ليعرف شعبه أنه حاضر معهم، فيتشجعون.

(ب) ليقبل منهم الخدمة والعبادة.

طلب الله من موسى أن يبني له مسكناً. قال: «فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِساً لأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ» (خروج ٢٥: ٨).. وتساؤل الرسول بولس: «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟» (١كورنثوس ٣: ١٦). وهكذا نرى كيف جاء الله بالبعيدين وجعلهم قريبين، فصار كل من يؤمن به من اليهود أو من الأمم بناءً مقدساً له، يسكن فيه، ليرى كل الناس مجده في أولاده، حتى «يُتَعَجَّبَ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ» (٢تسالونيكي ١: ١٠) ويكونون شهادة له. وصدق بطرس وهو يقول في بيت كرنيليوس الأممي: «بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ، بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ» (أعمال ١٠: ٣٤، ٣٥)».

الفصل الخامس

بولس وسر الأمم

(أفسس ٣: ١-١٣)

«١بِسَبَبِ هَذَا أَنَا بُولُسُ، أَسِيرُ الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الأُمَمُ، ٢إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي لأَجْلِكُمْ. ٣أَنَّهُ بِإِعْلاَنٍ عَرَّفَنِي بِالسِّرِّ. كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالإِيجَازِ. ٤الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ. ٥الَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الآنَ لِرُسُلِهِ الْقِدِّيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِالرُّوحِ: ٦أَنَّ الأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالإِنْجِيلِ. ٧الَّذِي صِرْتُ أَنَا خَادِماً لَهُ حَسَبَ مَوْهِبَةِ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي حَسَبَ فِعْلِ قُوَّتِهِ. ٨لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ أُعْطِيَتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ، أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ الأُمَمِ بِغِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لاَ يُسْتَقْصَى، ٩وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. ١٠لِكَيْ يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ، ١١حَسَبَ قَصْدِ الدُّهُورِ الَّذِي صَنَعَهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا. ١٢الَّذِي بِهِ لَنَا جَرَاءةٌ وَقُدُومٌ بِإِيمَانِهِ عَنْ ثِقَةٍ. ١٣لِذَلِكَ أَطْلُبُ أَنْ لاَ تَكِلُّوا فِي شَدَائِدِي لأَجْلِكُمُ الَّتِي هِيَ مَجْدُكُمْ» (أفسس ٣: ١-١٣).

رأينا في الفصل الماضي (٢: ١١-٢٢) حديث الرسول بولس عن البعيدين من الأمم واليهود الذين نالوا شرف الحصول على جنسية (رعوية) جديدة واحدة هي جنسية ملكوت السماوات، وصاروا أهل بيت واحد هو بيت الله، وكيف أصبحوا حجارة في مبنى واحد، هيكلاً مقدساً يسكن فيه الله!

وعندما وصل بولس الرسول إلى ذكر المركز العظيم الذي وصل إليه الأمم، ذكر نصيبه في توصيل الرسالة إلى الأمم، وذكر متاعبه وخدمته لتوصيل الإنجيل إليهم. وهنا بدأ يذكر ويشرح خدمته «لسر الأمم» وهو يتحدث عن «إنجيل الأمم». ونرى في هذه الفقرة:

١- سر الأمم عطية لبولس (٣: ١-٥)

٢- موضوع هذا السر (٣: ٦)

٣- بولس يعلن سر الأمم (٣: ٧-٩)

٤- الغاية من إعلان هذا السر (٣: ١٠-١٢)

٥- خاتمة حديث بولس عن خدمته (٣: ١٣)

أولاً: سر الأمم عطية لبولس

(أفسس ٣: ١-٥)

«**بِسَبَبِ هَذَا**» هذا الذي ذكره من مجد وشرف نالهما الأمم نتيجة عطاء نعمة المسيح.. «أَنَا بُولُسُ، **أَسِيرُ الْمَسِيحِ** يَسُوعَ لأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الأُمَمُ».. بسبب ما قاله الله عنه: «هَذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ. لأَنِّي سَأُرِيهِ كَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي» (أعمال ٩: ١٥، ١٦).

وفي حديث بولس إلى المؤمنين في أورشليم ذكر لهم كيف استخدمه الله لخلاص الأمم «فَلَمَّا سَمِعُوا كَانُوا يُمَجِّدُونَ الرَّبَّ. وَقَالُوا لَهُ: «أَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الأَخُ كَمْ يُوجَدُ رَبْوَةً مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا، وَهُمْ جَمِيعاً غَيُورُونَ لِلنَّامُوسِ، وَقَدْ أُخْبِرُوا عَنْكَ أَنَّكَ تُعَلِّمُ جَمِيعَ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَيْنَ الأُمَمِ الارْتِدَادَ عَنْ مُوسَى، قَائِلاً أَنْ لاَ يَخْتِنُوا أَوْلاَدَهُمْ وَلاَ يَسْلُكُوا حَسَبَ الْعَوَائِدِ. فَإِذاً مَاذَا يَكُونُ؟ لاَ بُدَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْ يَجْتَمِعَ الْجُمْهُورُ، لأَنَّهُمْ سَيَسْمَعُونَ أَنَّكَ قَدْ جِئْتَ» (أعمال ٢١: ٢٠-٢٨).

واجتمع الجمهور فعلاً، ووقف بولس يشرح لهم عن رسالته وخدمته بعد أن نال الحياة الجديدة في المسيح. ثم قال: «فَقَالَ لِي: اذْهَبْ فَإِنِّي سَأُرْسِلُكَ إِلَى الأُمَمِ بَعِيداً». فَسَمِعُوا لَهُ حَتَّى هَذِهِ الْكَلِمَةَ ثُمَّ صَرَخُوا قَائِلِينَ: «خُذْ مِثْلَ هَذَا مِنَ الأَرْضِ، لأَنَّهُ كَانَ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَعِيشَ».

ونتيجة لهذا كله دخل بولس السجن، وسمحوا له أن يقيم وحده مع الجندي الذي كان يحرسه (أعمال ٢٨: ١٦). ثم أقام سنتين كاملتين في بيت استأجره لنفسه، وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه (أعمال ٢٨: ٣٠) وهو ينتظر المحاكمة أمام نيرون.

* * *

«**بُولُسُ، أَسِيرُ الْمَسِيحِ يَسُوعَ**» فهو «سفير في سلاسل» ظهرت سلاسله ووثُقه في كل دار الولاية (فيلبي ١: ١٣). وهو أسير ليس بسبب إجرامي أو سياسي، لكن بسبب شهادته للأمم برسالة المسيح.

صحيح أن قلبه ومشاعره كانت مأسورة للمسيح منذ أن سأل: «يَا رَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟» (أعمال ٩: ٦)، وحال قلبه يقول: «لأَنِّي حَامِلٌ فِي جَسَدِي سِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ» (غلاطية ٦: ١٧) و«لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا» (٢كورنثوس ٥: ١٤). لكن جسده كان أيضاً أسير المسيح يسوع في السجن لأجل بشارة الإنجيل.

ولا يذكر بولس آلامه ليفتخر على الأمم، لكن ليُظهِر عظمة نعمة الله التي جعلت مضطهِد الكنيسة يحتمل الاضطهاد من أجلها.

(أ) سر الأمم عطية لبولس (أفسس ٣: ٢):

«إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي لأَجْلِكُمْ». «إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ» معناها «ما دمتم قد سمعتم». وقال لأهل غلاطية: «اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ، كَمَا بُطْرُسُ عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ– فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بُطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ عَمِلَ فِيَّ أَيْضاً لِلأُمَمِ» (غلاطية ٢: ٧، ٨). وقال له الرب: «لأَنِّي لِهَذَا ظَهَرْتُ لَكَ، لأَنْتَخِبَكَ خَادِماً وَشَاهِداً بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأَظْهَرُ لَكَ بِهِ، مُنْقِذاً إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ، لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيباً مَعَ الْمُقَدَّسِينَ» (أعمال ٢٦: ١٦–١٨)». وقال الرب لحنانيا عن بولس «اذْهَبْ لأَنَّ هَذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ» (أعمال ٩: ١٥).

جعل الله بنعمته بولس وكيلاً عنه يحمل رسالته للأمم، فإن «**تَدْبِير نِعْمَةِ اللهِ**» هو نظام الله في بيته. والله المدبِّر رب بيت يوزِّع بركاته على أفراد بيته بنظام دقيق يضمن أن يأخذ كل فرد نصيبه. وقد جعل الله بولس وكيلاً على توزيع بركات الإنجيل للأمم.

والكلمة «تدبير» في اللغة اليونانية تتكوَّن من كلمتين هما «قانون – بيت» فيكون أن نعمة الله جعلت الأمم يدخلون هذا البيت ويكونون من «أهل بيت الله» وبولس الكارز لهم. هذا التدبير، وهذه النعمة «معطاة لي لأجلكم» كما قال لمؤمني غلاطية «لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ، أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَماً» (غلاطية ١: ١٥، ١٦). وقال: «فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بُطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ عَمِلَ فِيَّ أَيْضاً لِلأُمَمِ» (غلاطية ٢: ٨). فلم يأخذ خدمته من البشر؛ ولا باستحسانه الشخصي. لكن الله أعطاها له ليبشِّر الأمم.

(ب) سر الأمم إعلان لبولس (٣–٥)

«**أَنَّهُ بِإِعْلاَنٍ عَرَّفَنِي بِالسِّرِّ**»: لأنه لم يقبله من عند إنسان، ولا علَّمه إياه أحدٌ، بل «بإعلان يسوع المسيح». وهو يدعو هذا السر «**إنجيله**» لأن الله أعلنه له «حَسَبَ إِنْجِيلِي وَالْكِرَازَةِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، حَسَبَ إِعْلاَنِ السِّرِّ الَّذِي كَانَ مَكْتُوماً فِي الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَلَكِنْ ظَهَرَ الآنَ وَأُعْلِمَ بِهِ جَمِيعُ الأُمَمِ بِالْكُتُبِ النَّبَوِيَّةِ، حَسَبَ أَمْرِ الإِلَهِ الأَزَلِيِّ، لإِطَاعَةِ الإِيمَانِ» (رومية ١٦: ٢٥، ٢٦). بل أن الله أعلن لبولس إعلانات عظيمة حتى قال: «وَلِئَلاَّ أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعْلاَنَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلاَكَ الشَّيْطَانِ، لِيَلْطِمَنِي لِئَلاَّ أَرْتَفِعَ» (٢كورنثوس ١٢: ٧).

وقد كتب بولس عن هذا الإعلان. و«الإعلان» هو كشف الغطاء عن شيء، فقد كشف الله الغطاء لبولس عن خلاص الأمم، فكتب (في أفسس ٢: ١١–٢٢). ولذلك يقول: «**كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالإِيجَازِ**» وكأنه يقول: كما كتبت أعلاه.

«الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ» ليس للفخر ولكن حتى يتأكدوا من صدق قوله، لخير نفوسهم الأبدي. لذلك يجب أن نقرأ نحن كلمة الله، حتى نقدر أن ندرك الأسرار العظيمة الموجودة في الكلمة المقدسة، والتي أعلنها الله لنا بروحه على يد كاتبي الوحي المقدس.

هذا الإعلان والسر لم يسبق أن أعلنه الله بمثل هذا الوضوح «الَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الآنَ». صحيحٌ أنه كانت هناك فكرة ضئيلة عن دخول الأمم إلى ملكوت الله، كما دخلت راحاب ثم راعوث؛ وكما كرز يونان لأهل نينوى المدينة الأممية. وقد أعلن الأنبياء هذه الفكرة، فيقول إشعياء مثلاً «وَأَبْنَاءُ الْغَرِيبِ الَّذِينَ يَقْتَرِنُونَ بِالرَّبِّ لِيَخْدِمُوهُ، وَلِيُحِبُّوا اسْمَ الرَّبِّ لِيَكُونُوا لَهُ عَبِيداً، كُلُّ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ السَّبْتَ لِئَلاَّ يُنَجِّسُوهُ وَيَتَمَسَّكُونَ بِعَهْدِي، ٧آتِي بِهِمْ إِلَى جَبَلِ قُدْسِي، وَأُفَرِّحُهُمْ فِي بَيْتِ صَلاَتِي» (إشعياء ٥٦: ٦، ٧). ويقتبس بولس الرسول قول النبي هوشع: «سَأَدْعُو الَّذِي لَيْسَ شَعْبِي شَعْبِي، وَالَّتِي لَيْسَتْ مَحْبُوبَةً مَحْبُوبَةً. وَيَكُونُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فِيهِ لَسْتُمْ شَعْبِي أَنَّهُ هُنَاكَ يُدْعَوْنَ أَبْنَاءَ اللهِ الْحَيِّ» (هوشع ٩: ٢٥، ٢٦). وقال الرسول يعقوب: «سِمْعَانُ قَدْ أَخْبَرَ كَيْفَ افْتَقَدَ اللهُ أَوَّلاً الأُمَمَ لِيَأْخُذَ مِنْهُمْ شَعْباً عَلَى اسْمِهِ. وَهَذَا تُوافِقُهُ أَقْوَالُ الأَنْبِيَاءِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ» (أعمال ١٥: ١٤، ١٥).

ولكن الإعلان الوافي الكامل الواضح بدخول الأمم إلى الإيمان لم يكن قد جاء. فقد قال النبي إشعياء مثلاً: «خَرَاباً تَخْرَبُ الأُمَمُ» (٦٠: ١٢) وعندما دخل بطرس بيت كرنيليوس خاصمه المسيحيون الذين من أصل يهودي (أعمال ١١: ٢)

هذا هو «الْخَلاَصَ الَّذِي فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النِّعْمَةِ الَّتِي لأَجْلِكُمْ» (١بطرس ١: ١٠). هذا الخلاص ظهر وقد «**أُعْلِنَ الآنَ لِرُسُلِهِ الْقِدِّيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِالرُّوحِ**».

والرسل هم الذين اختارهم الرب وأعطاهم مواهب ثم أرسلهم، وصنع منهم **قديسين وأنبياء** ووعاظ العهد الجديد الذين يكلمون الناس بكلمات بنيان ووعظ وتسلية، وأعلن لهم الله الإعلان الكامل لخلاص الأمم.

ولقد أعلن الله هذا بكل وضوح في يوم الخمسين عندما حلَّ الروح القدس على المؤمنين من اليهود ومن الأمم على السواء؛ كما أعلنه بإرسال كارزين إلى اليهود والأمم، حسب الأمر «وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ، وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ، وَالسَّامِرَةِ، وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (أعمال ١: ٨).

ثانياً: موضوع هذا السر

(أفسس ٣: ٦)

«أَنَّ الأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالإِنْجِيلِ».

هذا هو السر الذي أعطاه الله لبولس، وأعلنه له، وجعله وكيلاً فيه لتدبير بيته، بعد أن صار لكل من يؤمن من الأمم واليهود فرصة ليكون عضواً في عائلة «أهل بيت الله». هذا هو السر الذي طلبه بولس وهو يصلي لأجل أهل كولوسي، فقال: «مُصَلِّينَ فِي ذَلِكَ لأَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضاً، لِيَفْتَحَ الرَّبُّ لَنَا بَاباً لِلْكَلاَمِ، لِنَتَكَلَّمَ بِسِرِّ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَنَا مُوثَقٌ أَيْضاً» (كولوسي ٤: ٣).

«**الأمم شركاء**»: «أَمَّا الأُمَمُ فَمَجَّدُوا اللهَ مِنْ أَجْلِ الرَّحْمَةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَأَحْمَدُكَ فِي الأُمَمِ، وَأُرَتِّلُ لاسْمِكَ». وَيَقُولُ أَيْضاً: «تَهَلَّلُوا أَيُّهَا الأُمَمُ مَعَ شَعْبِهِ». وَأَيْضاً: «سَبِّحُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَامْدَحُوهُ يَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ». وَأَيْضاً يَقُولُ إِشَعْيَاءُ: «سَيَكُونُ أَصْلُ يَسَّى وَالْقَائِمُ لِيَسُودَ عَلَى الأُمَمِ. عَلَيْهِ سَيَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ» (رومية ١٥: ٩-١٢).

(أ) الأمم شركاء في الميراث:

كانوا أجنبيين عن الرعوية، لا رجاء لهم.. ولكنهم صاروا شركاء في الميراث «لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ. لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ فَأَنْتُمْ إِذاً نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ... ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً: «يَا أَبَا الآبُ». إِذاً لَسْتَ بَعْدُ عَبْداً بَلِ ابْناً، وَإِنْ كُنْتَ ابْناً فَوَارِثٌ لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ» (غلاطية ٣: ٢٧-٢٩ و٤: ٦، ٧). الله أبوهم كما أنه آبٌ لكل من يقبل المسيح. وما داموا أبناء فإنهم ورثة «وشركاء في الميراث».«وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يوحنا ١: ١٢).

(ب) الأمم شركاء في الجسد:

جعل الله اليهود والأمم واحداً، وخلق الاثنين في المسيح إنساناً واحداً جديداً، وتصالح الاثنان مع الله في جسد واحد بالصليب. «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، كَذَلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً. لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً. وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً» (١كورنثوس ١٢: ١٢، ١٣).

(جـ) الأمم شركاء في نوال الموعد:

كانوا غرباء عن عهود الموعد، لكنهم صاروا شركاء في نوال الموعد موعد الخلاص بالمسيح «لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ» (غلاطية ٣: ١٤).

هذه الشركة لليهود والأمم معاً في بركات الإنجيل هي «في المسيح بالإنجيل» المسيح مصدرها، والإنجيل إعلانها. المسيح هو الصلة الداخلية فيها، والإنجيل هو الواسطة الظاهرة لها. كم نشكر الله على ما فعله المسيح لأجلنا! وكم نشكره على الخبر المفرح في بشارة الإنجيل المبهجة.

ثالثاً: بولس يعلن سر الأمم
(أفسس ٣: ٧-٩)

(أ) خدمة الإعلان (آية ٧)

«الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ. لاَ الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ. لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ، وَلَكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي» (٢كورنثوس ٣: ٦). ثم يقول عن الإنجيل «الَّذِي صِرْتُ أَنَا بُولُسَ خَادِماً لَهُ» (كولوسي ١: ٢٣).

وكلمة «**خادم**» تحمل معنى النشاط والفاعلية، وفيها معنى العمل بسبب الوازع الشخصي، كما يعمل التاجر ويتعب ليزيد دخله! وبولس يتعب ويجاهد ليربح الأمم... كما تحمل معنى التبعية، فالخادم لا بد أن يخدم شخصاً أو قضية. وبولس يخدم يسوع المسيح وقضية الإنجيل... وهي تحمل معنى التضحية، فلا خدمة بدون تضحية!.. وهذه الخدمة شرف «حسب موهبة نعمة الله» فإن الموهبة هي نعمة الله، أو أنها نتيجة عمل نعمة الله. ويقول بولس: «أَنَا أَشْكُرُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ رَبَّنَا الَّذِي قَوَّانِي، أَنَّهُ حَسِبَنِي أَمِيناً، إِذْ جَعَلَنِي لِلْخِدْمَةِ، أَنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلاً مُجَدِّفاً وَمُضْطَهِداً وَمُفْتَرِياً. وَلَكِنَّنِي رُحِمْتُ، لأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ إِيمَانٍ. وَتَفَاضَلَتْ نِعْمَةُ رَبِّنَا جِدّاً مَعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (١تيموثاوس ١: ١٢-١٤).

وأُعطيت هذه الخدمة لبولس بقوة «حسب فعل قوته» التي غيَّرت المفتري ليخدم الطريق الذي سبق أن اضطهده. كان لا بد أن يتجدد، وكان تجديده يتطلب قوة من الله تعمل فيه. وهكذا عمل الله فيه بفعل قوته «حسب عمله الذي يعمل فيَّ بقوة». وبعد أن تجدد وتغيَّر عملت فيه قوة الله ليحتمل المتاعب والاضطهاد لأجل الإنجيل.

ولا زالت هذه القوة مستعدة أن تعمل فينا، للتغيير، والتقوية.

(ب) بشر به وأعلنه (آية ٨)

«لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ أُعْطِيَتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ، أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ الأُمَمِ بِغِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لاَ يُسْتَقْصَى». فمن فضل الله عليه أن أنعم عليه بخدمة الكرازة مع أنه أصغر القديسين، وقد سبق له أن هاجم الكنيسة واضطهد المؤمنين قبل أن يخلصه الله ويجعله كارزاً. وكلمة «**أصغر**» هنا معناها: أصغر من الأصغر. ومن الجميل أن نلاحظ أن بولس الرسول عام ٥٩ للميلاد دعا نفسه أصغر الرسل (١كورنثوس ١٥: ٩)؛ ثم تواضع درجة أكبر فكتب عام ٦٤م يقول إنه أصغر القديسين؛ ثم تواضع أكثر، وفي عام ٦٥م دعا نفسه أول الخطاة (١تيموثاوس ١: ١٥). وكلما ارتقى الإنسان في النعمة شعر بفضل الله عليه أكثر، وشعر بخطئه أكثر وتواضع أكثر! وقد صلى يوحنا فم الذهب قائلاً: «يا رب أعطني التواضع، واجعل نفسي تسير على هذا المستوى دوماً». وما أجمل أن نتواضع نحن أيضاً، فلا نرتئي فوق ما ينبغي أن نرتئي.

وبولس يشعر بهذه النعمة والفضل، فبالنعمة خلص (١تيموثاوس ١: ١٤، ١٥)؛ وبالنعمة دعاه الله للخدمة (غلاطية ١: ١٥، ١٦)؛ وبالنعمة وصل إلى ما وصل إليه (١كورنثوس ١٥: ١٠)؛ وبالنعمة صار كارزاً (أفسس ٣: ٨).

أما النعمة فكانت التبشير «بغنى المسيح الذي لا يُستقصى». فلم يحتفظ بحق الإنجيل لنفسه، لكنه أوصله للبعيدين وبشرهم به، فقد شعر أن الكنز الذي معه ليس له وحده، فهو غِنى «لا يُستقصى» لا يمكن أن يُحصى أو يُعرف مقداره، ولا تقدر أن تقتفي أثره. وقد اعتاد واعظ عظيم أن يكتب مواعظه كلمة كلمة، ولما سألوه عن السبب، قال: «أخاف أن أسرح ولا أنتهي وأنا أشرح الحق الإلهي لكثرة الغِنى الذي فيه».

(جـ) أنار به (آية ٩)

«وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ».

«ينير الجميع» بأن يلقي الضوء على شركة الأمم في هذا السر الذي كان مكتوماً، لكنه صار اليوم معروفاً بفضل إعلان الله له. ما أجمل ما قيل إن الكنيسة شمعدان والرعاة أنوار يضيئون عندما يعلّمون الناس كلمة الإنجيل، فهي مثل «سِرَاجٍ مُنِيرٍ فِي مَوْضِعٍ مُظْلِمٍ» (٢بطرس ١: ١٩). صحيح أن البشر ينحدرون إلى هاوية سحيقة، وقد أعمى الشيطان عيونهم، لكن الكرازة تضيء لهم بإنارة إنجيل مجد المسيح (٢كورنثوس ٤: ٤)، فتنفتح عيونهم ويرجعون من ظلمات إلى نور (أعمال ٢٦: ١٨)، وتُنار أمامهم الحياة والخلود (٢تيموثاوس ١: ١٠).

هذا السر المكتوم في «الله خالق الجميع بيسوع المسيح» فهو خالق الكون، وهو الذي أوجد طريق الفداء، وهو الذي يعلن لنا خلاصه بيسوع المسيح، ثم يخلقنا في يسوع المسيح خليقة

جديدة. وقد جعل الله نظاماً وتوقيتاً لكل شيء، ومن نظامه وتوقيته أن يعلن سره في وقت خاص. وعندما جاء الميعاد أعلن الله تدبيره ونظام بيته في يسوع المسيح.

رابعاً: الغاية من إعلان السر
(أفسس ٣: ١٠-١٢)

(أ) ليعرف الرؤساء حكمة الله (آيتا ١٠، ١١)

«لِكَيْ يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ، حَسَبَ قَصْدِ الدُّهُورِ الَّذِي صَنَعَهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا».

أراد الله أن يكشف للملائكة حكمته، فإننا «صِرْنَا مَنْظَراً لِلْعَالَمِ لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ» (١كورنثوس ٤: ٩). وتشتهي الملائكة أن تطَّلع على أخبار الفداء والخلاص (١بطرس ١: ١٢) ولذلك يقول الرسول: «قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ: أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ، وَكَنِيسَةِ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ» (عبرانيين ١٢: ٢٢). وتفرح الملائكة «فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارّاً لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ» (لوقا ١٥: ٧).

قال أحد القديسين: «الكنيسة جامعة يدرس فيها الملائكة أسرار الفداء عندما يرون عمل الله مع المؤمنين» ولا شك أن معرفة «الرؤساء والسلاطين في السماويات» عن محبة الله تزيد كلما رأوا نعمة الله تخلِّص خاطئاً ضالاً وتقبله.

إنهم يعرفون من الكنيسة «حكمة الله المتنوعة» ومعناها «الحكمة الكثيرة الألوان» التي تظهر في معاملات الله مع البشر في أحوالهم المختلفة: وفي الصحة والمرض؛ في الغنى والفقر؛ في الخوف والطمأنينة.. وفي كل ظرف من هذه تقود الحكمة الإلهية بعض الأشخاص للخلاص، فإن طرق معاملة الله مع الناس تختلف جداً.

قال القديس غريغوريوس النازيانزي: «قبل أن يتجسد المسيح رأى الملائكة حكمة الله في مظهر واحد. لكن بعد التجسد رأوا حكمة الله في مظاهر متنوعة، إذ خلقت من الموت حياة ومن الهوان مجداً».

وهذا التعريف «حسب قصد الدهور» أي القصد الأزلي البعيد جداً، فليس الموضوع بالصدفة، لكن الحكمة مرسومة حسب قصد قديم مقدس «في المسيح يسوع ربنا». و«مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ مُنْذُ الأَزَلِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ» (أعمال ١٥: ١٨)

(٢) لتكون لنا جراءة القدوم إلى الله (آية ١٢)

«الَّذِي بِهِ لَنَا جَرَاءَةٌ وَقُدُومٌ بِإِيمَانِهِ عَنْ ثِقَةٍ».

«**الجراءة**» هي الكلام الصريح بدون خوف وبدون وسيط، وهي حرية الكلام مع الله. وعندما انكشف سر الأمم أنهم شركاء في نوال موعده في المسيح بالإنجيل صارت لهم «الجراءة» على الكلام مع الله بصراحة. «لَكَ قَالَ قَلْبِي: قُلْتَ اطْلُبُوا وَجْهِي. وَجْهَكَ يَا رَبُّ أَطْلُبُ» (مزمور ٢٧: ٨). فما أعظم هذا الشرف! ما كان يمكن أن تكون لنا جراءة على الله لولا ما فعله المسيح لأجلنا. ومن فضله أعطانا هذه الجراءة.

أما «**القدوم**» فهو حرية المجيء إليه في كل وقت. فالمسيح هو الصديق الذي يدخلنا بيت الله العظيم ويفتح لنا الأبواب، فلا نحتاج إلى من يمد لنا القضيب الذهبي (أستير ٥: ٢) فإننا ندخل مباشرة «**بإيمانه**» **أي** بالإيمان الذي ينشئه هو فينا، والذي موضوعه المسيح وغايته المسيح. وندخل «**عن ثقة**» واثقين أنه لا يطردنا ولا يخزينا ولا يعيرنا.

ولا يعني هذا أننا ندخل إلى محضر الله بجراءة ووقاحة وبدون احترام. لكنها تعني جراءة الابن الواثق المؤمن على أبيه السماوي. «فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً، وَنَجِدَ نِعْمَةً، عَوْناً فِي حِينِهِ» (عبرانيين ٤: ١٦). «فَلاَ تَطْرَحُوا ثِقَتَكُمُ الَّتِي لَهَا مُجَازَاةٌ عَظِيمَةٌ» (عبرانيين ١٠: ٣٥).

خامساً: خاتمة حديث بولس عن خدمته
(أفسس ٣: ١٣)

«لِذَلِكَ أَطْلُبُ أَنْ لاَ تَكِلُّوا فِي شَدَائِدِي لأَجْلِكُمُ الَّتِي هِيَ مَجْدُكُمْ» (أفسس ٣: ١٣).

«لا تكلّوا» أي «لا تملّوا» ولا «تفشلوا». وكأن الرسول يقول: «لا تجعلوا آلامي تفشلكم، فتملّوا من كثرة ما سمعتم عن متاعبي.. فإن هذه الشدائد هي مجدكم، لأن الآلام مجد، وقد وعدنا الله بالألم، وإن كنا نتألم معه فسنتمجد أيضاً معه (رومية ٨: ١٧) ويقول بولس: «لِذَلِكَ أُسَرُّ بِالضَّعَفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالاضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ لأَجْلِ الْمَسِيحِ. لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ» (٢كورنثوس ١٢: ١٠). «لأَنَّهُ كَمَا تَكْثُرُ آلاَمُ الْمَسِيحِ فِينَا، كَذَلِكَ بِالْمَسِيحِ تَكْثُرُ تَعْزِيَتُنَا أَيْضاً» (٢كورنثوس ١: ٥).

الفصل السادس

صلاة بولس الثانية

(أفسس ٣: ١٤-٢١)

«١٤بِسَبَبِ هَذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، ١٥الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ، ١٦لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، ١٧لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ، ١٨وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلْوُ، ١٩وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ. ٢٠وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَكْثَرَ جِدّاً مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا، ٢١لَهُ الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ».

تحدث الرسول في نهاية الأصحاح الثاني من رسالة أفسس عن نصيب الأمم في الملكوت السماوي، ثم رفع صلاةً إلى الله لأجل الأمم.. فبدأ يقول: «بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم». وذكر تدبير نعمة الله التي أعطته شرف خدمة الأمم، فأخذ يشرح موقفه من سر الأمم.. ولكنه عاد إلى الموضوع الأصلي الذي أراد أن يتكلم فيه، وهو الصلاة لأجلهم. وفي الآية الرابعة عشرة بدأ يرفع صلاته الثانية الواردة في هذه الرسالة (درسنا الصلاة الأولى في أصحاح ١: ١٥-٢٣).

وهناك تشابه بين صلاة بولس الأولى والثانية:

* رفع الصلاة الأولى إلى أبي المجد (١: ١٧) والثانية إلى أبي ربنا يسوع المسيح (٣: ١٤).
* في الأولى طلب نوال الروح (١: ١٧) وفي الثانية طلب القوة بروحه (٣: ١٧).
* في الأولى طلب فتح عيون الأذهان ليعلموا كنوز غناه (١: ١٨) وفي الثانية طلب أن يتأسسوا في المحبة ليعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة (٣: ١٩).

وفي صلاة بولس هذه نرى:

١- المصلي وربه (٣: ١٤، ١٥)
٢- طلبات المصلي من ربه (٣: ١٦-١٩)
٣- تمجيد المصلي لربه (٣: ٢٠، ٢١)

أولاً: المصلي وربه

(٣: ١٤، ١٥)

«بِسَبَبِ هَذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ»

في هذين العددين نرى الدافع للصلاة؛ ثم وضع المصلي؛ ثم الإله الذي يصلى إليه.

(أ) دافع الصلاة:

«**بسبب هذا**». بسبب أنكم شركاء في فداء المسيح؛ ولأنكم صرتم مسكن الله في الروح؛ ولئلا تكلوا وتخوروا في الشدائد.. بسبب هذا أصلي لأجلكم.

(ب) وضع المصلي:

«**أحني ركبتيَّ**». قد يكون الجندي الذي يتولى حراسته وثنياً أو يهودياً أو مسيحياً. وقد يكون معه لوقا أو أبفراس أو قد لا يكونان. لكنه ينحني للصلاة راكعاً على ركبتيه. ويسجل لنا الكتاب المقدس أوضاعاً مختلفة للصلاة، فهنا يصلي بولس راكعاً، كما ركع مع القسوس على الشاطئ (أعمال ٢٠: ٣٦)، وكما يدعو المرنم ويقول: «هَلُمَّ نَسْجُدُ وَنَرْكَعُ وَنَجْثُو أَمَامَ الرَّبِّ خَالِقِنَا» (مزمور ٩٥: ٦).. وقد يصلى الإنسان واقفاً كما صلى العشار التائب في الهيكل (لوقا ١٨: ١٣)، وكما نصحنا المسيح: «وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ فَاغْفِرُوا» (مرقس ١١: ٢٥).. وقد يصلي المؤمن منحنياً، كما صلى المسيح، إذ يقول الإنجيل إنه «خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَكَانَ يُصَلِّي» (متى ٢٦: ٣٩).. وقد يصلي الإنسان وهو جالس، إن لم تسمح له صحته بالوقوف، كما يقول الكتاب عن داود «فَدَخَلَ الْمَلِكُ دَاوُدُ وَجَلَسَ أَمَامَ الرَّبِّ» (٢صموئيل ٧: ١٨) لأنه كان قد تقدم في الأيام.

ومن هذا نرى أن الوضع الجسدي ليس هاماً بقدر وضع القلب الخاضع أمام الله. وكل ما يجب أن يكون عليه الإنسان هو وضع الاحترام الروحي «اَللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا» (يوحنا ٤: ٢٤).

(جـ) الإله الذي يصلى إليه:

إنه يرفع صلاته إلى أبي ربنا يسوع المسيح، الذي هو أب كل العشائر. ويقول: «أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» فإن اتصالنا بالآب هو عن طريق المسيح الذي هو الطريق والحق والحياة، الذي لا يأتي أحد إلى الآب إلا به. وبدون المسيح ما كان يمكن أن نقترب إلى الآب. وهو أب العشائر «الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ». وكلمة «عشيرة» مترجمة «قبيلة» في أعمال ٣: ٢٥ ومعناها أبناء الأب الواحد. فإن الأب الواحد هو أب العشائر، وهو أب الكل.

والمقصود بالقول «كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ» أن اليهود كانوا يقولون إن لله عائلتين: العائلة العليا هي الملائكة، والعائلة السفلى هي شعبه. ولكن يوحنا فم الذهب يقول إن المقصود بها هو المؤمنون من اليهود والأمم. على أن الكاتب يرى أن «كل عشيرة» هنا يُقصد بها المؤمنون بالمسيح «لأَنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ» (غلاطية ٣: ٢٦).

ثانياً: طلبات المصلي

(أفسس ٣: ١٦-١٩)

يرفع بولس لله طلبات محددة، فصلاته ليست عائمة بل واضحة. فهو يطلب لهم:

(أ) قوة باطنية (آية ١٦)

«لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ»

كانت طلبته الأولى أن يعطيهم الله حسب غناه في المجد «قوة» فهو يطلب له قوة كبيرة على قدر عظمة غنى الله الذي يعطي على قدر غناه، وبحسب ما عنده. وكلما كان المعطي غنياً وسخياً كان عطاؤه كريماً كثيراً. وإلهنا يعطي «بحسب غنى مجده».

وهو يطلب لهم أن «يتأيدوا بالقوة». والقوة فيها النشاط والحيوية، كما كان الصبي يوحنا المعمدان ينمو ويتقوى بالروح (لوقا ١: ٨٠)، وكما كان الصبي يسوع ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه (لوقا ٢: ٤٠).

والقوة فيها الثبات على الإيمان، كما يوصي الرسول «اسْهَرُوا. اثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ. كُونُوا رِجَالاً. تَقَوُّوا» (١كورنثوس ١٦: ١٣) .

وعندما يتأيد المؤمن بالقوة يكون متقوياً «بِكُلِّ قُوَّةٍ بِحَسَبِ قُدْرَةِ مَجْدِهِ» (كولوسي ١: ١١).

والقوة التي يطلبها لهم هي «**بروحه**» فإن الروح القدس هو روح القوة وليس روح الفشل (٢تيموثاوس ١: ٧). كما طلب لأهل رومية: «وَلْيَمْلأْكُمْ إِلَهُ الرَّجَاءِ كُلَّ سُرُورٍ وَسَلاَمٍ فِي الإِيمَانِ، لِتَزْدَادُوا فِي الرَّجَاءِ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (رومية ١٥: ١٣). وهو روح القوة الذي وعد به المسيح تلاميذه في قوله: «لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ، وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ، وَالسَّامِرَةِ، وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ». (أعمال ١: ٨).

وهو يطلب لهم هذه القوة «في الإنسان الباطن» الذي هو الإنسان الجواني الداخلي، ويدعوه بولس أنه «الداخل» (٢كورنثوس ٤: ١٦)، وبطرس يدعوه «إنسان القلب الخفي» (١بطرس ٣: ٨). وكان تعبير «الإنسان الباطن» تعبيراً معروفاً عند اليونان، وكان يعني:

* العقل – وبولس يطلب لهم قوة العقل ليميزوا بين الخير والشر، ويطلب لهم الحكمة.

* الضمير – وهو يطلب لهم قوة الحساسية، ليشعر ضميرهم دوماً.
* الإرادة – لتكون إرادتهم قوية بقدر قوة رغبتهم في عمل الخير، وذلك حتى تستطيع إرادتهم أن تنفذ رغبتهم القلبية.

(ب) حلول المسيح في القلب (آية ١٧)

«لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ»

بعد أن طلب لهم القوة في عقولهم وضمائرهم وإراداتهم، طلب أن يحل المسيح في قلوبهم، فيستقر المسيح في قلوبهم ويجعلها بيته ومحل إقامته. وهناك إقامة مؤقتة، كما قيل عن إبراهيم إنه تغرب في أرض الموعد (عبرانيين ١١: ٩). ولكن الحلول الذي يطلبه بولس لهم في صلاته هو حلول صاحب البيت في بيته، كما قال المسيح: ««إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً» (يوحنا ١٤: ٢٣). والحلول المقصود هنا يحدث في مدة محددة، ثم يستمر بعد ذلك. وحلول المسيح في القلب يتم يوم أن ينال الإنسان الولادة الجديدة، ويبقى بعد ذلك في القلب.

(جـ) معرفة محبته الفائقة المعرفة (آيتا ١٨، ١٩)

«وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلْوُ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ».

مسكن المسيح فيهم باستمرار يجعلهم يتأصلون ويتأسسون في المحبة، وعنده يدركون عظمة محبة المسيح. إنهم «**يتأصلون**» كالشجرة التي تضرب جذورها في أرض محبة الله، فإن المؤمن «يَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ» (مزمور ١: ٣) «مَغْرُوسِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ، فِي دِيَارِ إِلَهِنَا يُزْهِرُونَ» (مزمور ٩٢: ١٣).

وهم «**متأسسون**» مثل البناء الراسخ «مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّباً مَعاً يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّساً فِي الرَّبِّ» (أفسس ٢: ٢٠، ٢١).

هذا التأصل والتأسس يجعلهم يستطيعون أن يدركوا مع جميع القديسين عرض وطول وعمق وعلو محبة المسيح الفائقة المعرفة. فإن القوة الداخلية في الإنسان الباطن، وحلول المسيح في قلوبنا، وتأصلنا في المحبة.. كل هذا يجعلنا ندرك محبته. والكلمة «يدرك» معناها «يضع يده على» ونحن مع كل القديسين سنضع يدنا على هذه المحبة وندركها، حتى تصير ملكاً لنا.

والذي سندركه مع جميع القديسين هو «العرض والطول والعمق والعلو». ويرى القديس أغسطينوس في هذه الكلمات صليب يسوع المسيح، فإن عرضه وطوله في الخشبة العرضية التي امتدت عليها يدا المسيح تدعوان العالم كله للخلاص، وتنادي: «تَعَالُوا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ

الْمُتْعَبِينَ». أما الخشبة القائمة ففيها العمق والعلو. العمق يصل إلى الخاطئ في شدة خطيتـــه، والعلو يصل إلى الله في عظيم محبته. فإن الصليب يرفع الخاطئ من هاوية الهلاك إلى سماء المجد، وليس شيء يكشف لنا محبة الله قدر صليب المسيح، فهو يظهر لنا «محبـــة المســـيح الفائقة المعرفة» التي قال عنها مارتن لوثر إنها أعظم من كل معرفة. الذي يعرف كل المعرفة ولا يعرف محبة المسيح لا يعرف شيئاً، والذي يعرف محبة المسيح ويجهل كل معرفة أخرى يربح الحياة الأبدية. وهي المحبة التي لا يمكن أن نعرفها كلها، ففي كل يوم نتعلم عنها شـــيئاً جديداً. و يُظهِر كل اختبار لنا في الله المزيد من محبة الله! إنها فائقة المعرفة.

كتب سجين مسيحي، مسجون لأجل المسيح على حائط زنزانته: «إن ملأنـــا البحـــر الكبيـــر بالحبر، وإن جعلنا السماء صفحة للكتابة. وإن جعلنا من كل خشبة في العالم ريشة، ولو جعلنا كل شخص في العالم كاتباً، ثم حاولنا أن نكتب عن محبة الله، ينتهى الحبر من البحر الكبيـــر، وتضيق صفحة السماء الواسعة عن أن تسع الكتابة!».

هذه هي المعرفة التي يريد لنا بولس أن نعرفها عن محبة الله!

(د) الامتلاء إلى كل ملء الله (آية ١٩)

«لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ»

الله ممتلئ بالكمال، وقد حل كل ملئه وكماله في المسيح (كولوسي ٢: ٩) ومطلوب من المؤمن أن يصل إلى كل الملء حتى يمتلئ بالكمال، وقد أرادنا المسيح أن نكون كاملين كما أن أبانـــا الذي في السماوات هو كامل (متى ٥: ٤٨). وسيجيء اليوم الذي نصل فيه إلى كل ملء الله في المعرفة، إذ نعرف كما عُرفنا (١كورنثوس ١٣: ١٢)، فإننا مثل إناء يتصل بخزان مرتفع ممتلئ، ولا بد أن نمتلئ منه، وعندما يحل المسيح بالإيمان في قلوبنا لا بد أن نمتلئ إلى كـــل ملء الله! فنعرفه وقوته وحبه، ونصير مشابهين صورة ابنه (رومية ٨: ٢٩)

ثالثاً: تمجيد المصلي لربه

(أفسس ٣: ٢٠، ٢١)

«وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَكْثَرَ جِدّاً مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَـــا، لَهُ الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ».

طلب الرسول طلبات كبيرة من الله ليُغدقها على أهل أفسس، وطلب لهم «كل ملء الله». فهل طلب أكثر من اللازم؟ حاشا! لقد طلب أن يعطيهم الله «حسب غنى مجده» وهو الذي يعطـــي بسخاء ولا يعير (يعقوب ١: ٥). فهو يعطي فوق كل شيء فوق كل انتظارنا، وأكثر جداً من كل خيالنا أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر!

ليس كثيراً إذاً أن نطلب منه، فإن الذي أقام المسيح من الأموات يعمل فينا بقوته، وقد أقامنا من موت الخطية! ولا زالت قوته مستعدة أن تعمل فينا!

«**له المجد**». له التسبيح والحمد. ومن حقِّه أن نُظهر مجده وعظمته في حياتنا، فيرى الناس مجده فينا، ويظهر مجده في الكنيسة التي في المسيح، والتي رأسها المسيح، بواسطة المسيح الذي يعمل فيها.

له المجد «إلى جميع أجيال دهر الدهور».. في كل جيل وفي كل دهر.. في كل زمن ليكن له المجد حتى نهاية الدهر والزمن، وحتى نهاية الأجيال والبشر.. «يَخْشُونَكَ مَا دَامَتِ الشَّمْسُ وَقُدَّامَ الْقَمَرِ، إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ» (مزمور ٧٢: ٥).

ويختم بولس تمجيده الخشوعي وصلاته بكلمة «آمين» وهي كلمة عبرية معناها «يا رب استجب». يا رب، أيِّد طلبنا ووافق عليه!

* * *

وبهذا يختم بولس الرسول القسم الأول من رسالته إلى أهل أفسس، وهو القسم التعليمي...

وببداية الأصحاح الرابع يبدأ القسم العملي.. وهو القسم الثاني من الرسالة.

القسم الثاني

القسم العملي التطبيقي

(أفسس ٤: ١-٦: ٢٤)

الفصل السابع
ضرورة الوحدة المسيحية
(أفسس ٤: ١-١٦)

«فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ، أَنَا الأَسِيرَ فِي الرَّبِّ، أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا. ٢بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْمَحَبَّةِ. ٣مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ. ٤جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. ٥رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، ٦إِلَهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ. ٧وَلَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ. ٨لِذَلِكَ يَقُولُ: «إِذْ صَعِدَ إِلَى الْعَلاَءِ سَبَى سَبْياً وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا». ٩وَأَمَّا أَنَّهُ صَعِدَ، فَمَا هُوَ إِلاَّ إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضاً أَوَّلاً إِلَى أَقْسَامِ الأَرْضِ السُّفْلَى. ١٠اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ. ١١وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلاً، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ، ١٢لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ، لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ، ١٣إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ. ١٤كَيْ لاَ نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلاَلِ. ١٥بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ، ١٦الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّباً مَعاً، وَمُقْتَرِناً بِمُؤَازَرَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحَصِّلُ نُمُوَّ الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ» (أفسس ٤: ١-١٦).

في الأصحاحات الثلاثة الأولى من هذه الرسالة صعد بنا بولس الرسول إلى جبل عالٍ، حيث رأينا مجد الحياة المسيحية الجديدة، وما جهَّزه الله لنا في المسيح. وفي الأصحاحات الثلاثة الأخيرة ينزل بنا إلى الوادي، حيث يجب أن نخدم الله ونعمل مشيئته.

الجزء الأول كان تعليماً عن العقائد، والجزء الثاني تطبيقي عن الحياة العملية.. الجزء الأول كشف لنا تدبير الله العظيم لخلاصنا، والجزء الثاني يكشف لنا مسئوليتنا نحو هذا التدبير الجميل! وفي هذا يقول: «لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» (أفسس ٢: ١٠).

في الجزء الأول يقول الله لنا: قد جعلتكم قديسين، وفي الجزء الثاني يقول لنا: والآن اسلكوا كقديسين! وما دمنا قد رأينا الأساس الذي جهزه الله للحياة المسيحية، فإننا نجتهد أن نحيا هذه الحياة، ونمارس ما تعلمناه في حياتنا اليومية. «فَاقْبَلُوا بِوَدَاعَةٍ الْكَلِمَةَ الْمَغْرُوسَةَ الْقَادِرَةَ أَنْ تُخَلِّصَ نُفُوسَكُمْ. وَلَكِنْ كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ، لاَ سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نُفُوسَكُمْ» (يعقوب ١: ٢١، ٢٢).

* * *

يبدأ الرسول بولس الجزء الثاني من رسالته بالحديث عن الحياة المسيحية العملية، كما تظهر في الوحدة الروحية بين المؤمنين. رأينا أن الكنيسة تتكون من مؤمنين جاءوا من خلفية يهودية ومن خلفيات وثنية، وكلهم قبلوا المسيح المخلص، وتصالح الاثنان معاً في جسد واحد مع الله، وصارا إنساناً واحداً جديداً. ولذلك طلب الرسول من مؤمني اليهود والأمم أن يكونوا واحداً في تصرفهم وحياتهم.

وفي الأعداد ١-١٦ من الأصحاح الرابع يدعو الرسول إلى حياة الوحدة المسيحية، ويبدأ بالقول: «**فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ**» بسبب ما عرفتموه عن الخلاص الذي لكم جميعاً، وبناءً على ما لكم من أمجاد روحية، أطلب وأحثّ وأرجو «**أَنَا الأَسِيرَ فِي الرَّبِّ**». ولكنه لا يذكر حكاية أسره وسجنه ليعطفوا عليه ويرثوا لحاله، لكنه يريد أن يحسب آلامه مجداً، لأن قيود سجنه علامة طاعته للمسيح (غلاطية ٦: ١٧)؛ وعلامة ثبوته في الإيمان رغم الاضطهاد؛ وعلامة محبته للرب. وهو يجعل من هذه كلها أسباباً تبرر طلبه: «**أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا**».

كانوا أمواتاً بالخطايا لكن الله دعاهم للخلاص، فاستنارت عيون أذهانهم حتى علموا ما هو رجاء دعوته (أفسس ١: ١٨) والدعوة هي الجانب الإلهي من الخلاص، والإيمان والقبول هو استجابة البشر لهذه الدعوة السامية. وما دام الله قد دعاهم للخلاص، فيجب أن يسلكوا السلوك الذي يليق بمن نالوا الخلاص، لأن الله دعاهم، ودعوته لهم بينما كانوا أمواتاً بالخطايا تجعلهم يسلكون السلوك اللائق بمن يحيا بالبر.

هذه الدعوة السماوية هي دعوة عليا في المسيح يسوع (فيلبي ٣: ١٤)؛ وهي دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية (٢تيموثاوس ١: ٩)، وهي دعوة سماوية جعلتنا إخوة قديسين (عبرانيين ٣: ١).

وبناء على هذه الدعوة العظيمة يجب أن نسلك كما يحق لإنجيل المسيح (فيلبي ١: ٢٧)؛ وكما يحق للرب (كولوسي ١: ١٠)؛ وكما يحق لله (١تسالونيكي ٢: ١٢)؛ وكما يحق للدعوة التي دعانا بها. وكما سلك المسيح نسلك نحن أيضاً (١يوحنا ٢: ٦) وأن يكون فينا الفكر الذي في المسيح يسوع (فيلبي ٢: ٥).

ونحن نتأمل السلوك في الوحدة المسيحية، نجد:

١- روح الوحدة المسيحية (آية ٢، ٣)

٢- أساس الوحدة المسيحية (آية ٤-٦)

٣- مظهر الوحدة المسيحية (آية ٧-١١)

٤- غاية الوحدة المسيحية (آية ١٢-١٦)

أولاً: روح الوحدة المسيحية

(أفسس ٤: ٢، ٣)

يذكر الرسول خمسة أشياء يجب أن تكون فينا، حتى تسود بيننا روح الوحدة وهي:

التواضع – الوداعة – طول الأناة – المحبة – السلام.

(أ) التواضع:

التواضع أساس الروح الذي يجب أن يسود بيننا حتى تتحد قلوبنا. والتواضع معناه أن لا نهتم بالأمور العالية (رومية ١٢: ١٦) «لأَنَّهُ إِنْ ظَنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ شَيْءٌ وَهُوَ لَيْسَ شَيْئاً، فَإِنَّهُ يَغِشُّ نَفْسَهُ» (غلاطية ٦: ٣). وعلى هذا فإننا لا يجب أن نفكر في نفوسنا بعُجب وفخر، بل بتواضع، حاسبين الآخرين أفضل من أنفسنا (فيلبي ٢: ٣).

ولم يكن التواضع صفة محترمة عند اليونانيين، فكانوا يصفون النبات الزاحف على الأرض أنه «متواضع». وفي ورقة بردي قديمة وجد العلماء وصف النيل عند التحاريق أنه «متواضع» أي منخفض المستوى. لكن المسيح أظهر لنا أهمية التواضع حين وصف نفسه بأنه وديع ومتواضع القلب (متى ١١: ٢٩).

فكيف نتواضع؟

* يمكن أن نتواضع إذا نظرنا إلى أصلنا. نحن من التراب. من نحن؟ من هو الإنسان حتى يذكره الله، ومن هو ابن آدم حتى يفتكره؟ لننظر إلى أصلنا نكون متواضعين. إننا من التراب وإلى التراب نعود «تَخْرُجُ رُوحُهُ فَيَعُودُ إِلَى تُرَابِهِ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَفْسِهِ تَهْلِكُ أَفْكَارُهُ» (مزمور ١٤٦: ٤).

* ونتواضع عندما ننظر إلى أعمالنا الحسنة في نور ما يطلبه الله منا. كل من يظن أنه صالح وينظر إلى الكمال الذي يطلبه الله منه، يدرك ضعفه، ويتواضع. قال المسيح إنه مهما فعلنا في خدمته فيجب أن نقول إننا عبيد بطالون لم نشتغل كما يجب (لوقا ١٧: ١٠).

* ونتواضع عندما نذكر أن الله هو الذي خلقنا لأعمال صالحة. هو الذي أعطانا الخلاص، بالإيمان، وحتى هذا الإيمان ليس منا لكنه عطيته (أفسس ٢: ٩) فالصلاح الذي فينا ليس منّا،

لكنه من المسيح الذي فينا. لا فضل لنا فيه! أما الخطأ الذي نرتكبه فهو ناتج من ضعفنا وخداع الشيطان لنا! ونحن مسؤولون عنه. وعندما يسود التواضع فينا لا نفتخر على الآخرين، بل نقدِّرهم، فلا ننقسم بل نتحد.

(ب) الوداعة:

عندما نكون ودعاء يحبنا الناس ويتحدون معنا، فنصير كلنا رعية واحدة للراعي الواحد.

* الإنسان الوديع هو الذي كان مثل الوحش، لكن المسيح جعله أليفاً أنيساً. ويقول الرسول يعقوب: «لأَنَّ كُلَّ طَبْعٍ لِلْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ وَالزَّحَّافَاتِ وَالْبَحْرِيَّاتِ يُذَلَّلُ، وَقَدْ تَذَلَّلَ لِلطَّبْعِ الْبَشَرِيِّ» (٣: ٧) وهو يقصد أن الوحوش صارت «وديعة» أي أليفة نافعة لخدمة الإنسان. والإنسان الوديع هو الذي تذلل لله، وصار نافعاً لخدمته.

وأفضل مثال على هذا: شاول الطرسوسي الذي كان يتلف الكنيسة، لكنه تذلل لله، وصار أليفاً أنيساً وديعاً، يتعب من أجل خدمة الله، وينشر رسالة الإنجيل التي كان يضطهدها.

* وهناك معنى ثان للوداعة – وهو الغضب في موعده. فالوديع هو الذي يغضب عندما يجب أن يغضب، وهو يتحكَّم في أعصابه ويملك نفسه عندما يجب أن لا يغضب. «اَلْبَطِيءُ الْغَضَبِ خَيْرٌ مِنَ الْجَبَّارِ، وَمَالِكُ رُوحِهِ خَيْرٌ مِمَّنْ يَأْخُذُ مَدِينَةً» (أمثال ١٦: ٣٢).

إن كنا نرى الشر ولا نغضب نقع في خطية التراخي، لأننا لا نبالي بالشر، وإن كنا نفقد أعصابنا ونغضب، نقع في خطية الغضب، لكن عندما نغضب وقت اللزوم نكون ودعاء.

كان المسيح وديعاً عندما غضب على باعة الحمام والصيارفة في الهيكل، لأنهم جعلوا بيت الصلاة مغارة لصوص (متى ٢١: ١٣).. وكان بولس الرسول وديعاً عندما غضب من مرقس ابن أخت برنابا، ورفض أن يقبله في السفر معه في الرحلة التبشيرية الثانية، لأن مرقس ترك العمل والواجب في الرحلة التبشيرية الأولى (أعمال الرسل ١٥: ٣٦-٤١).

وهذه هي الروح التي يجب أن تسود علينا حتى تتحد الكنيسة. لا يجب أنن صبر على الخطأ، وفي الوقت نفسه يجب أن نتصرف بوداعة الشخص الذي جعله المسيح أليفاً حتى تذلل لله.

على أننا يجب أن نحترس من الغضب. فقد نغضب بأسباب أنانية شخصية، ونحن نظن أن هذا الغضب لخدمة الله. يجب أن نسامح من يسيء إلينا شخصياً، لكن يجب أن نحاسب من يسيء إلى كنيسة المسيح. ولتكن لنا الحكمة حتى نعرف الفرق بين الغضب المقدس، والغضب الشرير. وهذه الحكمة نأخذها من الله. لنطلب من الله أن يجعلنا مثل المسيح الذي قال إنه وديع ومتواضع القلب، والذي يقول عنه بولس الرسول: «وَدَاعَةِ الْمَسِيحِ وَحِلْمِهِ» (٢كورنثوس ١٠: ١).

(جـ) طول الأناة:

إن كنا نريد وحدة الكنيسة فيجب أن نطيل أناتنا. ويطلب بولس الرسول من المؤمنين أن يلبسوا طول الأناة كرداء يحفظهم من الانقسام (كولوسي ٣: ١٢).

*** طويل الأناة لا يفشل:**

إنه يستمر يجاهد دون أن يفقد الأمل، لأن الله لم يعطنا روح الفشل، بل روح القوة والمحبة (٢تيموثاوس ١: ٧).

لقد أطال الله أناته على الناس، كما فعل مع شاول الطرسوسي، فقال: «لَكِنَّنِي لِهَذَا رُحِمْتُ: لِيُظْهِرَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِيَّ أَنَا أَوَّلاً كُلَّ أَنَاةٍ، مِثَالاً لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ» (١تيموثاوس ١: ١٦) وأطال الله أناته على البشر أيام نوح، كما يقول الرسول بطرس: «كَانَتْ أَنَاةُ اللهِ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ، إِذْ كَانَ الْفُلْكُ يُبْنَى، الَّذِي فِيهِ خَلَصَ قَلِيلُونَ، أَيْ ثَمَانِي أَنْفُسٍ» (١بطرس ٣: ٢٠)». وكانت أناة الله مثمرة ربحت شاول الطرسوسي وجعلت منه بولس الرسول، وربحت ثماني أنفس هم نوح وعائلته. فيجب أن نطيل الأناة على المخطئين، ولا يجب أن نتسرع في الحكم ضدهم.

*** طويل الأناة يصبر على الناس:**

يطلب بولس الرسول من تلميذه تيموثاوس أن يعظ بكل أناة وتعليم (٢تيموثاوس٤: ٢). فعندما ننصح أولادنا أو أصحابنا يجب أن نصبر عليهم، ولا نستعجل في إدانتهم، فنحكم عليهم أنهم ضالون أشرار. وحتى إن لم يفهموا الحق يجب أن نستمر في وعظهم بكل أناة.

*** طويل الأناة يتمهل في عقاب المسيء:**

قد نرى الخطأ، ونصبر عليه، ونعظ بكل أناة وتعليم.. لكن بدون فائدة. عند هذا يجب أن نتمهل في عقاب المسيء. تمهل الله مدة مئة وعشرين عاماً قبل أن يوقّع العقاب بالطوفان والهلاك على الناس. ونحن على مثاله نعمل.

لو كان هناك ما يكفي من طول الأناة عند آباء الكنيسة، ما انقسمت الكنيسة. فلنطلب من الله أن يعطينا الكثير من طول الأناة حتى نصلح ما فسد!

(د) المحبة

«مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْمَحَبَّةِ». لكي تكون لنا وحدة يجب أن تكون عندنا محبة «مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً. وَعَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ. وَلْيَمْلِكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلاَمُ اللهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ» (كولوسي ٣: ١٣-١٥).

والمحبة المطلوبة هنا هي محبة الإرادة، عندما ينوي الإنسان أن يخدم إخوته مع سبق الإصرار، مهما كان نوع معاملتهم له: ومهما كلفه ذلك من تعب.. هي المحبة التي رأيناها في السامري الصالح من نحو اليهودي المجروح، مع أن اليهودي يبغض السامري، ومع أن السامري كان سيعرّض نفسه لخطر اللصوص وهو يساعد اليهودي. لكن السامري نسي هذا كله وساعد المجروح المحتاج.

وهي محبة يوسف لإخوته الذين كرهوه وحسدوه وباعوه، لكنه أعطاهم الطعام، وأرجع إليهم ثمنه. ثم دعاهم كلهم ليسكنوا في مصر في كرامة وراحة.

ليس المطلوب منا محبة العاطفة التي توجد اليوم وتضيع غداً أو تزيد اليوم وتنقص غداً، لكن المحبة التي توحّدنا هي محبة الإرادة والعقل، التي نُظهرها في خدمتنا للناس، فإن هذه هي المحبة المطلوبة لتوحيد الكنيسة. ولو كانت هذه المحبة موجودة بدرجة كافية، لرأينا الكنيسة وحدة واحدة.

(هـ) السلام:

«مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ» (آية ٣)

السلام هو الرباط الذي يربطنا معاً. وكلمة «رباط» هنا معناها النسيج الحي الذي يربط أعضاء الجسم معاً. بدون السلام تتفكك أعضاء الجسد الواحد، وتنفلت من بعضها.

والمسيح هو منشئ السلام ومعطيه «لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِداً، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ (أَيِ الْعَدَاوَةَ)» (أفسس ٢: ١٠). والسلام هو العلاقة المثالية بين الناس، حين يضعون المصلحة العامة فوق كل شيء، وبه يهتم كل فرد ببقية الأفراد ويعمل على خيرهم.

وعلى المؤمنين أن يجتهدوا في حفظ وحدانية الروح. والاجتهاد معناه العناية والاهتمام، مع السرعة والهمة، نحو الأفضل والصالح. وبالاجتهاد يحفظون. والكلمة يحفظ معناها الحراسة، والسهر على الشيء بعناية.. ووحدانية الروح معناها: الاتفاق الروحي القلبي.. كما كان التلاميذ الأولون بنفس واحدة (أعمال ٢: ١). وهي الوحدة التي ينشئها الروح القدس. والوحدة الروحية أصعب من الوحدة الإدارية. قد نكون تحت إدارة واحدة لكن قلوبنا منقسمة. وقد نكون من طائفة واحدة لكننا نحيا في خصام! «فَلْنَعْكُفْ إِذاً عَلَى مَا هُوَ لِلسَّلاَمِ وَمَا هُوَ لِلْبُنْيَانِ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ» (رومية ١٤: ١٩)

ثانياً: أساس الوحدة المسيحية

(أفسس ٤: ٤-٦)

بعد أن تحدث الرسول عن روح الوحدة المسيحية، وأظهر أنها في التواضع والوداعة وطول الأناة والمحبة والسلام، يتحدث عن أساس الوحدة المسيحية ويقدم سبع حقائق، هي: «جَسَدٌ وَاحِدٌ - رُوحٌ وَاحِدٌ - رَجَاءِ دَعْوَةِ وَاحِدٍ - رَبٌّ وَاحِدٌ - إِيمَانٌ وَاحِدٌ - مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ - إِلَهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ».

(أ) جسد واحد:

كل مؤمن هو عضو في جسد المسيح، والأعضاء المختلفة يجب أن تتحد معاً تحت قيادة الرأس. والمسيح هو الرأس لأن الله الآب «أَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ» (أفسس ١: ٢٢، ٢٣).. «فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ، هَكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ بَعْضاً لِبَعْضٍ، كُلٌّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ» (رومية ١٢: ٤، ٥).. «فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ» (١كورنثوس ١٠: ١٧). وواضح أن الخبز الواحد الذي نشترك فيه جميعنا هو عشاء الرب. ويقول الرسول بولس أيضاً: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَاداً» (١كورنثوس ١٢: ٢٧).

ويحذرنا الرسول من الشقاق الذي يعرض هذا الجسد للانقسام، فيقول: «وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تُلاَحِظُوا الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الشِّقَاقَاتِ وَالْعَثَرَاتِ، خِلاَفاً لِلتَّعْلِيمِ الَّذِي تَعَلَّمْتُمُوهُ، وَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ» (رومية ١٦: ١٧).

(ب) روح واحد:

هذه الوحدة أساسها الروح القدس الواحد الذي يعمل في كل المؤمنين، وقد أعطانا الميلاد الثاني والتجديد. وهو الذي يحل فينا ويملأ قلوبنا. وما دام الروح الذي فينا هو الروح الواحد، وجب أن نتحد بهذا الروح القدس الواحد..

ويشرح بولس الرسول فكرة الروح الواحد في الجسد الواحد فيقول: «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، كَذَلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً. لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً. وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً» (١كورنثوس ١٢: ١٢، ١٣). ونحن نعلم أننا هيكل الله وروح الله يسكن فينا (١كورنثوس ٣: ١٦) فلنجتهد أن نحفظ وحدانية الروح.

(جـ) رجاء دعوة واحد:

الدعوة التي دعانا بها المسيح هي للخلاص، فقد دعانا حتى نلتفت إليه ونخلص. وهذه الدعوة الواحدة تعطينا رجاءً أن لنا حياةً أبدية في المسيح. وهي تنشئ فينا الرجاء، لذلك نقول إن لنا رجاء دعوة واحداً لا يتغير. دعا الله كل إنسان في العالم، وكل من يقبل الدعوة يمنحه الله نفس الرجاء الواحد الذي نشترك فيه كلنا.. وقد تحدثنا عن هذه الدعوة في تفسير العدد الأول من هذا الأصحاح.. وكل من عنده هذا الرجاء يتحد مع إخوته أصحاب نفس الرجاء.

(د) رب واحد:

الرب الواحد هو السيد الواحد، الذين نفتخر جميعاً بأننا عبيد له. هذا هو «السَّيِّد الْوَحِيد: اللهَ وَرَبّنَا يَسُوع الْمَسِيح» (يهوذا ٤). «لأَنَّهُ لِهَذَا مَاتَ الْمَسِيحُ وَقَامَ وَعَاشَ لِكَيْ يَسُودَ عَلَى الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ» (رومية ١٤: ٩).

وكلمة رب كانت تحمل معنيين: (١) رب البيت أو سيد البيت صاحب السلطان على العبيد والخدم؛ و(٢) لقب الإمبراطور الروماني.

وبهذا المعنى يكون المؤمنون عبيد الرب الواحد يسوع المسيح، الذي اشترانا بدمه، فصرنا رعية الملك السماوي العظيم.. لذلك يجب أن نتحد في خدمته وطاعته والولاء له. وكلنا نعمل في حقل هذا السيد الواحد..وكلنا رعايا في مملكته، ومواطنون في وطنه..فلماذا ننقسم؟

(هـ) إيمان واحد:

والمقصود بالإيمان هنا ليس العقيدة، بل الثقة والتسليم الكامل، فكل مؤمن مولود من فوق سلَّم قيادة حياته للمسيح، ووضع ثقته فيه، وجعله موضع إيمانه واتكاله، يملك هذا الإيمان الواحد.. وقد تختلف طريقة وصف هذه الثقة، لكنها موجودة.. وهي ثقة واحدة. لذلك يجب أن نجتهد لأجل الإيمان المسلَّم مرة للقديسين (يهوذا ٣). ولماذا نختلف والمسيح موضع ثقتنا جميعاً؟

(و) معمودية واحدة:

«لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ. لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (غلاطية ٣: ٢٧، ٢٨). وكما كان الجندي الروماني يحلف يمين الإخلاص للإمبراطور، هكذا نعتمد نحن حتى نعلن إخلاصنا الكامل للرب.. وكما كان إبراهيم ونسله يمارسون الختان علامة العهد بينهم وبين الله، نمارس نحن المعمودية. وكل من اعتمد للمسيح يدخل في عهد معه. وما دام العهد يربطنا بالمسيح، فإنه يربطنا بعضنا ببعض.

(ز) إله وآب واحد:

«إِلَهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ».

هو إلهنا الواحد، الذي ننظر إليه باعتباره أبونا، ونحن عائلته. لنا أب واحد، ونحن «أَهْل بَيْتِ الله» (أفسس ٢: ١٩) ومن هذا الأب الواحد «الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ» (أف ٣: ١٥).

* هذا الإله الأب الواحد هو «لِلْكُلِّ». لهذا يتساءل النبي ملاخي: «أَلَيْسَ أَبٌ وَاحِدٌ لِكُلِّنَا؟ أَلَيْسَ إِلَهٌ وَاحِدٌ خَلَقَنَا؟ فَلِمَاذَا نَغْدُرُ الرَّجُلُ بِأَخِيهِ لِتَدْنِيسِ عَهْدِ آبَائِنَا؟» (ملاخي ٢: ١٠).

* وهو «عَلَى الْكُلِّ»: صاحب السلطان على الجميع. وهو يحمي الكل لأنه يراقب الكل. «يَجْلِسُ الرَّبُّ مَلِكاً إِلَى الأَبَدِ» على قلوب أولاده الذين يحبونه (مزمور ٢٩: ١٠).

* وهو «بِالْكُلِّ»: يسكن فينا ويعمل بنا. للمسيح يدٌ يعمل بها هي نحن، وهو يعمل بنا. ونحن لسانه الذي يتكلم به، ونحن آلاته التي يشتغل بها. هو يسأل: «مَنْ أُرْسِلُ؟ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟» (إشعياء ٦: ٨). بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً (يوحنا ١٥: ٥) وهو يدعونا «يَا ابْنِي، اذْهَبِ الْيَوْمَ اعْمَلْ فِي كَرْمِي» (متى ٢١: ٢٨). فلنكن آلات صالحة في يديه.

* وهو «فِي كُلِّكُمْ»: حضوره دائم في كل مؤمن.. نحن هيكله، ونحيا في عالمٍ من صُنعه، وهو الذي يحكمه، ونحن «بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ، كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعَرَائِكُمْ أَيْضاً: لأَنَّنَا أَيْضاً ذُرِّيَّتُهُ» (أعمال ١٧: ٢٨). فنقول له: «أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ» (رؤيا ٤: ١١).

هذا الإله الآب الواحد يربطنا معاً.

ثالثاً: مظهر الوحدة المسيحية

(أفسس ٤: ٧-١١)

رأينا كيف أن التواضع، والوداعة، وطول الأناة، والمحبة، والسلام هي روح الوحدة. ثم رأينا أن الجسد الواحد، والروح الواحد، ورجاء الدعوة الواحد، والرب الواحد، والإيمان الواحد، والمعمودية الواحدة، والإله الآب الواحد، أساس وحدة المؤمنين.

فهل معنى هذا أننا نكون واحداً، بدون أية فروق بيننا؟ وهل يجب أن نتشابه كلنا في كل شيء؟ لا! لسنا جميعنا متشابهين في كل شيء، في الحديث عن الوحدة لا يضيع تفرُّد الفرد، فهناك إمكانية التنوع داخل الأسرة الواحدة.. يقول الرسول: «**وَلَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ** حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ» (آية ٧). فلكل واحد منا «نعمة» من الله يستخدمها في خدمة الله.

والمقصود بالنعمة هنا هو «الموهبة للخدمة». وقد ذكر الرسول مواهب مختلفة للخدمة (رومية ١٢: ٤-٨ و١كورنثوس ١٢: ٤-١١).

وقد أُعطيت النعمة لنا «**حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ**» بمعنى: حسب استحسان المسيح؛ وحسب تدبيره الصالح السابق، لأنه سبق وأعد لنا أعمالاً صالحة لكي نسلك فيها (أفسس ٢: ١٥).

وكما أعطى السيد عبيده وزنات وسافر، وطلب منهم أن يتاجروا فيها حتى يرجع، هكذا أعطى المسيح وزنات للمؤمنين به ليعملوا بها. ولم يكن الجميع متساوين في ما أخذوا.. ولكن كل واحد منهم أخذ «على قدر طاقته» و«حسب قياس هبة المسيح» (متى ٢٥: ١٤-٣٠).

(أ) المعطي:

المعطي الذي أعطى هذه العطايا فهو المسيح الذي نزل إلى الأرض، ثم **سبى سبياً**، وصعد، ثم وزَّع عطاياه.

«لِذَلِكَ يَقُولُ: إِذْ صَعِدَ إِلَى الْعَلاَءِ سَبَى سَبْياً وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا» (آية ٨).

والسبايا هم الأسرى الذين انتصر عليهم المسيح في معركة الصليب. وقد سبى المسيح «الموت»، وسبى إبليس.

* سبى الموت: «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ» (عبرانيين ٢: ١٤).

* وسبى إبليس: «إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ (إبليس وأعوانه) أَشْهَرَهُمْ جِهَاراً، ظَافِراً بِهِمْ فِيهِ (في الصليب)» (كولوسي ٢: ١٥).

وشرح المسيح فكرة سبي إبليس وأسره بقوله: «وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ بِإِصْبَعِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ. حِينَمَا يَحْفَظُ الْقَوِيُّ دَارَهُ مُتَسَلِّحاً تَكُونُ أَمْوَالُهُ فِي أَمَانٍ. وَلَكِنْ مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ وَيَنْزِعُ سِلاَحَهُ الْكَامِلَ الَّذِي اتَّكَلَ عَلَيْهِ، وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ» (لوقا ١١: ٢٠-٢٢).

انتصر، وسبى سبياً عندما هزم الموت وإبليس. ولم يحفظ هذا النصر لنفسه، لكنه «**أعطى الناس عطايا**». كان الملك الذي ينتصر في الحرب يلقى الدراهم على كل من يسير في موكبه، علامة الفرح بالنصر، وعلامة السخاء والكرم.. فكان يأخذ ويعطي. والمسيح فادينا سبى سبياً، ثم أعطى الناس عطايا هي «النعمة حسب قياس هبة المسيح».

ولكن كيف يصعد المسيح إن لم يكن قد نزل؟

«وَأَمَّا أَنَّهُ صَعِدَ، فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنَّهُ نَزَلَ أَيْضاً أَوَّلاً إِلَى أَقْسَامِ الأَرْضِ السُّفْلَى» (آية ٩)».

«**نَزَلَ أَوَّلاً إِلَى أَقْسَامِ الأَرْضِ السُّفْلَى**» عندما تجسد إنساناً، ثم قبل الموت، موت الصليب.

وبالنسبة للسماء تكون أرضنا «الأرض السفلى» كما يقول النبي إشعياء: «اهتفي يا أسافل الأرض» وذلك بمقارنتها بالقول: «تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ فَعَلَ» (إشعياء ٤٤: ٢٣).

ثم أن المسيح لم ينزل إلى الأرض فقط، لكنه نزل إلى القبر أيضاً بعد صلبه وموته، كما يقول المرنم عن القبر: «أَمَّا الَّذِينَ هُمْ لِلتَّهْلُكَةِ يَطْلُبُونَ نَفْسِي فَيَدْخُلُونَ فِي أَسَافِلِ الأَرْضِ» (مزمور ٦٣: ٩). ويقصد بذلك أنهم سيهلكون ويُدفنون في قبور في أسافل الأرض.

هذا «الَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ» (آية ١٠)

وقد وصف المسيح هذا النزول والصعود بقوله: «وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ» (يوحنا ٣: ١٣). وفي نهاية خدمته على الأرض قال للتلاميذ: «خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَيْضاً أَتْرُكُ الْعَالَمَ وَأَذْهَبُ إِلَى الآبِ» (يوحنا ١٦: ٢٨).

وصعد المسيح فوق جميع السماوات: فوق سماء الطيور؛ وفوق سماء النجوم؛ وسكن في سماء الله، عن يمين الله الآب في الأعالي.

أما هدف نزوله وصعوده فهو «**لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ**» فيملأ كل الكون بحضوره؛ ويملأ كل المؤمنين بحضوره بالخير والصلاح؛ ويكمل كل عمل لازم ليأتي ملكوته في الأرض.

(ب) العطايا:

رأينا المعطي وقد أعطى الناس عطايا من البركات التي نالها نتيجة النصر. وهذه العطايا هي «لَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ». وذكر الرسول أربعة أنواع من الناس الذين نالوا عطايا، وهم: الرسل؛ والأنبياء؛ والمبشرون؛ والرعاة المعلمون.

* «أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلاً» (آية ١١). وكان يُشترط في الرسول شرطان: (١) أن يكون قد رأى الرب – فيقول بولس: «أَلَسْتُ أَنَا رَسُولاً؟ ... أَمَا رَأَيْتُ يَسُوعَ الْمَسِيحَ رَبَّنَا؟» (١كورنثوس ٩: ١). و(٢) وأن يكون قد شاهد الرب المُقام، كما قال الرسل عن الرسول الذي سيأخذ مكان يهوذا: «فَيَنْبَغِي أَنَّ الرِّجَالَ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا مَعَنَا كُلَّ الزَّمَانِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ إِلَيْنَا الرَّبُّ يَسُوعُ وَخَرَجَ، مُنْذُ مَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ عَنَّا، يَصِيرُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ شَاهِداً مَعَنَا بِقِيَامَتِهِ» (أعمال ١: ٢١، ٢٢). وواضح أن عمل الرسل قد انتهى بنهاية حياة الرسل الذين رأوا المسيح بالجسد وشهدوا قيامته بالجسد.

* «وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ». كان الأنبياء يزورون الكنائس ويقيمون فيها، يعلّمون الناس أقوال الله في وقت كان فيه الحصول على الكتب صعباً، ولم تكن هناك مطابع. وكان عمل النبي هو «بُنْيَانِ

وَوَعْظٍ وَتَسْلِيَةٍ» (١كورنثوس ١٤: ٣). أما البنيان فهو بناء المؤمنين في الإيمان؛ والوعظ هو تشجيع السامعين على الحياة الطاهرة؛ والتسلية هي ذكر تاريخ معاملات الله مع شعبه.

وكان هناك أنبياء كذبة، كسالى، يأكلون ولا يعملون. لذلك جاء تعليم الرسل (الدسقولية)يقول إن النبي الذي يبقى في كنيسة واحدة أكثر من ثلاثة أيام يعتبرونه نبياً كاذباً.

وبعد وقت انتشرت المعرفة، وبطل عمل الأنبياء.

* «وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ». والمبشر هو الذي يعلن البشارة المفرحة، مثل الذين تشتتوا فجالوا مبشرين بالكلمة (أعمال ٨: ٤). ومن هؤلاء المبشرين فيلبس الذي كان يسكن في قيصرية (أعمال ٢١: ٨). وقد طلب بولس من تلميذه تيموثاوس أن يعمل عمل المبشر (٢تيموثاوس ٤: ٥).. ويقوم المُرسَلون في أيامنا هذه بالعمل الذي كان المبشرون يقومون به في أيام المسيحية الأولى وهو توصيل خبر الإنجيل المفرح للذين لم يسمعوه من قبل.

* «وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ». والرعاة هم الذين يسكنون وسط الشعب المسيحي يرعونه، كما يرعى الراعي أغنامه. وعملهم الرئيسي تعليم الشعب. وهُم يكملون عمل المبشرين، إذ يذهب المبشرون إلى البلاد المختلفة ليكرزوا فيها بالرسالة، ثم يذهب الرعاة ليعلموا الشعب. ويقول الرسول بطرس للرعاة «ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ.. وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى» (١بطرس ٥: ١-٤).

هذا بعض ما أعطاه الله للمؤمنين به، بعد أن سبى سبياً، وصعد إلى ما فوق جميع السماوات.

رابعاً: غاية الوحدة المسيحية

(أفسس ٤: ١٢-١٦)

أعطى المسيح المؤمنين داخل العائلة المسيحية الواحدة عطايا متنوعة. فما هي الغاية من هذا التنوع في إطار الوحدة المسيحية؟

الإجابة أن الله أعطى هؤلاء المعلمين الموهوبين أعمالاً متنوعة ليجهزوا القديسين ليعملوا في الخدمة حتى يبنوا جسد المسيح، فيتحد الجميع بدون ضلال، ويعملون معاً في محبة لبنيان كل جسد المسيح في المحبة.

والآن تعالوا ندرس عمل هؤلاء الموهوبين:

(أ) بناء جسد المسيح (آية ١٢)

«لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ، لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ»

«**تكميل** القديسين» معناه إصلاحهم كما يصلح الصياد الشبكة. وقد وردت كلمة «تكميل» في متى ٤: ٢١ عن ابني زبدي اللذين كانا يصلحان الشباك عندما دعاهما المسيح.

هؤلاء الموهوبون «يكملون» القديسين ويصلحونهم ليكونوا نافعين لربح النفوس. وهم يجهزونهم **للخدمة** حتى يكون عملهم كاملاً، فينفذون ما طلبه الرسول من أهل غلاطية: «أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هَذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ» (غلاطية ٦: ١).

أما هدف الخدمة فهو «**بنيان جسد المسيح**» بمعنى أنهم يثبِّتون المؤمنين في الإيمان، حتى يثبتوا في بناء الكنيسة.. ثم أن معناه أنهم يعملون على ربح الذين جهزهم الله للخلاص، فيكمل عدد مختاري الله. وحين يكمُل القديسون ويصلح أمرهم يعملون في الخدمة بالمواهب التي أعطاها لهم الرب، ويجهزون أنفسهم لخدمة القديسين (١كورنثوس ٦: ١٥).

(ب) الوصول إلى وحدانية الإيمان (آية ١٣)

يجاهد الموهوبون «إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ» فيعملون على إنهاء الشقاق والخصام، ويشتغلون لجمع شمل المسيحيين، لتتحقق صلاة المسيح: «أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا نَحْنُ. لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا.. لِيَكُونُوا وَاحِداً، كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ» (يوحنا ١٧: ١١، ٢١، ٢٢).

(جـ) الوصول إلى الكمال (آية ١٣)

«إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى.. مَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ» يعمل المؤمنون على ربح الآخرين للمسيح، ثم يعملون على تقدم حياتهم الروحية. وهذا التقدم يهدف إلى الوصول إلى معرفة ابن الله: معرفة القلب والاختبار أولاً، ومعرفة العقل ثانياً. وكل يوم يصرفه المؤمن مع المسيح يزيده معرفة به وحباً له.

هذه المعرفة تقود إلى «**إنسان كامل**» وليس المقصود هنا الكمال المطلق، لكن المقصود كمال العزم على طاعة الله والسير وراءه، فليس أحد كاملاً مطلقاً إلا واحد وهو الله. والهدف الأعلى هو «قياس قامة ملء المسيح» أي الوصول إلى درجة امتلاء المسيح من الكمال الكامل. فيجب أن نخدم ونجاهد كلنا حتى تكون الكنيسة «مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ» (أفسس ٥: ٢٧).

(د) عدم الضلال (آية ١٤)

«كَيْ لاَ نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلاَلِ».

يجب أن يعمل المعلمون الموهوبون حتى لا يكون المؤمنون **أطفالاً مضطربين**، فإن الطفل غير ناضج، وهو متقلِّب، وينخدع بسهولة، ولا يستوعب الحقائق العميقة. ولهذا يعلّمنا الكتاب أن ننمو ونترك الطفولة الروحية، في القول: «أَيُّهَا الإِخْوَةُ، لاَ تَكُونُوا أَوْلاَداً فِي أَذْهَانِكُمْ، بَلْ

كُونُوا أَوْلاَداً فِي الشَّرِّ، وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ» (١كورنثوس ١٤: ٢٠). ويعاتب الرسول المؤمنين الأطفال ويقول: «وَأَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ بَلْ كَجَسَدِيِّينَ كَأَطْفَالٍ فِي الْمَسِيحِ.. «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَنَاوَلُ اللَّبَنَ هُوَ عَدِيمُ الْخِبْرَةِ فِي كَلاَمِ الْبِرِّ لأَنَّهُ طِفْلٌ» (١كورنثوس ٣: ١ وعبرانيين ٥: ١٣).

والأطفال يضطربون ويحملهم كل ريح تعليم، بمعنى أنهم ينساقون وراءتعاليم متنوعة وغريبة (عبرانيين ١٣: ٩). والمرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه (يعقوب ١: ٦).

وغاية التعليم أن يكون المؤمن ناضجاً لا تحمله أمواج التعاليم الغريبة. فقد يكون كبيراً في العمر، لكن عمره الروحي يكون عمر طفل، فيوجد بالغ في العمر الجسدي لكن تفكيره يكون تفكير طفل، بينما يوجد آخر حديث السن لكنه ناضج التفكير. وتجد مؤمنين وُلدوا منذ سنين طويلة لكن حياتهم الروحية ضعيفة.. ويوجد آخرون وُلدوا ولادة ثانية منذ وقت قليل لكنهم تقدموا في النعمة. وتهدف خدمة الموهوبين إلى أن يكون كل مؤمن ناضجاً لا يجري وراء تعاليم غريبة تختلف عن تعليم الكتاب المقدس، ويجري وراء «**كل ريح تعليم**» باطل «**بحيلة الناس، بمكر**». و«حيلة الناس» معناها الغش، كما يغش اللاعبون في اللعب. وقد حذَّر الرسول بولس قسوس كنيسة أفسس بقوله: «لأَنِّي أَعْلَمُ هَذَا: أَنَّهُ بَعْدَ ذِهَابِي سَيَدْخُلُ بَيْنَكُمْ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ لاَ تُشْفِقُ عَلَى الرَّعِيَّةِ. وَمِنْكُمْ أَنْتُمْ سَيَقُومُ رِجَالٌ يَتَكَلَّمُونَ بِأُمُورٍ مُلْتَوِيَةٍ لِيَجْتَذِبُوا التَّلاَمِيذَ وَرَاءهُمْ» (أعمال ٢٠: ٢٩، ٣٠).

وقد وردت كلمة «**حيلة**» أول مرة في الكتاب عن الحية التي كانت «أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ» (تكوين ٣: ١٠) ولا زال بعض الناس اليوم يعملون عمل الحية، ويصورون للبسطاء الشر على أنه خير.

ويصحب **المكر** الحيلة.. والمكر هو الكذب والخداع، كما قال إسحاق لابنه عيسو: «قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ» (تكوين ٢٧: ٣٥).

وحيلة الناس بمكر تقود إلى «**مكيدة الضلال**». والمكيدة هي الفخ الذي ينصبه الأشرار لسقوط أبناء الله، دون أن يحس أبناء الله به.. لكن الموهوبين الذين يخدمون يجب أن يحفظوا المؤمنين وينبهوهم، حتى يرنموا: «مَا أَعْظَمَ جُودَكَ الَّذِي ذَخَرْتَهُ لِخَائِفِيكَ، وَفَعَلْتَهُ لِلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ، تُجَاهَ بَنِي الْبَشَرِ. تَسْتُرُهُمْ بِسِتْرِ وَجْهِكَ مِنْ مَكَايِدِ النَّاسِ» (مزمور ٣١: ١٩).

(هـ) نمو الجسد مركباً معاً (آيتا ١٥، ١٦)

عندما يعرف المؤمنون ابن الله، ويجاهدون للوصول إلى قياس قامة ملء المسيح، يصيرون **صادقين في محبةٍ** لا رياء فيها ولا غش.. وهكذا «ينمون في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح». ويهدف النمو إلى أن يوصِّلنا إلى الرأس الذي هو المسيح «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكاً لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ» (١بطرس ٢: ٢١).

ومن الرأس «**كل الجسد مركباً معاً**» فإن كل عضو في جسد المسيح يجب أن يكون متصلاً بالمسيح الذي هو الرأس. والجسد مركب معاً في وحدة فكرية وروحية.. ثم أن الجسد كله «**مقترناً بمؤازرة كل مفصل**». فكل جزء منه يعمل متوافقاً مع الجزء الآخر، كما يقول الرسول لأهل كولوسي: «الرَّأْسِ الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ بِمَفَاصِلَ وَرُبُطٍ، مُتَوَازِراً وَمُقْتَرِناً، يَنْمُو نُمُوّاً مِنَ اللهِ» (كولوسي ٢: ١٩).

هذا التركيب في الرأس، باقتران ومؤازرة كل مفصل يكون «**حسب عمل على قياس كل جزء**» فإن الله سبق فأعدَّ لنا أعمالاً صالحة لنسلك فيها. وهناك خطة ونظام لحياة كل واحد منا، ولكل مؤمن رسالته الخاصة. وعندما يقوم كل مؤمن بعمله الذي رسمه الله له «**يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة**». والنمو يكون بقدر قيام كل شخص بعمل واجبه، بمؤازرة وارتباط بعضه ببعض.

ومن هنا نرى أن نمو جسد المسيح يستلزم الأمور الآتية:

١- الاتصال بالمسيح والثبوت فيه لأنه «الرأس الذي منه كل الجسد».

٢- اتصال الأعضاء بعضها ببعض بوحدانية ومحبة، فيكون «كل الجسد مركباً معا».

٣- تناسق وعمل الأعضاء معاً في ترتيب ومحبة «ومقترناً بمؤازرة كل مفصل»

٤- تنفيذ قصد الله في حياة كل عضو من الكنيسة «حسب عمل على قياس كل جزء»

٥- «يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة».

فما هو نصيبك في عمل المسيح؟ وما هو العمل الذي وضعه الله عليك حسب قياس الموهبة التي أعطاها لك؟.. هل ستعمل متفقاً ومتوازراً مع بقية الأعضاء في تناسق ومحبة حتى ينمو جسد المسيح؟

من أهم واجباتنا أن نعيش متحدين وحدة القلب في مخافة الله فلا نعرج بين فرقتين (١ملوك ١٨: ٢١)؛ ونكون متحدين في بيوتنا مع شريك الحياة وسائر الأقرباء؛ ونكون متحدين في كنيستنا بالرأس الذي هو المسيح. ولنصلِّ ليوحّد الرب الطوائف المسيحية ويزرع حب الوحدة في قلوب قادتها.

الفصل الثامن

لبس الجديد

(أفسس ٤: ١٧-٣٢)

«١٧فَأَقُولُ هَذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ، أَنْ لاَ تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضاً بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ، ١٨إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ. ١٩الَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحِسَّ، أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَارَةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ. ٢٠وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَمْ تَتَعَلَّمُوا الْمَسِيحَ هكَذَا - ٢١إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمُوهُ وَعُلِّمْتُمْ فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ، ٢٢أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، ٢٣وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، ٢٤وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ».

«٢٥لِذلِكَ اطْرَحُوا عَنْكُمُ الْكَذِبَ وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ، لأَنَّنَا بَعْضَنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ. ٢٦اِغْضَبُوا وَلاَ تُخْطِئُوا. لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ، ٢٧وَلاَ تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَاناً. ٢٨لاَ يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتْعَبُ عَامِلاً الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احْتِيَاجٌ. ٢٩لاَ تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحاً لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ. ٣٠وَلاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ. ٣١لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ. ٣٢وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ» (أفسس ٤: ١٧-٣٢).

في الأصحاحات الثلاثة الأولى من رسالة أفسس صعدنا مع الرسول بولس إلى قمّة جبل عالٍ ورأينا امتيازات مجد الفداء الذي جهزه الله لشعبه. وفي بداية الأصحاح الرابع نزل بنا الرسول إلى الوادي حيث مسؤوليات العمل والخدمة.

ورأينا في الأصحاح الرابع كيف يجب أن نتحد. فقد جاء المؤمنون إلى المسيح من خلفيات يهودية، ومن أصول وثنية (أممية). ولكنهم صاروا واحداً نتيجة خضوعهم للإله والآب الواحد، الذي على الكل، وبالكل، وفي الكل. ولذلك يجب أن يسلكوا كما يحق للدعوة التي دعاهم الله بها، فيكونون واحداً كما أن رجاء دعوتهم واحد.

ثم ينقلنا الرسول بولس إلى فكرة جديدة، نتأملها في هذا الفصل، فيقول إن المؤمنين بالمسيح جاءوا من خلفيات متنوعة وهم يحملون معهم صفات وأفكاراً وعاداتٍ وممارسات لا تتفق مع تعاليم المسيح. وعلى هذا فهو يطلب منهم أن لا يسلكوا كما سبق أن سلكوا، وأن يغيّروا أسلوب حياتهم القديم الذي عاشوا بمقتضاه قبل أن يؤمنوا. فليخلعوا التصرف السابق، والإنسان العتيق ويلبسوا الإنسان الجديد.

يبدأ الرسول بالقول: «فَأَقُولُ هَذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ، أَنْ لاَ تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضاً بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ» (آية ١٧).

يعلن الرسول بولس أنه يعرف فكر الرب لأن الله أعلنه له فيقول: «**وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ**» وكأنه يطلب أن يكون الله شاهداً عليهم. وهو يكلمهم باسم الرب وبسلطان المسيح، وعليهم أن يهتموا وأن يطيعوا. وقد قال لأهل تسالونيكي: «أَيُّهَا الإِخْوَةُ، نَسْأَلُكُمْ وَنَطْلُبُ إِلَيْكُمْ فِي الرَّبِّ يَسُوعَ، أَنَّكُمْ كَمَا تَسَلَّمْتُمْ مِنَّا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَسْلُكُوا وَتُرْضُوا اللهَ، تَزْدَادُونَ أَكْثَرَ» (١تسالونيكي ٤: ١). وهو يقول لأهل أفسس: «**أَنْ لاَ تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضاً**».

كان أهل أفسس في ضلال، فأرسل الله بولس قائلاً: «لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيباً مَعَ الْمُقَدَّسِينَ» (أعمال ٢٦: ١٨). أما وقد رجعوا إلى الله، فيجب أن يخرجوا روحياً وفكرياً من دوائر فكر الوثنيين، ويعتزلوا أفكارهم، ولا يمسون جساً (٢كورنثوس ٦: ١٧).

والسلوك هو حياة وعمل، وو الظاهر والخفي. هو السيرة. وقد دعا الوثنيون المسيحية «الطريق» لأنها طريق جديد للحياة يختلف عن الطريق القديم الذي يسلكونه.

ولا يقصد الرسول أن يحتقر الأمم كما قال الفريسي عن العشار باحتقار: «وَلاَ مِثْلَ هَذَا الْعَشَّارِ» (لوقا ١٨: ١١) لكنه يذكر التغيير الذي حدث في حياة أهل أفسس بعد أن عرفوا المسيح. ويقول الكاتب الروماني بلني الصغير في رسالة إلى الإمبراطور تراجان في القرن الثاني المسيحي إن المسيحيين يعيشون حياة الطهارة وسط الفساد الكثير. فما أعظم الفرق بين ما كان، وما صار، بفضل نعمة المسيح.

ويقول الرسول إن سلوك الأمم هو بحسب «**بُطْلِ ذِهْنِهِمْ**». والذهن هنا هو القلب والعقل والضمير، وهو الذي يحمل معرفة الله، ويقود إلى الحكمة الصحيحة. غير أن ذهن هؤلاء الأمم كان باطلاً، بمعنى أنه كان بدون هدف، عديم القيمة، فارغاً من كل ما هو حق وجليل وعادل وطاهر. وبسبب ذهنهم الباطل لم يستعملوا قوة عقولهم التي أعطاها الله لهم للخير، بل استعملوها للشر، فيستحقون أن يسمعوا توبيخ النبي إشعياء: «لِمَاذَا تَزِنُونَ فِضَّةً لِغَيْرِ خُبْزٍ وَتَعَبَكُمْ لِغَيْرِ شَبَعٍ؟ اسْتَمِعُوا لِي اسْتِمَاعاً وَكُلُوا الطَّيِّبَ، وَلْتَتَلَذَّذْ بِالدَّسَمِ أَنْفُسُكُمْ» (إشعياء ٥٥: ٢).

ويصف الرسول ذهن هؤلاء الأمم الباطل فيقول: «لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلَهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ» وكان أن « أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ، لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ» لأنهم كانوا «يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ» (رومية ١: ٢١، ٢٨، ١٨).
لكنهم رجعوا من الأباطيل إلى الله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها (أعمال ١٤: ١٥) فكيف يرتدّون ويسلكون كما يسلك الأمم الذين لم يؤمنوا ببُطل ذهنهم بعد أن تغيروا عن شكلهم بتجديد أذهانهم!

أولاً: حالة الأمم قبل الإيمان
(أفسس ٤: ١٧-١٩)

ويقدم الرسول سبعة أوصاف للأمم، قال عنهم المفسِّر آدم كلارك إنهم كمال البُطل والفساد: «إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ. اَلَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحِسَّ، أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَارَةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ» (آيتا ١٧، ١٨).

(أ) «هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ»:

أظلم فكرهم بفعل الخطية، وبقي تأثيره في قلوبهم حتى الآن. كانوا يعرفون الفلسفة، ولكنها لم تغير سلوكهم الباطل. كانوا مثل بيلاطس الذي سأل المسيح: «مَا هُوَ الْحَقُّ؟» (يوحنا ١٨: ٣٨) ولكنه لم ينتظر حتى يجاوبه المسيح. «وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ» (رومية ١: ٢٢)، وكان نور العلم الذي عندهم ظلاماً، فالظلام كم يكون؟! .. إنهم مثل أهل أثينا «لاَ يَتَفَرَّغُونَ لِشَيْءٍ آخَرَ إِلاَّ لأَنْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَسْمَعُوا شَيْئاً حَدِيثاً» (أعمال ١٧: ٢١). ويقدم بولس الرسول تفسيراً لظلام فكرهم في قوله: «وَلَكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيّاً» (١كورنثوس ٢: ١٤).
فكرهم العقلي مستنير بالفلسفة والعلم، لكن فكرهم الروحي مظلم بالخطية والشر. و«مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟» (متى ١٦: ٢٦)، وضاعت منه معرفة المسيح؟!

(ب) «مُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ»:

أي أنهم أبعدوا أنفسهم بإرادتهم عن الحياة التقية ذات القيمة التي يعطيها الله! صحيح أن الأمم «أَجْنَبِيُّونَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ» لأن الله لم يخلقهم وسط الشعب الذي أُعطيت له الشريعة، ولكن ليس هذا ذنبهم. إنما الذنب أنهم جنَّبوا أنفسهم عن حياة الله باختيارهم! و«حياة الله» هي الحياة الأبدية «وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يوحنا ١٧: ٣).

ولكن هؤلاء الأمم أبعدوا أنفسهم عن معرفة الله، وحرموا أنفسهم من الشركة معه، فلم تكن لهم «حياة الله». لقد نفخ الله في آدم نسمة حياة، فبدأت حياة الجسد في آدم ونسله. وينفخ الله في الخطاة نسمة حياة روحية، يقبلها من يتوبون منهم. ولكن هناك من أبعدوا نفوسهم عنها!.. وما هي قيمة الحياة بالجسد بدون الحياة الروحية الحقيقية؟

(جـ) «الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ»:

والجهل هنا هو الجهل الروحي، الذي قال عنه المسيح: «أَلَيْسَ لِهَذَا تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللَّهِ؟ (مرقس ١٢: ٢٤) وقال أيضاً: «فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي. ولاَ تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ» (يوحنا ٥: ٣٩، ٤٠). كان أولئك السامعون يعرفون الكتب بعقولهم، لكن قلوبهم لم تدركها ولم تقبلها، فكان جهلهم جهل الروح، الذي ينبع من الظروف المحيطة بالإنسان، أو الذي ينتج عن شر الإنسان نفسه. قال بطرس للخطاة: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ بِجَهَالَةٍ عَمِلْتُمْ» (أعمال ٣: ١٧) وقال بولس: «اللهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا، مُتَغَاضِياً عَنْ أَزْمِنَةِ الْجَهْلِ» (أعمال ١٧: ٣٠). أظهر الله قدرته للبشر، ظاهرة في مصنوعاته، لكن «أَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ» وبسبب جهلهم قال لهم المسيح: «لاَ تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ» (يوحنا ٥: ٤٠)

(د) «غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ»:

أبعد الأمم الخطاة أنفسهم عن الحياة التي يعطيها الله، لأنهم جاهلون، ولأن قلبهم غليظ! والقلب الغليظ هو القلب «الحجري» وهو اسم نوع من الأحجار أقوى من الرخام. وكلمة «غلاظة» كانت تصف الجزء الذي يصيبه مرض «الكالو» في الجسم، فلا يعود يشعر أو يحس، لكنه يتعب ويؤذي. كما كانت كلمة «غلاظة» تُطلق عن ترسُّب الكالسيوم في مفاصل الجسم بشكل يعطل الحركة أو يمنعها.

كان قلب الأمم الذين لم يتوبوا قاسياً كالحجر، ميتاً مؤذياً مثل الكالو، ملآناً بالحجر الذي يمنع الحركة نحو الخير والحق! ويقول الكتاب إن قلب التلاميذ كان «غليظاً» لما لم يفهموا ويدركوا قوة المسيح (مرقس ٦: ٥٢). وتجيء غلاظة القلب بفعل الشيطان، الذي يُعمي الذهن (يوحنا ١٢: ٤٠ و٢كورنثوس ٤: ٤)، كما تجيء من الإنسان نفسه، كما أغلظ فرعون قلبه (خروج ٨: ١٥، ٣٢).

(هـ) «فقدوا الحس»:

قلبهم الغليظ لم يعد يحس بشيء من أسف على شر أو تأنيب من ضمير! لم يخجلوا من خطاياهم، وفشلت كل المحاولات لإصلاحهم. بدأت الخطية عندهم وزادت بالتدريج. عادة يخاف الإنسان من الخطية، وإذا وقع فيها يحزن عليها. ولكن بعد تكرار عملها ينسى شناعتها،

ويموت ضميره مثل السكير الذي يسكر في الخفاء، ثم لا يهمه إن رآه الناس يترنح في الشارع بعد ذلك.

(و) «أسلموا نفوسهم للدعارة»:

الدعارة هي الخروج عن الاتزان في السلوك، وهي التمرُّد على القانون، وهي عدم ضبط النفس. والذي يسلم نفسه للدعارة لا يهتم إن ضايق الناس، ولا يهمه إلا إسعاد نفسه. أسلم يهوذا الإسخريوطي نفسه للدعارة لما استسلم لحبِّ المال وباع سيده بثلاثين من الفضة!

(ز) «لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ»:

وكلمة «ليعملوا» معناها أن كل نجاسة في الطمع صارت حرفة حياتهم ووظيفتهم، فأصبحت النجاسة تجارتهم وزراعتهم وشغلهم الشاغل! لم يكتفوا بعمل النجاسة فكانوا طماعين فيها. كانوا دائماً يشتهون المزيد، وباستمرار يطلبون أكثر. طرقوا كل باب للنجاسة في طمع عظيم. وكلمة «طمع» معناها طلب شيء يزيد عن الحق؛ وهو الرغبة الدنيئة في الشيء الذي يخص الآخرين، حتى يدوس الإنسان زميله ليحصل على ما يريده!

* * *

وكأن الرسول يقول إن حالة الأمم فيها ثلاثة أشياء:

١- كان قلبهم مثل الحجر الصلب، فلم يشعروا بالخطأ الذي يرتكبونه.

٢- كانوا غارقين في الخطية حتى ضاع منهم كل حياءٍ وخجل.

٣- كانوا تحت رحمة الشهوة الطماعة، فلم يهتموا بأذى الناس ما دام هذا يعطيهم شهوتهم!

ثانياً: حالة المؤمنين

(أفسس ٤: ٢٠-٢٤)

بعد أن تحدث الرسول عن كمال فساد حالة الأمم، أظهر الفرق بينهم وبين المؤمنين، فبدأ بالقول: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَمْ تَتَعَلَّمُوا الْمَسِيحَ هَكَذَا». ونحن نعلم أن كلمة «**أَمَّا**» تشرح الفرق. الأمم في نجاسة أما أنتم ففي قداسة الحق. الأمم تعلموا ارتكاب الشر أما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا! والرسول لا يقول: «لم تتعلموا **عن المسيح**» لكنه يقول: «لم تتعلموا **المسيح**». لا يكفي أن نعرف عنه، بل يجب أن نعرفه هو. من المهم أن نعرف تعليمه، لكن الأكثر أهمية أن نقبله مخلصاً وفادياً، ونختبر قول الرسول: «لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهاً بِمَوْتِهِ» (فيلبي ٣: ١٠).

(أ) المؤمنون تعلموا

«إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمُوهُ وَعُلِّمْتُمْ فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ» (٤: ٢١)

«**إِنْ كُنْتُمْ**» ليس معناها الشك في أن الخبر وصلهم، لكنها تأكيد وتحقيق بأن الخبر قد وصل. لقد سمعوا يسوع يكلمهم بفم رسله الذين علموهم: «**وعُلِّمتُم**». وسمعوه بعد أن سكن في قلوبهم يرشدهم إلى كل ما هو حق: «كما هو حق في يسوع». لقد سمعوا وتعلموا الحق، والحق هو الدين الصحيح. ومادامو قد عرفوا المسيح فيجب أن يتركوا الخطية، لأن الله حق طاهر، وهُم الآن خليقة جديدة!

(ب) المؤمنون يخلعون الإنسان العتيق

«أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ» (٤: ٢٢).

الذين تعلموا الحق يجب أن «يخلعوا من جهة التصرف السابق» أي: من جهة المبادئ التي كانوا يسلكون بحسبها، كما يخلع الإنسان ثوباً قذراً بالياً، لأن الترقيع لا يصلح. فيجب أن نخلع العتيق ونلبس الجديد (لوقا ٥: ٣٦-٣٨). محاولة إصلاح نفوسنا هي الترقيع، لكننا «في يسوع» نخلع العتيق الفاسد الذي يقول عنه الرسول: «وَلَكِنِّي أَرَى نَامُوساً آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي» (رومية ٧: ٢٣). «لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ، وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهَذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ» (غلاطية ٥: ١٧).

هذه الطبيعة الفاسدة التي فينا تشدنا إلى أسفل. وهي «العتيق» لأنها فاسدة بالية مهلهلة متعفنة لا تستر. وهي تستمر من فساد إلى فساد حتى تصير إلى العدم. لذلك يجب أن نخلعها.

هذا الإنسان العتيق يصفه الرسول بقوله: «الفاسد بحسب شهوات الغرور». إنه فاسد يميل إلى الشهوات، لكنها شهوات غرور لأنها تخدعنا وتقتلنا، كما يقول الرسول: «لأَنَّ الْخَطِيَّةَ.. خَدَعَتْنِي بِهَا وَقَتَلَتْنِي» (رومية ٧: ١١).

هناك شهوة المكسب؛ وشهوة العظمة والسلطان؛ وشهوة اللذة. وهذه كلها غرور، وباطل أباطيل ولا منفعة منها كلها، فقد خدعت آدم وحواء فظنا أن السعادة في الأكل من الشجرة (تكوين ٣: ٦)؛ وخدعت الغني الغبي فظن أنه يحيا طويلاً ليهدم مخازن ويبني مخازن أكبر (لوقا ١٢: ١٦-٢٠)؛ وخدعت الابن الضال فظن أنه يجد السعادة في البلاد البعيدة عن بيت أبيه (لوقا ١٥: ١١-٣٢)!

يجب إذاً أن يخلع المؤمن الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور و«نخلع أعمال الظلمة» (رومية ١٣: ١٢).

(جـ) المؤمنون يتجددون

«وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ» (٤: ٢٣).

بين الخلع واللبس يجيء التجديد. لا يكفي أن نخلع الخطية ونلبس القداسة، لأن بعض الناس يعزمون أن يعيشوا الحياة الصالحة، فيكونون صالحين بمجهودهم وعزمهم. ليس هذا كافياً للإيمان. يجب أن يتجدد المؤمن. ويتم التجديد بعمل الروح القدس «بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغَسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (تيطس ٣: ٥). وبهذا التجديد تعود النفس إلى صورة الله. وفي الجديد قوة وجمال.

هذا التجديد يكون «**بروح ذهنكم**». ويقول القديس يوحنا فم الذهب إن معنى هذه العبارة «تجديد الروح الذي في عقولكم» بمعنى تجديد الفكر والعقل وتغييره.. التجديد الذي جرى في المؤمن إذاً تغيير في قلبه وفي عقله، إذ تتغير نظرته للحياة، وتتغير للمبادئ التي كان يسير عليها. وليس هذا التغيير في العادات والمظاهر الخارجية، لكنه تغيير في مبادئ الحياة الداخلية، ويظهر في التصرفات الخارجية.

وكلمة «**تتجددوا**» تحمل معنى الاستمرار، فالإنسان يتجدد يوماً فيوماً. وكل يوم يجعله أكثر قرباً من الله، وأفضل حالاً من اليوم السابق.

(د) «المؤمن يلبسون الإنسان الجديد»

«وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ» (٤: ٢٤).

بعد أن يتوبوا ويخلعوا العتيق يتجددون ويلبسون الإنسان الجديد. و«**الإنسان الجديد**» هو الطبيعة الجديدة التي يعطيها الله، لأنه «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً» (٢كورنثوس ٥: ١٧).

وهذا الإنسان الجديد «**مخلوق بحسب الله**» بمعنى أن الله يخلقه فينا على صورته. وفي الترجمة المنقحة «على مثال الله». لقد خلق الله الإنسان الأول على صورته. على صورة الله خلقه (تك ١: ٢٧) ولكنه ضل وأضاع الصورة الأصلية. فيخلقه الله من جديد على الصورة الأصلية التي كان عليها، ولذلك يقول الرسول: «وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ» (كولوسي ٣: ١٠). ويقول الرسول بطرس: «بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ» (١بطرس ١: ١٥).

على مثال الله إذاً خُلق المؤمنون. قال زكريا الكاهن: «بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا» (لوقا ١: ٧٥) وقال بولس: «أَنْتُمْ شُهُودٌ، وَاللهُ، كَيْفَ بِطَهَارَةٍ وَبِبِرٍّ وَبِلاَ لَوْمٍ كُنَّا بَيْنَكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ» (١تسالونيكي ٢: ١٠).

والإنسان الجديد مخلوق على صورة الله ومثاله «**في البر وقداسة الحق**». والبر هو التصرف العادل السليم مع الكل، والبار هو العادل الذي يعطي كل صاحب حق حقه، فيعطي ما لقيصر

لقيصر وما لله. هو «السَّالِكُ بِالْكَمَالِ، وَالْعَامِلُ الْحَقَّ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالصِّدْقِ فِي قَلْبِهِ» (مزمور ١٥: ٢).

أما «**قداسة الحق**» فهي القداسة التي تنتج عن معرفة الحق. فالحق هو الذي يحررنا من الخطية وهذا يمنحنا القداسة. والمسيح هو الطريق والحق والحياة، وبه وحده نجد الطريق إلى الآب وإلى القداسة.

* * *

وفي هذه الحالة نرى المؤمنين:

يخلعون العتيق، ويلبسون الجديد

يخلعون الفاسد، ويلبسون المخلوق بحسب الله

يخلعون الذي حسب شهوات الغرور، ويلبسون الذي حسب الله في البر وقداسة الحق.

ثالثاً: الخلع واللبس والدافع

(أفسس ٤: ٢٥-٣٢)

شرح الرسول حالة الأمم الفاسدة التي كان المؤمنون فيها قبل الإيمان. ثم شرح حالة المؤمنين الذين خلعوا الفاسد وتجددوا ولبسوا الجديد. ثم يتقدم الرسول ليذكر الأشياء التي يخلعونها والأشياء التي يلبسونها، ويذكر الدافع الذي يدفعهم لخلع هذا ولبس ذاك.

(أ) خلع الكذب ولبس الحق، لأننا أعضاء البعض

«لِذَلِكَ اطْرَحُوا عَنْكُمُ الْكَذِبَ، وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ، لأَنَّنَا بَعْضَنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ» (٤: ٢٥)

الكذب من الملابس الفاسدة التي يجب أن يخلعها المؤمن ويطرحها عنه، فإن الخاطئ يكذب ظناً منه أن الكذب يغطيه ويستره.

والكذب من صفات إبليس الذي هو الكذاب وأبو الكذب (يوحنا ٨: ٤٤). ويقول النبي زكريا: «لِيُكَلِّمْ كُلُّ إِنْسَانٍ قَرِيبَهُ بِالْحَقِّ. اقْضُوا بِالْحَقِّ، وَقَضَاءِ السَّلاَمِ فِي أَبْوَابِكُمْ» (زكريا ٨: ١٦).

كان المجتمع اليوناني يسمح بالكذب إن كان فيه فائدة. والمجتمع الذي نعيش فيه يقول إن الكذب جائز في ثلاث حالات: في الحرب، وفي إصلاح المتخاصمين، وفي الكلام مع امرأة! ولكن الكتاب يعلمنا أن نطرح الكذب عنا لأنه لن يسترنا، ولنتكلم بالصدق باستمرار.

وإن كان المؤمنون الأولون معذورين في الكذب، لأن الجو الذي عاشوا فيه كان فاسداً، فما هو عذرنا نحن؟! نحن نكذب لنهرب من مشكلة؛ ونتحاشى اللوم؛ ولنظهر أننا صالحون. ونحن

نكذب بالكلام الواضح، ونكذب بالسكوت على الخطأ. لكن يجب أن نطرح الكذب لأن «كُلَّ كَذِبٍ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ» (١يوحنا ٢: ٢١)

أما الدافع على طرح الكذب وقول الصدق فهو أننا «**بعضنا أعضاء البعض**».

يتساءل فم الذهب: «هل تخدع العين اليد؟». ويقول المفسر المعاصر وليم باركلي: «لو قالت الأعصاب للمخ إن الشيء الساخن بارد، ويمكن أن يلمسه الجسم بدون ضرر: ألا تكون النتيجة أن الجسم يحترق؟!». إن الكذب يضر الجسم كله، ويضرنا نحن لأننا أعضاء في هذا الجسد. وكلنا جسد المسيح وأهل بيت الله.

(ب) خلع الخطية ولبس الغضب المقدس، حتى لا نعطي إبليس مكاناً

«اِغْضَبُوا وَلاَ تُخْطِئُوا. لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ، وَلاَ تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَاناً» (٤: ٢٦، ٢٧).

«**اغضبوا**» على الخطية وليس على الخاطئ، كما غضب المسيح حين طهر الهيكل وطرد الباعة والصيارفة (يوحنا ٢: ١٣-١٦)، وكما وبخ الخطاة بغضب، ونظر إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم (مرقس ٣: ٥). ولذلك يقول الرسول «أَعْطُوا مَكَاناً لِلْغَضَبِ» (رومية ١٢: ١٩). قال يوحنا وسلي: «أعطني عشرة رجال لا يخافون أحداً إلا الله، ولا يكرهون شيئاً إلا الخطية، ولا يعرفون أحداً إلا المسيح، وأنا أهز بهم العالم».

عندما نرى الشر يجب أن نغضب عليه. على أننا يجب أن نحترس، لأنه يقول: «اغضبوا ولا تخطئوا» فما أسرع ما يخطئ صاحب القلب الغضوب! لا يجب أن نغضب عندما يقع الضرر على مصالحنا الشخصية؛ ولا عندما يُساء إلينا، فإن هذا هو الغضب الخاطئ. فلنحترس من أن نعطي غضبنا فرصة للخطأ.

«**ولا تغرب الشمس على غيظكم**». لا تربّوا وتنمّوا الغضب في نفوسكم. «لاَ تُسْرِعْ بِرُوحِكَ إِلَى الْغَضَبِ، لأَنَّ الْغَضَبَ يَسْتَقِرُّ فِي حِضْنِ الْجُهَّالِ» (الجامعة ٧: ٩) يجب أن يكون يوم الغضب هو يوم المصالحة. كان معلم يهودي يوصي تلاميذه أن لا يناموا حتى يصفّوا كل ما في نفوسهم ضد الآخرين، فإنهم إن لم يصلحوا الخصام بسرعة فقد لا ينصلح أبداً. وكان الفيلسوف اليوناني فيثاغورس يطلب من تلاميذه أن يسلّموا قبل الغروب على من يُغضبهم. ونلاحظ أن غروب الشمس هو بداية اليوم عند اليهود، والرسول يطلب أن لا نبدأ يوماً جديداً وفي نفوسنا غضب خاطئ!

أما الدافع على طرح الغضب الخاطئ فهو: «لاَ تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَاناً». فإن «إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِساً مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ» (١بطرس ٥: ٨). فإذا أعطيناه فرصة عندما نغضب فإنه يبتلعنا. إنه يبدأ بالقليل، ثم يزيد ويزيد حتى يأخذ المكان كله. فلا تُعطه مكاناً من البدء. فإن غضبنا وأخطأنا نجد أننا دخلنا في سلسلة من الخطايا التي لا آخر لها! ويأخذ إبليس مكاناً.

فكم من عائلة انقسمت، وكنيسة ضعفت، وصداقة ضاعت، بسبب غضب خاطئ استغله الشيطان!

يقول داود المرنم: «اِرْتَعِدُوا وَلاَ تُخْطِئُوا» (مزمور ٤: ٤) وترجمتها في الترجمة السبعينية: «اغضبوا ولا تخطئوا». وهي نصيحة قدَّمها داود لأتباعه بعد ثورة أبشالوم ابنه. لكنهم غضبوا وأخطأوا وقتلوا! وأخذ إبليس مكاناً كبيراً. وهذا ما حدث لموسى عندما غضب وأخطأ وفرط بشفتيه، فأضاع فرصة دخول أرض الموعد (مزمور ١٠٦: ٣٣).

لا تعطِ إبليس مكاناً ليشتكي عليك حين تخطئ. إن كان قد اشتكى على أيوب البار وهو لم يخطئ، فكم تكون شكواه عليك وأنت تغضب وتخطئ!؟.. ولا تعطِ إبليس مكاناً ليوقعك في غضب أكثر وخطأ أكبر. احترس من الغلطة الأولى لأنها تجرّ وراءها الثانية والثالثة.. ولا تصدق شكوى الشيطان على إخوتك فتكرههم وتتكلم ردياً عنهم وتغضب، فإن «مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ فِي الظُّلْمَةِ، وَفِي الظُّلْمَةِ يَسْلُكُ، وَلاَ يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِي، لأَنَّ الظُّلْمَةَ أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ» (١يوحنا ٢: ١١)؛ و«لأَنَّ غَضَبَ الإِنْسَانِ لاَ يَصْنَعُ بِرَّ اللَّهِ» (يعقوب ١: ٢٠). ويقول الرسول بولس عن الشخص الذي أخطأ في كورنثوس: «وَالَّذِي تُسَامِحُونَهُ بِشَيْءٍ فَأَنَا أَيْضاً. لأَنِّي أَنَا مَا سَامَحْتُ بِهِ (إِنْ كُنْتُ قَدْ سَامَحْتُ بِشَيْءٍ) فَمِنْ أَجْلِكُمْ بِحَضْرَةِ الْمَسِيحِ، لِئَلاَّ يَطْمَعَ فِينَا الشَّيْطَانُ، لأَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ» (٢كورنثوس ٢: ١٠، ١١).

(جـ) خلع السرقة ولبس العمل الصالح، لمساعدة المحتاج:

«لاَ يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتْعَبُ عَامِلاً الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احْتِيَاجٌ» (٤: ٢٨).

كانت السرقة شائعة بين الأمم، خصوصاً في مكانين: في المواني حيث ترسو السفن، وفي الحمامات الشعبية عندما كان المستحمون يخلعون ثيابهم، فكان أصحاب الملابس القديمة يتركونها ويلبسون الجديد من ملابس الآخرين. وكانوا يقولون إن السرقة جائزة لمساعدة المساكين. ويوصي الرسول بولس المؤمنين أن لا يسرقوا، ما داموا قد خلعوا الإنسان العتيق ولبسوا الجديد.. فهل امتنع الناس عن السرقة؟

صاحب العمل الذي لا يدفع أجر العامل يسرق تعبه؛ والعامل الذي يؤدي عمله على أحسن وجهٍ يسرق صاحب العمل. الذي يمسك سيرة الناس يسرق صيتهم الحسن وسمعتهم الطيبة. الذي يستلف مالاً ولا يردّه يسرق الذي أعطاه السلفة. الذي يلعب القمار ويربح يسرق مال اللاعبين معه. الذي يقول إنه فقير ويطلب المساعدة – مع أنه قادر – يسرق مال الإحسان والخير. الذي لا يدفع العشور يسلب الله الذي قال: «أَيَسْلُبُ الإِنْسَانُ اللَّهَ؟ فَإِنَّكُمْ سَلَبْتُمُونِي. فَقُلْتُمْ: بِمَ سَلَبْنَاكَ؟ فِي الْعُشُورِ وَالتَّقْدِمَةِ»(ملاخي ٣: ٨).

«لا يسرق.. بل يتعب عاملاً الصالح» فإن المسيحية تقدس العمل. العمل واجب وشرف «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغِلَ فَلاَ يَأْكُلْ أَيْضاً» (٢تسالونيكي ٣: ١٠)، ومثالنا بولس الذي قال: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حَاجَاتِي وَحَاجَاتِ الَّذِينَ مَعِي خَدَمَتْهَا هَاتَانِ الْيَدَانِ» (أعمال ٢٠: ٣٤)، وأوصى أهل تسالونيكي: «وَتُمَارِسُوا أُمُورَكُمُ الْخَاصَّةَ، وَتَشْتَغِلُوا بِأَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ كَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ» (١تس ٤: ١١).

أما الدافع على ترك السرقة وعمل الصالح فهو «ليكون له أن يعطي من له احتياج». على كل مؤمن أن يجتهد ويشتغل، لكن العاجز عن العمل يجب أن يجد المساعدة. فليعمل القوي ليساعد العاجز، فليس أحد منا يعيش لذاته. «وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجاً، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟» (١يوحنا ٣: ١٧). «فَإِذاً حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ، وَلاَ سِيَّمَا لأَهْلِ الإِيمَانِ» (غلاطية ٦: ١٠).

(د) خلع الكلام الرديء ولبس الصالح، حتى لا نحزن روح الله:

«لاَ تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحاً لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ. وَلاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ» (٤: ٢٩، ٣٠)

الكلام الرديء يخرج من القلب الشرير، وكل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين (متى ١٢: ٣٥، ٣٦). والكلام الرديء هو الكلام المر الذي يضايق من يسمعه (مزمور ٦٤: ٣). «انْزِعْ عَنْكَ الْتِوَاءَ الْفَمِ، وَأَبْعِدْ عَنْكَ انْحِرَافَ الشَّفَتَيْنِ» (أمثال ٤: ٢٤).

والكلمة «رديء» في الأصل اليوناني معناها عطن – بالي – غير صالح للاستعمال – لا يستحق. لذلك يصلي المرنم: «اجْعَلْ يَا رَبُّ حَارِساً لِفَمِي. احْفَظْ بَابَ شَفَتَيَّ» (مزمور ١٤١: ٣).

والمطلوب أن يكون كلامنا «صالحاً للبنيان» كما قال أليفاز لأيوب: «قَدْ أَقَامَ كَلاَمُكَ الْعَاثِرَ، وَثَبَّتَّ الرُّكَبَ الْمُرْتَعِشَةَ» (أيوب ٤: ٤). فلنجعل كلامنا صالحاً حتى يبني شخصية الذي يسمعه في الروح والعقل والجسد، ويصير السامع أفضل حالاً بعد أن يسمعه.

ويجب أن يكون كلامنا «حسب الحاجة» يناسب الظرف والحال، يتم فيه القول: «تُفَّاحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي مَصُوغٍ مِنْ فِضَّةٍ كَلِمَةٌ مَقُولَةٌ فِي مَحَلِّهَا» (أمثال ٢٥: ١١).

ويجب أن «يعطي نعمة للسامعين». والنعمة هي الجمال. فليكن كلامنا صالحاً يبهج السامعين ويجمِّل حياتهم، كما انسكبت النعمة على شفتي المسيح (مزمور ٤٥: ٢). «لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ كُلَّ حِينٍ بِنِعْمَةٍ، مُصْلَحاً بِمِلْحٍ، لِتَعْلَمُوا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُجَاوِبُوا كُلَّ وَاحِدٍ» (كولوسي ٤: ٦).

فهل يجد السامعون يسوع في كلامنا؟ وهل يجدون عندنا التشجيع والتعزية؟

أما الدافع على ترك الكلام الرديء وقول الكلام الصالح فلكي «لاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ».

يعلّمنا الكتاب أن لا نقاوم الروح (أعمال ٧: ٥١)؛ وأن لا نطفئه (١تسالونيكي ٥: ١٩)؛ ويطلب منا هنا أن لا نحزنه بتمرُّدنا (إشعياء ٦٣: ١٠) كما أحزنه الشعب في البرية (مزمور ٧٨: ٢٠). فإن الروح يحزن عندما ننطق بكلام رديء، لأنه ساكن فينا، فيجب أن نقدم له السجود والإكرام بكلامنا الصالح البنّاء الذي يعطي نعمة للسامعين. «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ، لأَنَّ هَيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ، الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ» (١كورنثوس ٣: ١٦، ١٧).

هذا الروح الذي يجب أن نحترس حتى لا نحزنه هو الذي به «خُتمنا». وقد رأينا معنى الختم في دراستنا (١: ١٣) فالروح الذي خُتمنا به يشهد أن إيماننا أصلي وصحيح؛وأننا ملك للرب؛ هو يضمننا ويحفظنا؛كما أنه يذيع بنا اسم المسيح. وقد خُتمنا بالروح القدس حتى «يوم الفداء» وهو اليوم الذي يجيء فيه المسيح من السماء مجيئه ثانيةً ليكمل فداءنا بدخولنا السماء، حين يتمُّ التبنِّي فداء أجسادنا (رومية ٨: ٢٣).

(هـ) خلع الانفعالات الرديئة ولبس المشاعر الطيبة لنكون على مثال المسيح:

«لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ. وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ» (٤: ٣١، ٣٢).

في هاتين الآيتين يطالبنا الرسول بأن نخلع الانفعالات الرديئة، ونلبس المشاعر الطيبة. أما الدافع على ذلك فهو أن المسيح سبق أن سامحنا.

* يجب أن نخلع كل «**مرارة**» وهي إحساس الإنسان بالضيق حين يذكر إساءات الناس وظلم الحياة. وهي بعكس الحلاوة. والمرارة شيء سام مثل الحربة المسنونة يتلف حياتنا.

* ونخلع كل «**سخط**» وهو الغضب السريع الذي يشبه نار القش. وهو يحرق العقل ويوقفه عن التفكير السليم.

* ونخلع كل «**غضب**» وهو الذي نبنيه على التفكير في إساءات الناس، ونخزنه داخلنا حتى يصير كراهية وحقداً.

* ونخلع كل «**صياح**» حين يرتفع صوتنا في المناقشة والجدل.. قال رجلٌ حكيم: «حين يرتفع صوتك في المناقشة فقد جاء الوقت لتتوقف عن الكلام». وقال الكتاب عن المسيح «لاَ يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ» (متى ١٢: ٩).

* ونخلع كل «**تجديف**» وهو الكلام الرديء على الله وعلى الناس، كما يقول الرسول يعقوب: «لاَ يَذُمَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ. الَّذِي يَذُمُّ أَخَاهُ وَيَدِينُ أَخَاهُ يَذُمُّ النَّامُوسَ وَيَدِينُ النَّامُوسَ. وَإِنْ كُنْتَ تَدِينُ النَّامُوسَ» (يعقوب ٤: ١١).

* ونخلع كل «**خبث**» وهو فساد القلب الذي منه تظهر الشرور. وقال فم الذهب إن الخبث هو النار التي تشتعل بالوقود في الداخل دون أن يراها الناس لكنهم يلمسون تأثيرها الهدام.

وإذ نخلع هذه الانفعالات الشريرة يجب أن نلبس المشاعر الحسنة..

* «**وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ**»

واللطف هو نفع الآخرين ومساعدتهم، وهو من ثمر الروح. والكلمة «لطيف» هي نفسها كلمة «خفيف» التي وصف بها المسيح حمله، حين قال: «حِمْلِي خَفِيفٌ» (متى ١١: ٣٠).

* «**شَفُوقِينَ**»

والشفقة هي معاملة الناس كإخوة، وأن نكون «ذَوِي مَحَبَّةٍ أَخَوِيَّةٍ، مُشْفِقِينَ لُطَفَاءَ» (١بطرس ٣: ٨). والإنسان الشَّفوق هو الذي لا يسبِّب للناس الألم بدون فائدة.

* «**مُتَسَامِحِينَ**» نغفر للناس إساءاتهم كما نطلب من الله أن يغفر لنا. نغفر ثم ننسى الإساءة، كما غفر الله وطرح خطايانا وراء ظهره لينساها ولا يعود يذكرها.

أما الدافع على هذا الشعور الطيب فهو قوله «**كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ**». سامحنا ونحن أعداء أشرار؛ سامحنا ولم يكن فينا خير؛ سامحنا ولم ينتظر منا أجراً. وعلى مثاله يجب أن نسامح ونغفر، ونخلع الغضب والصياح والخبث!

في رسالة للقديس أكليمندس الإسكندري كتب: «إن كنا ننتقم من الذين يسيئون إلينا فهذا عمل إنساني، وإن كنا لا ننتقم من المسيئين إلينا فهذا عمل فلسفي. لكن إن كنا نعمل الخير مع الذين يسيئون إلينا فهذا عمل إلهي».

الفصل التاسع

السلوك الجديد

(أفسس ٥: ١-٢١)

«١ فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ كَأَوْلاَدٍ أَحِبَّاءَ، ٢وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَاناً وَذَبِيحَةً للَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً.

٣وَأَمَّا الزِّنَا وَكُلُّ نَجَاسَةٍ أَوْ طَمَعٍ فَلاَ يُسَمَّ بَيْنَكُمْ كَمَا يَلِيقُ بِقِدِّيسِينَ، ٤وَلاَ الْقَبَاحَةُ، وَلاَ كَلاَمُ السَّفَاهَةِ وَالْهَزْلُ الَّتِي لاَ تَلِيقُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ الشُّكْرُ. ٥فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ هذَا أَنَّ كُلَّ زَانٍ أَوْ نَجِسٍ أَوْ طَمَّاعٍ، الَّذِي هُوَ عَابِدٌ لِلأَوْثَانِ لَيْسَ لَهُ مِيرَاثٌ فِي مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ وَاللهِ. ٦لاَ يَغُرَّكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ بَاطِلٍ، لأَنَّهُ بِسَبَبِ هذِهِ الأُمُورِ يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ. ٧فَلاَ تَكُونُوا شُرَكَاءَهُمْ. ٨لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً وَأَمَّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ. اسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ. ٩لأَنَّ ثَمَرَ الرُّوحِ هُوَ فِي كُلِّ صَلاَحٍ وَبِرٍّ وَحَقٍّ. ١٠مُخْتَبِرِينَ مَا هُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ الرَّبِّ. ١١وَلاَ تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ الظُّلْمَةِ غَيْرِ الْمُثْمِرَةِ بَلْ بِالْحَرِيِّ وَبِّخُوهَا. ١٢لأَنَّ الأُمُورَ الْحَادِثَةَ مِنْهُمْ سِرّاً ذِكْرُهَا أَيْضاً قَبِيحٌ. ١٣وَلكِنَّ الْكُلَّ إِذَا تَوَبَّخَ يُظْهَرُ بِالنُّورِ. لأَنَّ كُلَّ مَا أُظْهِرَ فَهُوَ نُورٌ. ١٤لِذلِكَ يَقُولُ: «اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ».

١٥فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لاَ كَجُهَلاَءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، ١٦مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لأَنَّ الأَيَّامَ شِرِّيرَةٌ. ١٧مِنْ أَجْلِ ذلِكَ لاَ تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ. ١٨وَلاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ، بَلِ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ، ١٩مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرَتِّلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ. ٢٠شَاكِرِينَ كُلَّ حِينٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، للَّهِ وَالآبِ. ٢١خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللهِ» (أفسس ٥: ١-٢١).

تحدث الرسول في الأصحاح الرابع عن ضرورة خلع العتيق الفاسد الذي يسلك فيه الأمم، ولبس الجديد المخلوق بحسب الله وعلى مثاله في البر وقداسة الحق. وفي الجزء الذي ندرسه في هذا الفصل من الأصحاح الخامس (آية ١-٢١) يتحدث الرسول عن السلوك الجديد الذي يجب أن يسلكه المؤمنون. ونرى في هذا الجزء:

١- السلوك في المحبة (آية ١-٧)

٢- السلوك في النور (آية ٨-١٤)

٣- السلوك بالتدقيق (آية ١٥-٢١)

أولاً: السلوك في المحبة

(أفسس ٥: ١-٧)

«وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ». ونتأمل مقياس السلوك في المحبة (آيتا ١، ٢)؛ ومظهر ذلك السلوك (آيتا ٣، ٤)؛ وما يشجعنا أن نسلك فيه (آيات ٥-٧).

(أ) مقياس السلوك في المحبة (آيتا ١، ٢)

«فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ كَأَوْلاَدٍ أَحِبَّاءَ، وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَاناً وَذَبِيحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً».

* «**كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ**» بمعنى أن نقلد الله، ونمثل دوره في العالم. وقد قال أكليمندس الإسكندري إن على كل مسيحي أن يلعب دور الله، ونصح كل مسيحي: «كن مسيحاً صغيراً».

ومنذ البدء قال الله لشعبه «تَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ» (لاويين ١٩: ٢) ويقول لنا الرسول بطرس إننا صرنا شركاء الطبيعة الإلهية (٢بطرس ١: ٤) لهذا «نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ» (١بطرس ١: ١٥، ١٦). ويجب أن يكون الرب نصب عيوننا دائماً «وَنَحْنُ جَمِيعاً نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ» (٢كورنثوس ٣: ١٨).

* «**كَأَوْلاَدٍ أَحِبَّاءَ**» يقلدون أباهم السماوي، فإن الإبن يفعل ما يرى أباه يفعله، وهو دوماً يمثل شخصية أبيه. لهذا نجد أبناء إبليس يلعبون دور أبيهم في الكذب (يوحنا ٨: ٤٤). فبالأولى يجب على أولاد الله أن يقلّدوا أباهم في المحبة الطاهرة، ويتمثَّلون به. وكلما زاد حب الابن لأبيه زاد من تقليده ومحاكاته وتمثيل دوره، وكلما زاد حبنا لله زاد تشبُّهنا وتمثُّلنا به.

والممثل يحتاج إلى ثلاثة أشياء: يحتاج إلى معرفة شيء عن التمثيل؛ ويحتاج إلى معرفة الشخص الذي يقلده ويلعب دوره؛ ويحتاج ثالثاً إلى التدريب المستمر حتى يتقدم في أداء دوره. ونحن قد عرفنا أن «الله محبة» لما رأينا يسوع المسيح يترك لنا مثالاً لنتبع خطواته، فهو الذي «الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي» (غلاطية ٢: ٢٠).

* « **كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا**».. وقال لنا: «وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضاً بَعْضُكُمْ بَعْضاً. بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضاً لِبَعْضٍ» (يوحنا ١٣: ٣٤، ٣٥). وقال أيضاً: «هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ. لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ» (يوحنا ١٥: ١٢، ١٣). فلم تكن محبة المسيح لنا باللسان أو بالكلام، لكنها

كانت بالعمل والحق، فإنه «أَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا» طوعاً وباختياره، دون أن يجبره أحد. فقد «أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا» (أفسس ٥: ٢٥). و«بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ **وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا**» (١يوحنا ٣: ١٦). «أسلم نفسه» «لأجلنا» نيابة عنا، ومات بدلنا لنحيا نحن!

وكان موت المسيح في نظر الله «**قُرْبَاناً وَذَبِيحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً**» فإنه «بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ.. فَبِهَذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً.. لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ» (العبرانيين ٩: ١٤، ١٠: ١٠، ١٤). هو «حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ» (يوحنا ١: ٢٩). «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ» (١بطرس ١: ١٨، ١٩).

وذبيحة المسيح في نظر الله «رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ» وهي في اللغة العبرانية تعني «رائحة ارتياح» يرتاح إليها الله، كما قيل «وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ.. وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا» (تكوين ٨: ٢١)؛ وهي «رَائِحَةُ سُرُورٍ» (الخروج ٢٩: ١٨) فإن الآب قَبِل تضحية الابن عندما قدم الابنُ نفسه قرباناً للتكفير عن خطايانا مرة واحدة، ورأى الله حُبَّ المسيح لنا، وقَبِل ذبيحة المسيح، وكانت قدامه رائحة طيبة.

محبة المسيح لنا مقياس محبتنا له، وللآخرين: «ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ» (١يوحنا ٣: ١٦).

(ب) مظهر هذه المحبة (آيتا ٣، ٤)

تظهر هذه المحبة في أمرين: طهارة وقداسة الجسد؛ وطهارة وقداسة الكلام. فيقول الرسول بولس:

١- «وَأَمَّا الزِّنَا وَكُلُّ نَجَاسَةٍ أَوْ طَمَعٍ فَلاَ يُسَمَّ بَيْنَكُمْ كَمَا يَلِيقُ بِقِدِّيسِينَ» (آية ٣).

٢- «وَلاَ الْقَبَاحَةُ، وَلاَ كَلاَمُ السَّفَاهَةِ وَالْهَزْلُ الَّتِي لاَ تَلِيقُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ الشُّكْرُ» (آية ٤).

*** قداسة الجسد:**

«وَأَمَّا الزِّنَا وَكُلُّ نَجَاسَةٍ أَوْ طَمَعٍ فَلاَ يُسَمَّ بَيْنَكُمْ كَمَا يَلِيقُ بِقِدِّيسِينَ» (آية ٣).

كان الزنا والنجاسة من الأمور الطبيعية في حياة المجتمع الوثني، وكانت هناك نساء في الهياكل يقدِّمن أنفسهن للرجال كجزءٍ من العبادة، ويتقاضين عن زناهنَّ أجراً يتبرَّعن به لبناء مزيد من هياكل هذه العبادة الفاسدة. أما الذين يحبون بعضهم محبة طاهرة كمحبة المسيح، فليسوا هكذا، فإن الزنا والنجاسة يبرهنان عن طمع في شيء لا يخص الزاني، وبه يأخذ شيئاً ليس له. ولا يجب أن يجعل المؤمنون هذه النجاسة موضوع حديثهم: «لا يُسَمَّ بَيْنَكُمْ» بمعنى أننا لا نذكره ولا تنطق به شفاهنا.. فإننا قديسون في المسيح!

*** قداسة الكلام:**

«وَلاَ الْقَبَاحَةُ، وَلاَ كَلاَمُ السَّفَاهَةِ وَالْهَزْلُ الَّتِي لاَ تَلِيقُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ الشُّكْرُ» (آية ٤).

الذي يحب الآخرين لا يتكلم معهم بكلام القباحة الأعوج، فإن هذا ضد الأخلاق الصالحة، ولا ينطق بكلام السفاهة كلام الجهال، ولا يجلس في مجلس المستهزئين (مزمور ١: ١) فإن هذه كلها لا تليق به. فيجب أن من يسير في أثر خطوات المسيح يحب الآخرين ويشكرهم، ويبادلهم كلام التشجيع فيجعلهم يشكرون الله. لأننا عندما نحس بفضل الله علينا يفيض قلبنا بكلام صالح، يجعل الآخرين يشكرون الله.

(جـ) تشجيع على السلوك في المحبة (آيات ٥-٧).

يقدم الرسول تشجيعاً للمؤمنين يجعلهم يسلكون في المحبة، بأن يبتعدوا عن نجاسة الجسد ونجاسة الكلام، وهو تشجيع مثلث:

١- «فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا أَنَّ كُلَّ زَانٍ أَوْ نَجِسٍ أَوْ طَمَّاعٍ، الَّذِي هُوَ عَابِدٌ لِلأَوْثَانِ لَيْسَ لَهُ مِيرَاثٌ فِي مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ وَاللهِ» (آية ٥).

٢- «لاَ يَغُرَّكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ بَاطِلٍ، لأَنَّهُ بِسَبَبِ هَذِهِ الأُمُورِ يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ» (آية ٦).

٣- «فَلاَ تَكُونُوا شُرَكَاءهُمْ» (آية ٧).

*** الذي لا يسلك في المحبة ليس له ميراث سماوي:**

«الَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحِسَّ، أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَارَةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ» (أفسس ٤: ١٩). لم تعُد تكفيهم خطية واحدة، فيطمعون في مزيد منها. والطماع يعبد الأوثان لأنه يسعى وراء معبود آخر غير الله هو النجاسة التي يطمع في الحصول عليها، فلا يكون له نصيب في ملكوت «المسيح والله» (بمعنى ملكوت المسيح الذي هو الله). فلنحترس من خطية النجاسة، ولنسلك في المحبة ليكون لنا الميراث السماوي.

*** الذي لا يسلك في المحبة يأتي عليه غضب الله:**

«لاَ يَغُرَّكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ بَاطِلٍ، لأَنَّهُ بِسَبَبِ هَذِهِ الأُمُورِ يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ» (آية ٦).

هناك كلام باطل لا فائدة فيه ولا ثمر يقول إن النجاسة ليست شيئاً نخاف منه، فإنها تُمارَس بأجسادنا، والله سيُبيد الجسد. وعلى هذا فإن نجاسة الجسد غير مهمة! وهذا الكلام باطل وفارغ نادت به في القرن الأول المسيحي جماعة اسمهم «العارفون بالله». ويقول الرسول للمؤمنين: «لاَ يَغُرَّكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ بَاطِلٍ» فإن تعليم «العارفين بالله» غير صحيح، فإن كل من يرتكب النجاسة يحل عليه غضب الله، وعلى كل أبناء المعصية من أمراض خبيثة وتأديبات إلهية. والعذاب الأبدي في جهنم هو نصيب أبناء المعصية.

*** الذي يسلك في المحبة لا يشارك أبناء المعصية:**

«فَلاَ تَكُونُوا شُرَكَاءهُمْ» (آية ٧).

كان المؤمنون قبل إيمانهم أبناء المعصية، وعاشوا في الخطية والنجاسة. لكنهم خلعوا الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتجددوا بروح ذهنهم، ولبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق. فكيف يشتركون مع أبناء المعصية في خطاياهم التي سبق أن تركوها؟ «فَلاَ تَكُونُوا شُرَكَاءهُمْ».

ثانياً: السلوك في النور

(أفسس ٥: ٨-١٤)

بعد أن دعا الرسول المؤمنين ليسلكوا في المحبة، دعاهم ليسلكوا في النور. وفي هذه الآيات نرى أمرين: مسؤولية أبناء النور من جهة دعوتهم (آيات ٨-١٠)؛ ومسؤولية أبناء النور نحو أبناء الظلمة (آيات ١١-١٤)

(أ) مسؤولية أبناء النور من جهة دعوتهم (آيات ٨-١٠):

في هذه الآيات الثلاث (٨-١٠) يطلب الرسول من أبناء النور أن ينظروا أين كانوا وكيف أصبحوا (آية ٨)؛ ثم يحدثهم عن الثمر في حياتهم (آية ٩)؛ ثم يتحدث عن اكتشاف ما يُرضي الرب (آية ١٠).

*** أبناء النور بين ماضيهم وحاضرهم:**

«لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً وَأَمَّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ. اسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ» (آية ٨).

«**كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً**»: ظلمة لجهلهم بالله وبإرادته. كانوا يرتكبون الشر حتى صاروا هم الظلمة نفسها! وعاشوا تحت قيادة «ظُلْمَةَ هَذَا الدَّهْرِ» (أفسس ٦: ١٢) وكانوا ظلمة! «**وَأَمّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ**». «اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُوراً عَظِيماً. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ» (إشعياء ٩: ٢) - الظلمة منهم، لكن النور الذي جاءهم جاء من عند الرب.. من المسيح شمس البر ونور العالم. وعندما اتحدوا به أشرق عليهم النور السماوي حتى جعلهم نوراً، فصاروا هم نوراً للعالم (متى ٥: ١٤)، كما كان يوحنا المعمدان سراجاً موقداً منيراً (يوحنا ٥: ٣٥). «أَمَّا سَبِيلُ الصِّدِّيقِينَ فَكَنُورٍ مُشْرِقٍ يَتَزَايَدُ وَيُنِيرُ إِلَى النَّهَارِ الْكَامِلِ» (أمثال ٤: ١٨).

«**اُسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ**» أي كونوا مختلفين عن غيركم، بعد أن حدث التغيير في حياتكم. «النُّورُ مَعَكُمْ زَمَاناً قَلِيلاً بَعْدُ، فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلا يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ. وَالَّذِي يَسِيرُ فِي الظَّلاَمِ لاَ

يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ. مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ آمِنُوا بِالنُّورِ لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النُّورِ» (يوحنا ١٢: ٣٥، ٣٦).

*** أبناء النور وثمر حياتهم:**

«لأَنَّ ثَمَرَ الرُّوحِ هُوَ فِي كُلِّ صَلاَحٍ وَبِرٍّ وَحَقٍّ» (آية ٩)

وفي النسخ القديمة نقرأ: «لأن ثمر النور هو في كل صلاح وبر وحق». والحقيقة أن الروح هو الذي ينير القلب، فالروح هو مصدر النور. لقد انتقل المؤمنون من الظلمة إلى النور، فيجب أن يكون فيهم الثمر الذي هو في كل صلاح. والصلاح هو الخير الذي يحقق الغرض الذي وُجد لأجله؛ وثمر النور بر، والبر هو الاستقامة والعدل وإعطاء كل ذي حق حقه؛ وثمر النور في كل حق، وهو عكس الضلال، والمقصود به الأخلاق الروحية والعمل.

*** أبناء النور واكتشاف الصالح:**

«مُخْتَبِرِينَ مَا هُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ الرَّبِّ» (آية ١٠)

مختبرين: معناها امتحان الشيء بعد تجربته. والمطلوب أن يختبر المؤمنون كل شيء ليكتشفوا الصالح الذي يُرضي الرب «امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ» (١تسالونيكي ٥: ٢١). وبعد أن يفحصوا ويختبروا ويجربوا يعرفون «ما هو مَرْضِيٌّ عند الرب» ويعملونه.

وفكرة اختبار ما هو مرضي مأخوذة من فحص الثياب قبل شرائها، فقد كانت محلات البيع معتمة، فكانوا يأخذون الثوب إلى خارج في الشمس «ويختبرونه» ليروا إن كان يرضيهم ويعجبهم. وفي النور يظهر اللون على حقيقته، ويظهر إن كان في النسيج عيوب.

(٢) مسؤولية أبناء النور نحو أبناء الظلمة (آية ١١-١٤):

بعد أن تحدث الرسول عن سلوك أبناء النور، تحدث عن مسؤوليتهم من جهة أبناء الظلمة، فطلب منهم أن لا يشتركوا معهم (آية ١١، ١٢)؛ وأن يوبِّخوهم (آية ١٣)؛ وأن يوقظوهم (آية ١٤).

*** لا تشتركوا معهم:**

«وَلاَ تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ الظُّلْمَةِ غَيْرِ الْمُثْمِرَةِ بَلْ بِالْحَرِيِّ وَبِّخُوهَا، لأَنَّ الأُمُورَ الْحَادِثَةَ مِنْهُمْ سِرّاً ذِكْرُهَا أَيْضاً قَبِيحٌ» (آية ١١، ١٢)، لأنه «أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟ وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالَ؟ وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؟» (٢كورنثوس ٦: ١٤، ١٥).. «إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ. إِنْ قُلْنَا إِنَّ لَنَا شَرِكَةً مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَقَّ» (١يوحنا ١: ٥، ٦).

تتبع «أعمال الظلمة غير المثمرة» من الجهل بالله وإرادته ووصاياه.. وهي أعمال تحدث في الظلام «الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح».. وهي غير مثمرة، لا ربح منها. لا تبني الروح ولا فائدة فيها ونهايتها الخراب!

في الحديث عن النور قال الرسول: «ثمر الروح» وفي الحديث عن الظلمة قال: «أعمال الظلمة» وهذا معناه أن ما نأخذه من الله هو الخير، ولكن ما نعمله نحن هو الظلام. أعمال الظلمة من عندنا، وثمر الروح من عنده.

*** وبِّخوهم:**

«وَلَكِنَّ الْكُلَّ إِذَا تَوَبَّخَ يُظْهَرُ بِالنُّورِ، لأَنَّ كُلَّ مَا أُظْهِرَ فَهُوَ نُورٌ» (آية ١٣).

لا يكون التوبيخ بالتشنيع، فإن ذكر هذه الأمور قبيح.. لكن التوبيخ يكون بأن نُظهر الأمور في النور. وليس على المسيحي أن يكون جاسوساً، وليس له أن يفضح الناس، لكن عليه أن يكون حكيماً في إظهار الشر بالنور لأن «الكل إذا توبخ يظهر بالنور» فإنه كما أن الشمس تنير وتقتل الجراثيم، هكذا يكشف نور المسيح شمس البر ويشفي. وحيث يشرق النور يتلاشى الخطأ كما ينقشع السحاب..

وعندما نحيا حياة أولاد النور، يكشف النور الذي فينا عيوب الناس، فيتوبخون ويتوبون. كم من خاطئ عرف المسيح وتاب عندما رأى حياة أولاد الله الطاهرة.. وكم من بعيد عن المسيح اقترب إليه نتيجة سيرة شخص صالح، بدون كلمة!

اجعل حياتك منيرة، يهرب الظلام. كن قدوة صالحة لأهل بيتك ولجيرانك.. وهذه الآية تعلمنا: النور يبدد الظلام، ويعلن المكتوم.

(١) النور يجعل الظلام نوراً.

(٢) الذي ينير المسيح حياته يصبح واسطة لتنوير غيره.

*** أيقظوهم:**

«لِذَلِكَ يَقُولُ: اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ» (آية ١٤).

هذه كلمات ترنيمة كان المسيحيون الأوائل يرنمونها وقت معمودية الخاطئ التائب. وكلماتها مأخوذة من قول النبي إشعياء: «قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ» (إشعياء ٦٠: ١).. وعلى أبناء النور أن يوقظوا أبناء الظلمة حتى ينير لهم المسيح. فإن «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ» (يوحنا ٥: ٢٥) فإن أموات الخطية سيسمعون دعوة الله، وكل من يستجيب لصوت الدعوة يحيا.

أيها المؤمن: كن مستعداً أن تجاوب على كل من يسألك عن إيمانك ليكن لك ضمير صالح ليرى الناس سيرتك الصالحة ويتوبون. أيقظ أهل الظلمة ليشرق عليهم المسيح بالنور الذي فيك.

ثالثاً: السلوك بالتدقيق

(أفسس ٥: ١٥-٢١)

سلوك المؤمنين الجديد هو في المحبة، وفي النور، وبالتدقيق. ويتحدث الرسول عن السلوك بالتدقيق، فيبدأ بالقول: «فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لاَ كَجُهَلاَءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ» (آية ١٥).

«**انظروا**» بعين مفتوحة للطريق التي تسلكون فيها. انتبهوا للشيطان وحيله. احترسوا من خداع الناس حولكم.

«**بالتدقيق**» مثل القائد الذي يقود سفينته وسط الصخور.

«**لا كجهلاء بل كحكماء**» فإن الجاهل يسقط، ولكن الحكيم هو الذي يسلك باحتراس.

والآن تعالوا نرى مظاهر السلوك بالتدقيق:

(أ) انتهزوا الفرصة (آية ١٦)

«مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لأَنَّ الأَيَّامَ شِرِّيرَةٌ».

«مفتدين الوقت» معناها أن ننتهز الفرصة، ونشتري الوقت. وهي نفس الكلمة التي قالها الملك نبوخذ نصر للسحرة «أَنَّكُمْ تَكْتَسِبُونَ وَقْتاً» (دانيال ٢: ٨).

والمطلوب من المؤمن الذي يسلك بالتدقيق أن يكسب الوقت ولا يضيعه. والذي يفتدي الوقت هو الذي ينتهز الفرصة حتى لا تضيع ويعمل فيها الخير؛ وهو الذي يكسب الوقت لئلا يأخذه الشيطان ويضيعه فيما لا ينفع؛ وهو الذي يستغل الوقت بأحسن طريقة.

في كل يوم جديد يعطيك الله أربعاً وعشرين ساعة جديدة. كيف تصرفها؟ هل تستفيد من كل يوم ساعة من وقتك؟ الأيام شريرة غير مضمونة، فاعمل فيها الخير.

(ب) افهموا مشيئة الرب (آية ١٧)

«مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لاَ تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ».

«من أجل **ذلك**» من أجل أنكم أبناء النور؛ ومن أجل أن الأيام شريرة لا تكونوا أغبياء جهلاء بل حكماء. والغبي هو الذي لا يستفيد مما سمعه وعرفه؛ وهو الذي لا يرى الشيء على حقيقته؛ وهو الذي لا يعطي الأشياء قيمتها الحقيقية. هو غبي، فإنه كان يجب أن يكون حكيماً بعد أن سمع الله يقول للغني «يا غبي» (لوقا ١٢: ٢٠).

«**بل فاهمين ما هي مشيئة الرب**» أما الذي يسلك بالتدقيق فإنه يعرف مشيئة الرب، ويختبر ما هو مرضي عند الرب، ففي أمور كثيرة نحتاج إلى معرفة مشيئة الرب. ونحن نعرفها إن كان سلوكنا بالتدقيق، فإن «سِرّ الرَّبِّ لِخَائِفِيهِ» (مزمور ٢٥: ١٤). وقال الله: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ؟» (تكوين ١٨: ١٧). فلنكن في انسجام مع إرادة الله، وعلى اتفاق مع مشيئته، فيكشف لنا إرادته ويفهمنا مشيئته.

(جـ) امتلئوا بالروح (آية ١٨)

«وَلاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ، بَلِ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ»

كان اليونانيون والرومان زمن بولس الرسول يقولون إن الإنسان يجب أن يمتلئ بشيء ما، هو الخمر، وكان الفيلسوف أفلاطون يفتخر بأن سقراط يشرب كمية كبيرة من الخمر دون أن يتأثر! إلا أن بولس يقول إن فيها الخلاعة، وإننا يجب أن نمتلئ بالروح. ولا يمكن أن ننقذ الشخص الخليع لأنه يسرع نحو الهلاك مثل الابن الضال. «لا تسكروا» لكيلا تفقدوا وعيكم فتصلوا إلى حالة الهلاك بالخلاعة «لأَنَّ الَّذِينَ يَنَامُونَ فَبِاللَّيْلِ يَنَامُونَ، وَالَّذِينَ يَسْكَرُونَ فَبِاللَّيْلِ يَسْكَرُونَ» (١تسالونيكي ٥: ٧). «لاَ تَنْظُرْ إِلَى الْخَمْرِ إِذَا احْمَرَّتْ حِينَ تُظْهِرُ حِبَابَهَا فِي الْكَأْسِ وَسَاغَتْ مُرَقْرِقَةً. فِي الآخِرِ تَلْسَعُ كَالْحَيَّةِ وَتَلْدَغُ كَالأُفْعُوانِ» (أمثال ٢٣: ٣١، ٣٢).

والذي يمتلئ بالروح يخلي نفسه من خلاعة العالم وخمره. وكلما أخلى الإنسان نفسه من مشيئته يختبر إرادة الله.

كثيرون يصرخون ويبكون ويطلبون أن يملأهم الروح القدس. لكن الروح لا يملأهم لأنهم يضعون حجراً ثقيلاً من الخطية خلف باب قلوبهم. الأفضل أن يتوقفوا عن طلب الملء بالصلاة وأن يقوموا ويرفعوا الحجر، حتى يعطوا روح الله فرصة امتلاكهم وملء قلوبهم.

عندما انهزم يشوع وبنو إسرائيل أمام «عاي» صلى طالباً النصرة. لكن الحالة كانت تحتاج إلى تطهير وإزاحة الحرام أكثر مما كانت تحتاج إلى الصلاة! فلنخرج منا خمر العالم وخلاعته، ولنكن مطيعين فنمتلئ من الروح القدس. لأن شرط نوال الملء هو التكريس والطاعة بالسلوك والتدقيق.

(د) رنموا (آية ١٩)

«مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرَتِّلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ».

الخمر تسيطر على الإنسان، وكذلك يفعل الروح القدس.. الخمر تطلق حرية اللسان فيتكلم صاحبه، والروح يطلق لسان المؤمن فيرنم..

ظن أهل العالم أن الرسل يوم الخمسين كانوا سكارى، لكن الحقيقة أنهم كانوا ممتلئين بالروح القدس. فلنمتلئ بالروح ولنرنم، لأنه عندما رنم الشعب سقطت أسوار أريحا، وعندما وُلد المسيح رنمت الملائكة.

«**مكلمين بعضكم بعضاً**» في حديثكم العادي استعملوا الترانيم، أو رنموا بالتبادل «هذا ينادي ذاك» واحد يرنم والآخر يرد عليه (إشعياء ٦: ٣)، ولتكن كلماتكم بروح الفرح وأنتم ترنمون

«**مزامير وتسابيح وأغاني روحية**»: المزامير من سفر المزامير، والتسابيح والأغاني الروحية من صياغة المؤمنين الذين لمست نعمة المسيح قلوبهم.

ونجد في العهد الجديد ترنيمتين على الأقل، درسنا إحداها في أفسس ٥: ١٤ «لذلك يقول: «استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح». والثانية في ٢تيموثاوس ٢: ١١-١٣) «صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ: أَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَهُ فَسَنَحْيَا أَيْضاً مَعَهُ. إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضاً مَعَهُ. إِنْ كُنَّا نُنْكِرُهُ فَهُوَ أَيْضاً سَيُنْكِرُنَا. إِنْ كُنَّا غَيْرَ أُمَنَاءَ فَهُوَ يَبْقَى أَمِيناً، لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ».

«**مترنمين ومرتلين**» كان الكاتب الروماني بلني الصغير في القرن الثاني المسيحي قد كتب إلى الإمبراطور الروماني تراجان يصف المسيحيين ويقول «يجتمع المسيحيون في يوم محدد قبل شروق الشمس، خوفاً من الاضطهاد، ويرتلون بين أنفسهم، كل واحد في دوره، ترنيمة للمسيح على اعتبار أنه إله».

«**في قلوبكم للرب**» الترنيم ليس بالشفتين، بل بالقلب، لأنه للرب. كان مارتن لوثر يقول: «يغضب الشيطان من الترنيم لأنه يكره الموسيقى التي يحبها الله. الموسيقى والترنيم نور، والشيطان يكرهها ويهرب منها فتهزمه». امتلئوا بالروح فتفيض قلوبكم بالفرح، وترنموا!

(٥) اشكروا (آية ٢٠)

«شَاكِرِينَ كُلَّ حِينٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِلَّهِ وَالآبِ».

الذي يسلك بالتدقيق يشكر الله كل حين على كل شيء، ولا يتذمر من شيء. قال يوحنا فم الذهب: «نشكر الله حتى من أجل الجحيم، لأن الخوف منها يدفعنا إلى السلوك الصائب». نشكر في كل حين وعلى كل شيء «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رومية ٨: ٢٨). هذا الشكر «**في اسم ربنا يسوع المسيح**» بسلطانه، واعتماداً عليه، وفيه، «**لله والآب**» أي لله الذي هو الآب، فبالمسيح نشكر الآب، وفي المسيح نشكره.

(و) «اخضعوا» (آية ٢١)

«خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللهِ» (أفسس ٥: ١-٢١).

لسنا منعزلين عن بعضنا فإننا أعضاء بعضاً لبعض، ولذلك يجب أن نخضع بعضنا لبعض في خوف الله. والكتاب ملآن بالآيات عن الخضوع الأخوي، لأنه «لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يَعِيشُ لِذَاتِهِ وَلاَ أَحَدٌ يَمُوتُ لِذَاتِهِ» (رومية ١٤: ٧).. «كُونُوا جَمِيعاً خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ، وَتَسَرْبَلُوا

بِالتَّوَاضُعِ» (١بطرس ٥: ٥).. «وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ، مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْكَرَامَةِ» (رومية ١٢: ١٠).

فلنخضع بعضنا لبعض، لأن كل واحد منا يحتاج للآخر، الكبير يحتاج للصغير، والصغير للكبير. لنترك الكبرياء وعدم الاهتمام بالآخرين، وليكن خضوعنا بعضنا لبعض مؤسساً على خضوعنا للمسيح.

اسلكوا بالتدقيق.. في النور.. وفي المحبة..

الفصل العاشر

المجتمع الجديد

(أفسس ٥: ٢٢-٦: ٩)

«أَيُّهَا النِّسَاءُ، اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ، ٢٣لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ. ٢٤وَلَكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذَلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ. ٢٥أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، ٢٦لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، ٢٧لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ. ٢٨كَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ. ٢٩فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا الرَّبُّ أَيْضاً لِلْكَنِيسَةِ. ٣٠لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ. ٣١مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. ٣٢هَذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلَكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ. ٣٣وَأَمَّا أَنْتُمُ الأَفْرَادُ، فَلْيُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ هَكَذَا كَنَفْسِهِ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا.

٦: ١أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ، لأَنَّ هَذَا حَقٌّ. ٢أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ، ٣لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ، وَتَكُونُوا طِوَالَ الأَعْمَارِ عَلَى الأَرْضِ. ٤وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ. ٥أَيُّهَا الْعَبِيدُ، أَطِيعُوا سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ، فِي بَسَاطَةِ قُلُوبِكُمْ كَمَا لِلْمَسِيحِ - ٦لاَ بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ، بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ، عَامِلِينَ مَشِيئَةَ اللهِ مِنَ الْقَلْبِ، ٧خَادِمِينَ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ كَمَا لِلرَّبِّ، لَيْسَ لِلنَّاسِ. ٨عَالِمِينَ أَنْ مَهْمَا عَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَيْرِ فَذَلِكَ يَنَالُهُ مِنَ الرَّبِّ، عَبْداً كَانَ أَمْ حُرّاً. ٩وَأَنْتُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ، افْعَلُوا لَهُمْ هَذِهِ الأُمُورَ، تَارِكِينَ التَّهْدِيدَ، عَالِمِينَ أَنَّ سَيِّدَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مُحَابَاةٌ» (أفسس ٥: ٢٢-٦: ٩).

خلع المؤمن من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد، وتجدَّد بروح ذهنه، ولبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق (أفسس ٤: ٢٢-٢٤). ونتيجة لخلع الفاسد ولبس الجديد، يسلك المؤمن سلوكاً جديداً في المحبة، وفي النور، وفي التدقيق. وهذا السلوك يخلق مجتمعاً جديداً هو مجتمع الأسرة من زوجة وزوج؛ وأبناء وآباء؛ وعبيد وسادة.

ويمتاز هذا السلوك الجديد في المجتمع الجديد بأنه سلوك يمارس فكرة «خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللهِ» (أفسس ٥: ٢١).

وندرس في هذا الفصل حالة المجتمع الجديد، فنرى فيه علاقة الزوجين (أفسس ٥: ٢٢-٣٣) ثم علاقة الآباء والأبناء (أفسس ٦: ١-٤) ثم علاقة رب العمل بالعامل (العبيد والسادة- أفسس ٦: ٥-٩).

أولاً: علاقة الزوج والزوجة
(أفسس ٥: ٢٢-٣٣)

يطلب الرسول من الزوجة أن تخضع لزوجها، ويطلب من الزوج أن يحب زوجته، ويقدم الرسول علاقة المسيح بالكنيسة كمثال للعلاقة الزوجية النموذجية، ونرى هذا المثال السامي يسيطر على كل فكرة في هذه الآيات. وليس هذا غريباً لأن حياة الإنسان الروحية في بيته هي حياته الحقيقية. فكم من حمل وديع خارج البيت يتصرف مثل وحش مفترس داخله!

وقبل أن نتأمل في العلاقة النموذجية بين الزوجين، لنتأمل مقام الحياة الزوجية عند اليهود في عصر الرسول بولس: كان الرجل اليهودي ينظر نظرة احتقار للمرأة، فكان يصلي كل صباح ويشكر الله على أنه لم يخلقه عبداً، ولم يخلقه من الأمم، ولم يخلقه امرأة!

وكان اليهودي يطلق زوجته متى رأى فيها «عيب شيء» كما جاء في التثنية ٢٤: ١ وفسر معظم رجال الدين كلمة «عيب شيء» بأنه زيادة الملح في الطعام، أو اختيار لون فستان غير مناسب! صحيح أن قليلين منهم قالوا إن «عيب شيء» هو الزنا فقط، لكن الطلاق كان سهلاً جداً. يكفي أن يرسل الرجل للمرأة كتاب طلاق على يد رجل دين، أمام شاهدين، فتُطلَّق.. وكان الحق الوحيد لها أن يعطيها المهر كله. ولم يكن للمرأة أي حق في طلب الطلاق.

وكان حال العائلة عند الرومان واليونان أردأ! فقد قال حكيم يوناني إن المرأة يجب أن تسمع أقل ما يمكن، وترى أقل ما يمكن، وتسأل أقل ما يمكن. وقال سقراط «إن الزوجة هي آخر من تخبرها بأسرارك، وآخر من تتحدث إليهم! أما الرومان فقد كانوا يطلقون زوجاتهم بسبب وبدون سبب، حتى أن بعض النساء كن يعرِّفن السنين بأسماء الأزواج.. لكل سنة زوج!

(أ) واجب الزوجة:

«أَيُّهَا النِّسَاءُ، اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ، ٢٣لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ. ٢٤وَلَكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذَلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (آيات ٢٢-٢٤).

في هذه الآيات الثلاث يطلب الرسول من النساء الخضوع لرجالهنَّ، ويذكر سبب ذلك، ويبين دائرة هذا الخضوع..

*** الخضوع للمحبة:**

«أَيُّهَا النِّسَاءُ، اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ».

والخضوع هنا هو الطاعة التي تنتجها المحبة. وهو خضوع التطوع الاختياري الذي توحي به المحبة. وليس هو خضوع الذل للرجل المستبد، لكنه خضوع الرغبة للرجل المحب. والمرأة الفاضلة هي التي تخضع لرجلها. وكلما كان الرجل صاحب شخصية قوية بالمحبة خضعت له زوجته في سرور وسعادة. ولكن الزوجة لا تحترم الزوج الضعيف الشخصية ولا تجد السعادة مع من لا يحبها محبة صادقة.. والمرأة الفاضلة مثل العود الرطب الذي يميل مع النسيم، أما الجاهلة فهي مثل العود اليابس الذي يتحطم عندما يقف ضد الريح.

منذ البدء قال الله لحواء عن زوجها بعد السقوط: «هُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ» (تكوين ٣: ١٦) ويقول بولس الرسول: «لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلاَ تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ، لأَنَّ آدَمَ جُبِلَ أَوَّلاً ثُمَّ حَوَّاءُ، وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ لَكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي» (١تيموثاوس ٢: ١٢-١٤).

وقرأت شعراً فكاهياً لشاعر قروي إنجليزي قال فيه: «لتراهنِّي أية سيدة إن كان عندها ديك ساكت وسط دجاجات تصيح»!

وهذا الخضوع «كَمَا لِلرَّبِّ» فإن الأسرة نظام من عمل الله، جعل فيه الرجل رأساً، وعلى المرأة أن تخضع فيه للرجل، كأنها تخضع للمسيح، ولأجل خاطر المسيح، لأن المسيح هو الذي أراد هذا الخضوع. فهو خضوع «كما للرب» لأن الخضوع واجب من الرب.

*** سبب الخضوع:**

«لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ» (آية ٢٣).

«لأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ، وَلأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ» (١كورنثوس ١١: ٨، ٩). «وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ لَكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ» (١تيموثاوس ٢: ١٣).

ولما كانت الكنيسة جسد المسيح والمسيح رأسها، فهي تخضع للمسيح لأنه مخلص الجسد.. والزوج في علاقته بزوجته يعاملها كما يعامل المسيح الكنيسة في أنه الرأس. لكن علاقة المسيح بالكنيسة تختلف لأنه مخلّص الجسد، والزوج لا يخلّص جسد زوجته. على أن الزوج يجب أن يكون مستعداً أن يبذل أي شيء لخير زوجته.

*** دائرة الخضوع:**

«وَلَكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذَلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (آية ٢٤).

«**ولكن**» يقصد الرسول أن يقول: صحيحٌ أن المسيح مخلص الجسد.. وليس الزوج كذلك. لكن مسألة الخضوع باقية وصحيحة في علاقة المرأة بالرجل، وكما تخضع الكنيسة للمسيح هكذا يجب أن تخضع الزوجة لزوجها «**في كل شيء**» في دائرة الحياة الزوجية. فعندما يناقش الزوج وزوجته موضوعاً يكون رأي الزوجة فيه صائباً تُقنع به زوجها. وإن كان رأي الزوج صائباً يقنع به زوجته. لكن إن كان الرأيان مختلفين، وكان لكل رأي ما يبرره، فالقرار الأخير يكون فيه للزوج!

على أن القول «في كل شيء» لا يعني أن تخضع الزوجة إن خالف طلب زوجها مشيئة الله لأن القانون الأعلى هو «يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ» (أعمال ٥: ٢٩).

(ب) واجب الزوج (آية ٢٥-٣٢)

«أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ» (آية ٢٥)

على الزوجة واجب واحد هو خضوع المحبة، وعلى الزوج واجب واحد هو المحبة. قال القديس فم الذهب في تفسير هذه الآية: «هل رأيت أيها الرجل مقياس طاعة زوجتك لك؟ إذاً اسمع مقياس محبتك لزوجتك. كما تخضع الكنيسة تخضع الزوجة، وكما يحب المسيح يحب الزوج. إن كنت تريد طاعة زوجتك لك كما تطيع الكنيسة المسيح، اعتنِ أنت بها كما يعتني المسيح بالكنيسة. احتمل كل المتاعب لأجلها. لم يربح المسيح الكنيسة بالتهديد، بل بالمحبة. فمقياس محبتك هو المسيح الذي أحب، فوجبت له الطاعة»!

على الرجل أن يحب زوجته بأن ينكر نفسه لأجلها، ويضع مصلحتها فوق مصلحته. عليه أن يخفف أثقالها، ويواسيها في ضيقتها، ولا يطلب منها فوق طاقتها. وعليه أن يطلب خلاص نفسها، ويبذل كل قوته في قيادتها للحياة الروحية العميقة.

وهناك ثلاث كلمات رئيسية في اللغة اليونانية، نترجمها كلها «محبة»: إحداها «فيليو» وهي تصف حب الإنسان لعائلته وأصحابه. وثانية «إيروس» وتُطلق على الحب الجنسي. والثالثة «أجابا» وهي تصف الحب الإلهي. ومحبة الزوج لزوجته المطلوبة هنا هي محبة «الأجابا» أي المحبة الإلهية، وفيها بذل النفس في سبيل سعادة المحبوب. ويقدم الرسول بولس مثلين لحب الزوج لزوجته، أولهما: حب المسيح لكنيسته، والثاني حب الإنسان لجسده.

*** مثال من حب المسيح للكنيسة (آيات ٢٥-٢٧)**

«كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا» (آية ٢٥)

فالرابطة بين الزوج وزوجته تقوم على أساس حب المسيح للكنيسة. على أن حب المسيح ليس له شبيه، فإن حب الزوج لزوجته مهما سما فيه محبة الذات، لكن محبة المسيح بدون غرض

ذاتي.. حب الزوج لزوجته مبني على أنها معين نظيره، لكن حب المسيح هو الحب الإلهي للبشر، ويصفه المسيح بالقول «لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ» (يوحنا ١٥: ١٦). على أن حب المسيح للكنيسة هو المثل لحب الزوج للزوجة. ويظهر هذا في أمرين: إنه يقدس الكنيسة، ثم أنه يحضرها لنفسه.

*** المسيح يقدس الكنيسة (آية ٢٦)**

«لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ»

يقدِّسها أي يفرزها ويخصصها لنفسه، فقد قدَّس ذاته لأجلها وخصص نفسه لها (يوحنا ١٧: ١٩). وهو يقدسها بمعنى أنه يفرزها ويخصصها لنفسه.

وهو يقدسها بأن يطهرها «اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ» (غلاطية ٣: ١٣) وهو «إِلَهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ. وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١تسالونيكي ٥: ٢٣).

هذا التقديس والتطهير يتم «بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ». والغسل هنا هو المعمودية، كما قال حنانيا لشاول الطرسوسي: «قُمْ وَاعْتَمِدْ وَاغْسِلْ خَطَايَاكَ» (أعمال ٢٢: ١٦) وكما قال بطرس يوم الخمسين: «تُوبُوا، وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا» (أعمال ٢: ٣٨) فإن كل مؤمن قد اغتسل وتقدس وتبرر باسم الرب يسوع (١كورنثوس ٦: ١١).

ويتحدث الكتاب المقدس عن غسل التطهير، فيقول الرب للشعب: «وَدَخَلْتُ مَعَكِ فِي عَهْدٍ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَصِرْتِ لِي. فَحَمَّمْتُكِ بِالْمَاءِ وَغَسَلْتُ عَنْكِ دِمَاءَكِ، وَمَسَحْتُكِ بِالزَّيْتِ» (حزقيال ١٦: ٨، ٩) ويقول أيضاً: «أَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِراً فَتَطْهَّرُونَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ» (حزقيال ٣٦: ٢٥). ولذلك يقول الرسول بولس: «لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الإِيمَانِ، مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ، وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ» (عبرانيين ١٠: ٢٢).

وقد خرج من جنب المسيح دم وماء عندما طعنوه (يوحنا ١٩: ٣٤).. ومن جنب آدم جاءت حواء، ومن المسيح جاءت الكنيسة، طاهرة بدمه الذي يطهر من كل خطية، ومغسولة بفدائه.

على أن الكلمة تصحب غسل الماء، فإن «مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ» (مرقس ١٦: ١٦). «مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (كولوسي ٢: ١٢)... ويقول بطرس الرسول إن الخلاص تم في فلك نوح، ويقول: «الَّذِي مِثَالُهُ يُخَلِّصُنَا نَحْنُ الآنَ، أَيِ الْمَعْمُودِيَّةُ. لاَ إِزَالَةُ وَسَخِ الْجَسَدِ، بَلْ سُؤَالُ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللهِ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١بطرس ٣: ٢١).

وفكرة غسل الكنيسة لتكون عروساً مأخوذة من الواقع الذي كان يحدث، فإن العروس تستحم وتغتسل قبل أن تذهب للعريس (أستير ٢: ١٢). وكان اليونان يأخذون العروس لتستحم في

مجرى نهر مقدس، حتى تطهر من الماء المقدس. إذاً «لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهِ الْمَجْدَ، لأَنَّ عُرْسَ الْحَمَلِ قَدْ جَاءَ، وَامْرَأَتُهُ هَيَّأَتْ نَفْسَهَا. وَأُعْطِيَتْ أَنْ تَلْبَسَ بَزّاً نَقِيّاً بَهِيّاً، لأَنَّ الْبَزَّ هُوَ تَبَرُّرَاتُ الْقِدِّيسِينَ» (رؤيا ١٩: ٧، ٨).

وغسل المؤمن كما رأينا بالمعمودية والكلمة، كما قال الرسول بطرس: «مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ» (١بطرس ١: ٢٣) وكما يقول الرسول يعقوب: «شَاءَ فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلاَئِقِهِ» (يعقوب ١: ١٨).

ولا بد أن تصاحب الكلمة المعمودية، فقد قال القديس أغسطينوس: «استبعد الكلمة، فماذا يصبح الماء؟ ليس إلا ماءً عادياً. أما الماء والكلمة فهما المعمودية الحقيقية».

*** المسيح يحضر الكنيسة لنفسه (آية ٢٧)**

«لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ».

«**يُحْضِرُهَا**»: من العادة أن يحضر أصحاب العريس العروس له، كما يقول المزمور: «بِمَلاَبِسَ مُطَرَّزَةٍ تُحْضَرُ إِلَى الْمَلِكِ. فِي أَثَرِهَا عَذَارَى صَاحِبَاتُهَا» (مزمور ٤٥: ١٤). لكن الحال مع المسيح يختلف، فإنه هو الذي يحضرها لنفسه، فهو الكل في الكل في حياة الكنيسة. هو الذي أوجدها، وهو الذي يحضرها «مَتَى جَاءَ لِيَتَمَجَّدَ فِي قِدِّيسِيهِ وَيُتَعَجَّبَ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ» (٢تسالونيكي ١: ١٠).

وهو يحضرها «**كنيسة مجيدة**» ذات وجهٍ لامع مشرق، فقد عيَّن الله المؤمنين ليكونوا مشابهين صورة ابنه (رومية ٨: ٢٩)؛ وسيكونون مثله لأنهم سيرونه كما هو (١يوحنا ٣: ٢)؛ وهو صاحب المجد الذي رأينا عظمته ومجده مَجْدَ وَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً.

وهي **مجيدة** «**لا دنس فيها ولا غضن**» ليس فيها فساد أو عيب. وليس بها غضن أو تجعيد من مرض أو من كبر السن.. تكون خاليةً من مثل هذه العيوب.

وهي ليست خالية من العيب فقط، لكنها ملآنة قداسةً بفضل نعمته عليها، لأنها تكون «مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ». وكما أنه حمل الله الخالي من العيب هكذا تكون عروسه!

«فَبِهَذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً... لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ» (عبرانيين ١٠: ١٠، ١٤). ونحن الآن نرى الكنيسة مليئة بالعيوب، فهي الآن مثل فلك نوح بها الطاهر والنجس؛ وهي كحجرة العرس بها الحكيمات والجاهلات؛ وهي كالشبكة فيها الجديد والرديء؛ وهي كالحقل فيها الحنطة والزوان.. ولكن حين يحضرها ينقيها، ويزيل منها العيوب.. لتكون مقدسة وبلا عيب. فليحب كل رجل زوجته، على مثال حب المسيح للكنيسة.

*** مثال من حب الشخص لجسده (آيات ٢٨-٣٢)**

«كَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ».

الرجل رأس المرأة وهي جسده. ومن الطبيعي أن يحب الإنسان جسده. الذي يكره زوجته يكره نفسه، لأنه يؤذي نفسه روحاً وجسداً. فليحب الزوج زوجته، لأنها جسده، فالحكيم هو الذي يحب امرأته لأنها نفسه. «فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ ». صحيح أن الإنسان قد يرجو أن يكون جسده أكثر جمالاً، أو أكثر صحة، لكنه لا يهمل جسده أبداً، فهو «يقوت جسده ويربيه» فيقدم لجسده الطعام والكساء «كُلُّ تَعَبِ الإِنْسَانِ لِفَمِهِ» (الجامعة ٦: ٧) وهكذا يجب أن يفعل لزوجته، لأنها هي جسده.

أما مثال هذا الحب فهو حب المسيح للكنيسة، إذ يقوتها ويشبعها، لأنه هو خبز الحياة الذي قال: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ.. أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ» (يوحنا ٦: ٤٨، ٥١). والمسيح يربي الكنيسة بأن يعلمها ويجعلها تنمو وتكبر.

والدافع الذي يدفع المسيح لحب الكنيسة هو نفسه الدافع الذي يجعل الزوج يحب زوجته فإننا «أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ» (آية ٣٠). لسنا منفصلين عن المسيح، ولسنا على اتصالٍ هامشي به، لكننا جزء من الجسد الذي هو رأسه. وعلى هذا فإن المسيح يطعم هذا الجسد ويعمل على نموه. ويقول يوحنا فم الذهب: «كما أخذ الله حواء جسدياً من آدم الأول، هكذا جاءت الكنيسة روحياً من المسيح آدم الثاني». ويقول الدكتور هودج: «وكما صارت حواء شريكة في حياة آدم هكذا أصبحنا نحن شركاء في جسد المسيح وفي حياته».

نحن البشر أعضاء جسد المسيح، من لحمه ومن عظامه، ولذلك فإنه يحبنا. والزوجة عضو في جسد الرجل، لهذا يجب أن يحبها! وقد شعر أبونا الأول آدم بهذا، فقال عن حواء: «هَذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي، لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونَانِ جَسَداً وَاحِداً» (تكوين ٢: ٢٣، ٢٤).

وقال المسيح «وَلَكِنْ مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللَّهُ. مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. إِذاً لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. ٩فَالَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لاَ يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ» (مرقس ١٠: ٦-٩).

وليس المقصود بهذه الآية أن يهمل الرجل أباه وأمه من أجل زوجته، فإن الله لا يريدنا أن نهمل حقوق الوالدين، فإن «كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ، وَلاَ سِيَّمَا أَهْلُ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ» (١تيموثاوس ٥: ٨). ويورد الرسول بولس آية توضح أن سر اتحاد المسيح بالكنيسة هو سر عظيم فيقول: «هَذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلَكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ». وفي ترجمة كاثوليكية نقرأ: «هذا السر عظيم، ولكنني أقول هذا بالنسبة

إلى المسيح والكنيسة». وهذا فعلاً سر عجيب، فاتِّحاد المسيح بنا من الأسرار الإلهية التي أعلنها لنا الروح القدس. والمسيح يحسبنا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه. وهذا نموذج الزواج المثالي فيه حب الزوج، وفيه خضوع الزوجة! «وَأَمَّا أَنْتُمُ الأَفْرَادُ، فَلْيُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ هَكَذَا كَنَفْسِهِ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا».

ثانياً: علاقة الأبناء والآباء

(أفسس ٦: ١-٤)

بعد أن تحدث الرسول إلى الأزواج والزوجات، بدأ يكلم الأبناء والآباء. وهو يطلب من الأبناء طاعة الآباء وإكرامهم، ويطلب من الآباء تربية أولادهم في خوف الرب، ولا يغيظونهم.

(أ) واجب الأبناء (آيات ١-٣)

يذكر الرسول واجبين على الأبناء. الطاعة؛ والإكرام.

*** واجب الطاعة**

«أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ، لأَنَّ هَذَا حَقٌّ» (آية ١)

كان عصيان الوالدين خطية الأبناء في المجتمع الوثني قبل مجيء المسيحية (رومية ١: ٣٠) كما سيكون أحد علامات الفساد قبل مجيء المسيح ثانيةً (٢تيموثاوس ٣: ٢).

والكلمة «أطيعوا» تتكون في الأصل اليوناني من كلمتين، معنى الأول «يسمع» ومعنى الثاني «تحت» فيكون معنى «أطيعوا»: «اسمعوا بخضوع»! وهي الطاعة التي مارسها المسيح في علاقته بيوسف النجار وأمه مريم العذراء: «ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُمَا وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعاً لَهُمَا» (لوقا ٢: ٥١).

هذه الطاعة هي «في الرب» هي طاعة للمسيح. ليس عن خوف بل عن حب عائلي، وسببها الدين والضمير. هي طاعة قلبية اختيارية دائمة. هي طاعة في الرب، وهي طاعة حق. فمن الطبيعي أن يطيع الأبناء آباءهم. فالذي يطيع والديه يطيع معلمه، ويطيع المرشدين الروحيين. هي حق طبيعي وحق إلهي.

*** واجب الإكرام:**

«أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ» (آية ٢)

والإكرام هو أن يعرف الابن قيمة أبيه وأمه، ويدرك فضلهما عليه، فيقدم لهما إكرام الحب. و«**هي أول وصية بوعد**»: أول وصية في اللوح الثاني، وهي الخامسة في الوصايا العشر (خروج ٢٠: ١٢)، ومعها وعد بالبركة لكل من يعمل بها، وهي أول وصية يعلمها الأبوان

للطفل! وهي الوصية الأولى والعظمى في الواجبات الاجتماعية، منذ بدء حياة الطفل. وكأن الرسول يقول: «أيها الأولاد أكرموا والديكم، لأن هذه أول وأهم وصية في واجباتكم الاجتماعية، ولها وعد مرتبط بها، هو: «لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ، وَتَكُونُوا طِوَالَ الأَعْمَارِ عَلَى الأَرْضِ». والخير فهو الشيء المناسب في الوقت المناسب «قُولُوا لِلصِّدِّيقِ خَيْرٌ» (إشعياء ٣: ١٠). «وَتَكُونُوا طِوَالَ الأَعْمَارِ عَلَى الأَرْضِ».

مات ابنا عالي الكاهن في شبابهما بسبب شرهما، ومات أبشالوم في شبابه بسبب ثورته ضد أبيه. وكانت شريعة موسى تأمر بقتل كل من يعصى أباه وأمه. وقال النبي إرميا لبيت الركابيين: «هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ لِوَصِيَّةِ يُونَادَابَ أَبِيكُمْ وَحَفِظْتُمْ كُلَّ وَصَايَاهُ وَعَمِلْتُمْ حَسَبَ كُلِّ مَا أَوْصَاكُمْ بِهِ، لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: لاَ يَنْقَطِعُ لِيُونَادَابَ بْنِ رَكَابَ إِنْسَانٌ يَقِفُ أَمَامِي كُلَّ الأَيَّامِ» (إرميا ٣٥: ١٨، ١٩).

والحقيقة أن العمر ليس بطوله ولكن بعرضه. فقد يعيش آخر سنوات قليلة يعمر فيها ويرى من تعب نفسه ويشبع. وكل ابن يطيع والديه يستمتع بحياته. وليس المهم كم من السنين نحيا، لكن: كيف نحيا هذه السنين؟

وينصح فم الذهب الآباء بالقول: «لا تطلب أن يطول عمره هنا بقدر ما تطلب أن تكون له الحياة الأبدية التي ليس لها نهاية فيما بعد».

ب- واجب الآباء (آية ٤)

* «وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ».

كان للأب الروماني الحق أن يقتل ابنه، ولم يكن الابن الروماني يخرج أبداً عن طاعة أبيه! وعند ولادته كانوا يضعونه عند قدمي أبيه. فإذا قبله ابناً له يرفعه، لكن إذا تحوَّل عنه يُلقون الطفل بعيداً! في هذا الوقت القاسي على الأبناء يأمر الوحي: «أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ»، وفي كولوسي يأمر: «لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ لِئَلاَّ يَفْشَلُوا» (كولوسي ٣: ٢١)

ويغيظ الآباء أولادهم عندما يحابون بينهم فيفضلون واحداً على الآخَر؛ وعندما يظلمونهم بطلب شيء فوق طاقتهم؛ أو بسوء الظن فيهم؛ أو بتوقيع العقاب القاسي عليهم؛ أو بالقسوة عليهم بدون داعٍ؛ وعندما يوقعون العقاب عليهم وهم في حالة الغضب؛ وعندما يفتشون دوماً عن أخطائهم!

* «بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ»

ولا يتوقف الأمر على عدم إغاظة الأولاد، لكن يشمل الأمر أيضاً التربية والتأديب. والتربية هي التهذيب والتعليم منذ بدء حياة الطفل، ويكون هذا بالقدوة؛ والموعظة؛ والعبادة العائلية لأن عبادة العائلة معاً أظم مدرسة لمعرفة الكتاب المقدس.

والتربية تعني أن يتعهد الآباء أولادهم ويرعوهم كما يرعى البستاني شجرة ورد صغيرة حتى تكبر وتنمو وتزهر.

وللتربية وسيلة أخرى هي «بتأديب الرب وإنذاره» فإن «مَنْ يَمْنَعُ عَصَاهُ يَمْقُتُ ابْنَهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ يَطْلُبُ لَهُ التَّأْدِيبَ» (أمثال ١٣: ٢٤). وقد يكون التأديب بالجَلْد كما قال بيلاطس عن المسيح: «أنا أؤدبه وأطلقه» (لوقا ٢٣: ١٦، ٢٢). ويقول الرسول إن التأديب الذي هو للمنفعة (عبرانيين ١٢: ٥-١١).

ونقرأ عن رئيس الكهنة عالي أنه لم يؤدب أولاده، فماتوا في شبابهم وهلكوا (١صموئيل ٢: ٢٢-٢٥ ، ٣: ١٢، ١٣)؛ ونقرأ أن داود لما سمع بخطية ابنه أمنون اغتاظ جداً (٢صموئيل ١٣: ٢١) وتقول الترجمة السبعينية: «ولم يعاقب داود أمنون لأنه كان يحبه، إذ كان ابنه البكر»!

على أن التأديب يجب أن لا يزيد عن حده فيغيظ الأولاد. قال مارتن لوثر: «أيها الأب لا تُبعِد العصا عن ابنك. لكن امسك العصا بيد، وفي اليد الأخرى تفاحة تكافئه ابنك بها عندما يُحسن التصرف». ويكون التأديب بإنذار الرب، فإن «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّباً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ» (٢تيموثاوس ٣: ١٦، ١٧). ويعلّق يوحنا فم الذهب في تفسيره على هذه النصيحة قائلاً: «من الواضح أنك ستعلّم ابنك تجارة أو حِرفة، أو ترسله لمدرسة. ولكن يجب أن تعلمه أولاً عن الله. كن قدوة له. علّمه الكتب المقدسة منذ بدء عمره. لو أنك علّمتَ ابنك أن يحب الحكمة منذ صغره سيحصل على غِنى أعظم من غنى المال مع مجد أكبر. أعطوا أولادكم الأشياء العظيمة وليس الأشياء القليلة».

ثالثاً: علاقة رب العمل بالعامل

(أفسس ٦: ٥-٩)

في المجتمع الجديد يحب الزوج زوجته وتخضع الزوجة لزوجها؛ ويطيع الأبناء والديهم ويكرمونهم والآباء لا يغيظون أولادهم بل يربونهم بتأديب الرب وإنذاره؛ ويؤدي العامل وصاحب العمل (العبيد والسادة) واجبهم بأمانة من جهة بعضهما.

أ- واجب العبيد (آيات ٥-٨)

«أَيُّهَا الْعَبِيدُ، أَطِيعُوا سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ»

كان عدد العبيد كبيراً جداً أكثر بكثير جداً من السادة. وكان في العالم الروماني زمن بولس الرسول ٦٠ مليون عبداً. وكلمة «عبد» معناها «شخص مقيَّد» وقال أرسطو: «العبد آلة

متحركة، والآلة عبد جامد. ولا يمتاز العبد عن الثور إلا بالكلام». وكانوا ينظرون إلى العبد على أنه شيء وليس شخصاً. ولكن المسيحية جاءت بنظرة جديدة للعلاقة بين العبيد والسادة.

طلب الرسول من العبيد أن يطيعوا السادة باحترام وإخلاص، باعتبار أن طاعتهم لسادتهم جزء من طاعتهم للمسيح. فليس السادة الأرضيون أكثر من سادة للجسد، أما المسيح وحده فهو سيد الروح. وفي هذه النصيحة تشجيع كبير للعبيد، لأنه يحرر أرواحهم من كل عبودية. السادة سادة الجسد فقط. العبد إذاً مالك نفسه، والله وحده هو السيد الحقيقي له.

«أَطِيعُوا سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ **بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ**» أي: في رغبة صادقة لعدم التقصير. بالخوف والرعدة يتمم المؤمن خلاصه (فيلبي ٢: ١٢)؛ وبالخوف والرعدة قام بولس بخدمته (١كورنثوس ٢: ٣)؛ وبالخوف والرعدة يقوم العبيد بواجبهم. وليس «الخوف والرعدة» من الإنسان، بل خوف ورعدة من الله.

«**فِي بَسَاطَةِ قُلُوبِكُمْ**» بإخلاص وبدون رياء، فإن القلب البسيط هو الذي يسير على مقياس واحد، وهو الذي لا يعرج بين إرضاء الناس وإرضاء الله.

«**كَمَا لِلْمَسِيحِ**» فلتكن هذه الطاعة المخلصة كأنها للمسيح. وليعتبر كل عامل أن الإخلاص لصاحب العمل هو إخلاص للمسيح، وأن كل خدمة لصاحب العمل قسم من خدمته للمسيح.

«**لاَ بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ**» (آية ٦). يجب أن تكون الطاعة والأمانة صفة العامل، سواء كان صاحب العمل يراه أو لا يراه «فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ لَمْ أَكُنْ عَبْداً لِلْمَسِيحِ» (غلاطية ١: ١٠). لصق البرص بجيحزي خادم النبي أليشع لأنه خدم خدمة العين، ولم يخدم الله! «**بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ، عَامِلِينَ مَشِيئَةَ اللهِ مِنَ الْقَلْبِ**» (آية ٦) فالمسيح هو الذي يراقب ويجازي. فلتكن الخدمة خدمة الأمانة والإخلاص لأن مشيئة الله هي الأمانة والإخلاص!

«**خَادِمِينَ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ كَمَا لِلرَّبِّ، لَيْسَ لِلنَّاسِ**» (آية ٧). بنية صالحة بدون حقد على السادة، وبدون تذمر على الله. وليخدموا كما للرب، فإن الرب هو سيدهم. وقد كان العبيد يذهبون إلى هيكل هرقل ويكرسون أنفسهم لخدمة الهيكل، وبهذا يحصلون على الحرية.. وكل من يصير عبداً للمسيح يصبح حراً في كل شيء. إذاً ليعمل العامل عمله كأنه سيعرض إنتاجه على الله، وكأن الله هو صاحب العمل، وهو الذي يعطي الأجر.

«**عَالِمِينَ أَنْ مَهْمَا عَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَيْرِ فَذَلِكَ يَنَالُهُ مِنَ الرَّبِّ**» (آية ٨). كان العبيد يشتغلون بدون أجر.. لكن الرسول يقول لهم إن الله سيعطيهم الأجر حسب عملهم، لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد منا كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً (٢كورنثوس ٥: ١٠). وسيسمع كل شخص أمين كلمات المدح: «نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ» (متى ٢٥: ٢٣).

«**مهما عمل كل واحد... عَبْداً كَانَ أَمْ حُرّاً**». في اليوم الأخير لا يسأل الله عن العبد والحر، لكنه سيسأل على من عمل الصالح أو الرديء: «لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (غلاطية ٣: ٢٨).

(ب) واجب السادة (آية ٩)

«وَأَنْتُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ، **افْعَلُوا لَهُمْ هَذِهِ الأُمُورَ**» أي كل ما أمر الله به العبيد يأمر به السادة، من العمل حسب الضمير، وإتمام إرادة الله، وبساطة القلب، وكما يريدون أن يفعلوا الناس بهم فليفعلوا هم أيضاً بهم هكذا. واجب الجميع واحد، هو السلوك الصالح سواء كانوا عبيداً أو سادة، أصحاب عمل أو عمال!

«**تَارِكِينَ التَّهْدِيدَ**». ليبطلوا الكلام القاسي، والتخويف الظالم، «عَالِمِينَ أَنَّ سَيِّدَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مُحَابَاةٌ». فإن الله سيد السادة وسيد العبيد «لأَنَّ فَوْقَ الْعَالِي عَالِياً يُلاَحِظُ، وَالأَعْلَى فَوْقَهُمَا» (جامعة ٥: ٨) ليس عنده محاباة، لأن السادة والعبيد واحد في نظره. وهو سيد في السماوات، قادر على كل شيء وهم مسئولون قدامه. وهو لا يحابي السلطة البشرية «وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ» (أعمال ١٧: ٢٦). هو يدين كل إنسان حسب عمله، ولا ينظر إلى فقره أو غناه، إلى حقارته أو عظمته! وعندما يشتغل كل عامل بأمانة، وعندما يتعامل كل سيد على أن الله يراقب ويجازي كل واحد حسب عمله عندها يكون المجتمع الجديد قد تأسس على أرضنا. وقتها نسمع بوعز صاحب العمل يقول للحصادين: «الرَّبُّ مَعَكُمْ» فنسمع جواب العمال «يُبَارِكُكَ الرَّبُّ» (راعوث ٢: ٤).

الفصل الحادي عشر

السلاح الكامل

(أفسس ٦: ١٠-٢٠)

«١٠أَخِيراً يَا إِخْوَتِي تَقَوُّوا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ. ١١الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ. ١٢فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ. ١٣مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا. ١٤فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ، ١٥وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلاَمِ. ١٦حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ. ١٧وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ. ١٨مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُوَاظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، ١٩وَلأَجْلِي، لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلاَمٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ فَمِي، لأُعْلِمَ جِهَاراً بِسِرِّ الإِنْجِيلِ، ٢٠الَّذِي لأَجْلِهِ أَنَا سَفِيرٌ فِي سَلاَسِلَ، لِكَيْ أُجَاهِرَ فِيهِ كَمَا يَجِبُ أَنْ أَتَكَلَّمَ».

بعد حديث الرسول بولس في الأصحاح الرابع عن ضرورة الوحدة المسيحية، وعن خلع العتيق ولبس الجديد، وبعد حديثه في الأصحاح الخامس عن السلوك في المحبة والنور والتدقيق، وبعد شرحه واجبات الزوجين، والأبناء والآباء، والعبيد والسادة.. بعد كل هذا تحدث عن الحرب الروحية.

كل الحديث عن السلوك المسيحي جميل ولكنه ليس سهل التطبيق، فإن المؤمن الأمين يلاقي مقاومة شرسة من عدوّه إبليس، كما يجد داخله صراعاً بين ميول الشر داخل نفسه، ويختبر هجمات الشرير ومكايده، ويبصر إبليس مثل أسد يجول ملتمساً من يبتلعه (١بطرس ٥: ٨).

وليس هذا غريباً، فإن المؤمن الذي تصرف التصرف العتيق الفاسد، كان يحيا مع إبليس، وإبليس لا يحارب جنوده. ولكن المؤمن الذي تغير وتجدد وسار مع الله، وخرج من عسكر إبليس يهدد مملكة إبليس، لذلك يقاومه إبليس.

عندما يهاجمك الشيطان أيها المؤمن اطمئن، لأن معنى هذا أنك مع الله. وقال أحد القديسين: «عند الله ابن وحيد بدون خطية هو المسيح، لكن هذا الابن الوحيد جرَّبه إبليس». والعالم كله

أرض معركة من حولنا، وفي داخلنا. ويجب أن نحتفظ بكل الامتيازات التي أعطاها الله لنا، فإن العدو يريد أن يأخذها منا. من أجل هذا ينصحنا الرسول ويقول:

«**أَخِيراً يَا إِخْوَتِي**» بعد أن سمعتم واجباتكم الروحية، التي جاءتكم نتيجة الامتيازات التي وهبتها النعمة لكم، «تَقَوُّوا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ» (آية ١٠). فأمامكم جهاد طويل، يحتاج إلى شدة قوة الرب. الحرب شديدة والمقاومة قوية، ولن ينفعكم فيها إلا شدة قوة الله! وبدون قوة الرب لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً، والرب مستعد لمعاونة جنوده، حتى يختبروا «مَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ» (أفسس ١: ١٩).

ويقدّم الرسول بولس لنا هذه القوة الروحية في تعبيرات كثيرة، فيقول: «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (فيلبي ٤: ١٣)؛ ويقول لتلميذه تيموثاوس: «وَلَكِنَّ الرَّبَّ وَقَفَ مَعِي وَقَوَّانِي، لِكَيْ تُتَمَّ بِي الْكِرَازَةُ، وَيَسْمَعَ جَمِيعُ الأُمَمِ، فَأُنْقِذْتُ مِنْ فَمِ الأَسَدِ» (٢تيموثاوس ٤: ١٧)؛ بل إنه يقول: « أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ» (٢كورنثوس ١٢: ٩).. هي شدة قوته التي تكمل الضعف، وتمنح المؤمن القدرة على الانتصار في الحرب.

وفي الحديث عن الحرب يتحدث الرسول عن العدو الذي نحاربه؛ ثم عن السلاح الذي ندافع عن أنفسنا به.

أولاً: العدو الذي نحاربه

(أفسس ٦: ١١، ١٢)

«الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ» (آية ١١)

عندما كتب الرسول بولس هذه الرسالة كان مسجوناً إلى جوار جندي يلبس سلاحه الكامل، ومن المنظر الذي أمامه رأى السلاح الروحي. رأى «سلاح الله» الذي يعطيه الله، سلاح النور (رومية ١٣: ١٢)؛ وسلاح البر (٢كورنثوس ٦: ٧). وهو سلاح الله «الكامل» الذي لا يترك المؤمن يتعرض للخطر، ولكنه يغطي كل جزء من جسمه. ولا بد أن يلبس المؤمن سلاح الله الكامل حتى يقدر أن يثبت «ضد مكايد إبليس» وحيله ماكرة التي تهاجم فجأة وبدون سابق إنذار. ولذلك يقول الرسول: «لِئَلاَّ يَطْمَعَ فِينَا الشَّيْطَانُ، لأَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ» (٢كورنثوس ٢: ١١). ومن مكايد إبليس أنه يجيئنا في شبه ملاك نور (٢كورنثوس ١١: ١٤، ١٥)؛ بل أنه يخدعنا بمعجزات كاذبة (٢تسالونيكي ٢: ٩). ومن مكايده أنه يحارب الناحية القوية فينا كما حارب موسى في حِلمه وطول أناته (عدد ٢٠: ١١)؛ ويحارب الناحية الضعيفة فينا كما حارب داود في شهوته (٢صموئيل ١١).

ويشرح الرسول أسباب طلبه أن نلبس السلاح الكامل، فيقول:
«**فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ**» فهي مع عدو غير منظور. وهي حرب روحية. صحيح أن إبليس يستخدم البشر آلات، لكنه عدو روحي، لا نراه، يصارع معنا مصارعة هي شدة الحرب، عندما يمسك كل محارب عدوه يحاول أن يفتك به. والمسألة هنا حياة أو موت. فليست الحرب لعباً، لكنها حرب حقيقية، يضيع فيها من الخاسر كل شيء.

هذا الصراع الروحي يلازمنا حيث نذهب، فإن القديس أنطونيوس أبا الرهبنة وجد الصراع الروحي في البرية كما وجده وسط مدينة الإسكندرية. والذي يصارع يضرب خصمه ويلكمه حتى يدمي وجهه، لذلك يجب أن نلبس السلاح الكامل، ونتقوى في الرب وفي شدة وقته.

ومصارعتنا الروحية «**مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ**» أصحاب المقام العظيم في عالم الشر، وهم يختلفون عن بعضهم في القوة والسلطان، ولكل واحد منهم رتبته تحت قيادة رئيس أعلى يدبر المكايد ويديرها. وهم منظَّمون في درجات يُعرَف رئيسهم الشيطان بأنه «إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ» (٢كورنثوس ٤: ٤) وهو «رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ» (يوحنا ١٦: ١١). ومصارعتنا «**مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ**» أصحاب السلطة على البشر الساقطين؛ وهي عَلَى «**ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ**» إذ يفصل الشيطان بين البشر وبين الله، فيبتعدون عن المنور ويحيون في الظلام. والشيطان يعمل دوماً في الظلمة. وقد قال المسيح للذين جاءوا للقبض عليه: «هَذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ» (لوقا ٢٢: ٥٣).

ومصارعتنا مَعَ «أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» هم كثيرون. «لجئون».. أرواح نجسة.. كانوا ملائكة وسقطوا «لأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللَّهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى مَلاَئِكَةٍ قَدْ أَخْطَأُوا، بَلْ فِي سَلاَسِلِ الظَّلاَمِ طَرَحَهُمْ فِي جَهَنَّمَ» (٢بطرس ٢: ٤). «وَالْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يَحْفَظُوا رِيَاسَتَهُمْ بَلْ تَرَكُوا مَسْكَنَهُمْ، حَفِظَهُمْ إِلَى دَيْنُونَةِ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ» (يهوذا ٦).

وأجناد الشر الروحية «**في السماويات**» يجتهدون أن يمنعونا من الوصول إلى السماء، وقوتهم غير محدودة بالأرض. ويقول القديس إيرونيموس: «السماء غير الأرض. والسماويات هي كل ما هو غير أرضي، وفوق الأرض، وفوق الأرض، وفوق قدرة البشر الطبيعية. هي العالم غير المنظور».

ثانياً: السلاح الذي نحارب به
(أفسس ٦: ١٣-٢٠)

«مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ» وفي هذا تكرار للطلب الذي جاء في آية ١١ بسبب أنكم ضعفاء؛ وأن أعداءكم كثيرون؛ ولأنهم يداومون الحرب ضدكم.. احملوا سلاح الله الكامل! «لأَنَّنَا وَإِنْ كُنَّا نَسْلُكُ فِي الْجَسَدِ، لَسْنَا حَسَبَ الْجَسَدِ نُحَارِبُ، ٤إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللَّهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ» (٢كورنثوس ١٠: ٣، ٤). «قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ» (رومية ١٣: ١٢) ولنستعمل السلاح الكامل «لليمين ولليسار» (٢كورنثوس ٦: ٧)، فإن هذا السلاح الكامل يغطي كل الجسد، ويستره كله. في روايات اليونان قصة البطل أخيل الذي أرادت أمه أن تحميه من سهام العدو، فأمسكته وهو صغير من كعبه وغطسته في الماء المقدس. ولم تقدر السهام أن تصيبه. لكن ذات يوم أصابه السهم في كعبه! وكان السبب أن الماء المقدس لم يعطِ الحماية للكعب الذي كانت الأم تمسك ابنها منه، فلم يكن تحصينه كاملاً.

لا بد أن نلبس السلاح الكامل حتى «تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ» واليوم الشرير هو اليوم الذي تجيء فيه تجربة الشرير والأشرار والشر. ويمكن أن نصِف كل زمن حياتنا على الأرض بأنه «شرير» لأننا معرَّضون للتجارب كل يوم. ويقول الكتاب إنه قبل مجيء المسيح ثانيةً ستشتدُّ التجارب، فيجب أن نلبس كل السلاح حتى نقدر أن نقاوم «فَقَاوِمُوهُ رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ، عَالِمِينَ أَنَّ نَفْسَ هَذِهِ الآلاَمِ تُجْرَى عَلَى إِخْوَتِكُمُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ» (١بطرس ٥: ٩).

* * *

«وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا» (آية ١٣)

بعد أن تستعدوا وتحتملوا الهجوم، كونوا راسخين، تعلنون للناس أنكم جنود المسيح، لأنه «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ» (لوقا ٩: ٦٢)، فيجب أن نثبت في أرض المعركة، ونواجه العدو. وسنرى في الأسلحة التي نستعملها أنه لا يوجد فيها سلاح يحمي الظهر. وهذا معناه أننا يجب أن نثبت في أماكننا ونقابل العدو بشجاعة.

والآن تعالوا نرى أسلحة المعركة..

(أ) منطقة الحق (آية ١٤)

«فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ»

والمنطقة هي الحزام.. والحقوان هما وسط الإنسان. والسلاح الأول هو أن يحزم الجندي وسطه بالحق. وكانت منطقة الجندي من الجلد، تغطيها صفائح صغيرة من الحديد، ويربط الجندي سيفه في منطقته، ويشد بها ثيابه لتسهل له الحركة.

ويحتاج الجندي المسيحي إلى الحق ليشد وسطه. والحق هو الأمانة والإخلاص والضمير الصالح. فقد جاء عن المسيا: «وَالأَمَانَةُ مِنْطَقَةَ حَقَوَيْهِ» (إشعياء ١١: ٥) ويقول الرسول بطرس: «مَنْطِقُوا أَحْقَاءَ ذِهْنِكُمْ» (١بطرس ١: ١٣). وليس شيء يشد المؤمن قدر إخلاصه للرب ولإخوته فالحق والأمانة هما حزام وسطه. فكن في الحق أيها الجندي، لأن الباطل والخيانة والضمير الشرير تهزمك في الحرب.

(ب) درع البر (آية ١٤)

«وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ»

والدرع قطع معدنية مرتبطة معاً بطريقة تسمح لها بالحركة، وهي تغطي صدر الجندي من الرقبة حتى الوركين. وهي تحمي الجندي من ضربة السيف، وتحفظه من أن يُصاب بحربةٍ أو بسهم. ودرع المؤمن هو درع «البر». والبر هو الاستقامة والعدل. فيجب أن نسلك باستقامة، ونعطي كل صاحب حق حقه. عندما سمع الفيلسوف اليوناني أفلاطون أن واحداً ينتقده قال: «سأحيا في صلاح حتى يظهر كذب هذا الافتراء ضدي». وخير سلاح يحمينا هو الاستقامة في السلوك، وإعطاء الله حقه وإعطاء البشر حقهم، فكن مستقيماً وعادلاً.

(جـ) حذاء البشارة المفرحة

«وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلاَمِ» (آية ١٥)

كان الجندي يلبس حذاءً في نعله مسامير حتى تثبت خطوته، وتمكّنه من أن يصعد وينزل دون أن ينزلق. والحذاء يسهل له خوض المياه والسير على الأحجار والصخور، والجري بسرعة. كما أنه يحمي قدميه من أشواك الطريق، ويسهل حركته السريعة. وعلى المسيحي أن يكون مستعداً للجري بسرعة لتوصيل خبر الإنجيل المفرح إلى كل من يحتاج. والخدمة تقوي الخادم، فليس شيء يرفع حياتنا الروحية مثل خدمتنا للرب، وربحنا للنفوس، لأن رابح النفوس حكيم.

ومطلوب من الجندي المسيحي سرعة الجري بسرور لإعلان الإنجيل الذي موضوعه سلام الله. وإنجيل السلام يعطينا الاستعداد للخدمة والحركة والنشاط، فيُقال: «هُوَذَا عَلَى الْجِبَالِ قَدَمَا مُبَشِّرٍ مُنَادٍ بِالسَّلاَمِ» (ناحوم ١: ١٥). وكما كان بنو إسرائيل يأكلون الفصح وأحذيتهم في أرجلهم، لنلبس أحذيتنا استعداداً لحركة الحرية من عبودية الشر، وحركة الشهادة بفضل الذي أعطانا الحرية (خروج ١٢: ١١).

(٤) ترس الإيمان (آية ١٦)

«حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ».

الترس بيضاوي الشكل، مصنوع من خشب يغطيه الجلد. وفي ظهره مشبك من الجلد ليمسكه الجندي منه بيده اليسرى. والمجن هو الترس الصغير.

وفي زمن الحرب كان الأعداء يصوّبون نحو الجندي سهاماً ملتهبة، فيها شعلة من نار. فكان يحرك الترس حتى يصطدم به السهم المشتعل، فينغرز فيه وينطفئ. وفائدة الترس أنه يحمي الجندي من السهام التي تجيئه من أي ناحية. أما الترس الذي يحمي الجندي المسيحي فهو الإيمان.، أي الثقة في الله، والاتكال عليه. والعدو «يَجْعَلُ سِهَامَهُ مُلْتَهِبَةً» (مزمور ٧: ١٣) يضرمها من جهنم. لكن ثقتنا الكاملة في الرب تحمينا، فنقول: «لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ» (٢تيموثاوس ١: ١٢). وقد قال لإبراهيم: «لاَ تَخَفْ يَا أَبْرَامُ. أَنَا تُرْسٌ لَكَ» (تكوين ١٥: ١). وكان إيمان إبراهيم هو الترس الذي حماه وحفظه من الشكوك والمخاطر. ونقرأ عن أبطال الإيمان أنهم «أَطْفَأُوا قُوَّةَ النَّارِ، نَجَوْا مِنْ حَدِّ السَّيْفِ، تَقَوَّوا مِنْ ضُعْفٍ، صَارُوا أَشِدَّاءَ فِي الْحَرْبِ، هَزَمُوا جُيُوشَ غُرَبَاءَ» (عبرانيين ١١: ٣٤). فحين يطلق إبليس عليك سهماً من نار، اطلب إلى الله أن يزيد إيمانك، فينطفئ السهم الناري، ولا يؤذيك «وَهَذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا» (١يوحنا ٥: ٤)..

(هـ) خوذة الخلاص (آية ١٧)

«وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ»

والخوذة تغطي رأس الجندي، فتحميه من الخطر. وقد جاء عن المسيا: «وَخُوذَةَ الْخَلاَصِ عَلَى رَأْسِهِ» (إشعياء ٥٩: ١٧). والخلاص من الماضي بغفران الخطية؛ وهو في الحاضر بتطهيرنا وتقديسنا؛ وهو في المستقبل بدخولنا السماء. هذا الخلاص يرفع رأسنا بالرجاء المبارك، لأننا قد انتقلنا من ملكوت الشيطان إلى الله، وعظُم انتصارنا بالذي أحبنا. «نَحْنُ الَّذِينَ مِنْ نَهَارٍ، فَلْنَصْحُ لاَبِسِينَ دِرْعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ، وَخُوذَةً هِيَ رَجَاءُ الْخَلاَصِ» (١تسالونيكي ٥: ٨). هل يهجم إبليس على رأسك بأفكار وشكوك؟ قُل له إنك مخلَّص بالنعمة: «لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ» (أفسس ٢: ٨).

(و) سيف الروح (آية ١٧)

«وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ»

والسيف هو السلاح الوحيد الذي يصلح للدفاع كما يصلح للهجوم.. فإن كل الأسلحة التي ذكرها الرسول هي للدفاع فقط.

يسمّيه «سيف الروح» لأن روح الله هو الذي صنعه، و«لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ، وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ

الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ» (عبرانيين ٤: ١٢). وقد جاء عن المسيا: « يَضْرِبُ الأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ» (إشعياء ١١: ٤) كما جاء عن المؤمنين: «تَنْوِيهَاتُ اللهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ فِي يَدِهِمْ» (مزمور ١٤٩: ٦) لأن كلمة الله هي سيف عظيم ندافع به، ونهاجم أيضاً.
حارب المسيح إبليس وانتصر عليه وهو يقول: «مَكْتُوبٌ» (متى ٤: ٣-١٠) وكان له النصر. صحيح أن الكتاب المقدس هو الذي يحفظنا من الخطية بعمل الروح القدس.

(ز) الصلاة (آيات ١٨-٢٠)

«مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ» (آية ١٨)

ما هي فائدة كل هذه الأسلحة بدون الصلاة؟ لن نستطيع الاستفادة منها كلها إلا إن كنا نصلي. والصلاة هي شركة المحبة مع الله، أما الطِّلبة فهي الطلبات التي نطلبها منه. والصلاة تحتوي على الطلبة، لأن الصلاة فيها تسبيح؛ وشكر؛ علاوة على الطلب. وعلى كل مؤمن أن يصلي ليخاطب الله، حتى لو لم يكن هناك شيء يطلبه. وحين نصلي نحيا في الجو المناسب الذي فيه ننتصر في حربنا الروحية، فالصلاة هي الجو المناسب الذي نحيا فيه، فيجب أن تكون:
(١) «**كُلَّ وَقْتٍ**»: باستمرار، فإنه «يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ» (لوقا ١٨: ١). «صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ» (١تس ٥: ١٧) فإن الشيطان لا يقدر أن يغلب المؤمن الراكع.
(٢) «**فِي الرُّوحِ**»: بإرشاده وفعله في القلب «وَكَذَلِكَ الرُّوحُ أَيْضاً يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا، لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلَكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا» (رومية ٨: ٢٦). ويقول الرسول: «بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً: «يَا أَبَا الآبُ» (غلاطية ٤: ٦). ويقول الرسول يهوذا: «مُصَلِّينَ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ» (يهوذا ٢٠).
(٣) «**ساهرين**»

«وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُوَاظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ»

على المؤمن أن يستيقظ ويقوم من نوم الكسل فيضيء له المسيح (أفسس ٥: ١٤)، ويحترس من أن يغفو كما نام التلاميذ في البستان (متى ٢٦: ٤١). «مُوَاظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ» (رومية ١٢: ١٢) مثل حنة بنت فنوئيل التي صرفت أربعاً وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وصلوات ليلاً ونهاراً (لوقا ٢: ٣٧).

(٤) لأجل الجميع

«لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، وَلأَجْلِي»

مصلين لأجل الجنود رفقائنا، فإن صراع الشيطان ليس ضد مؤمن واحد، بل ضد كل شعب الله، ولذلك يجب أن نصلي لأجل الجميع. ويطلب الرسول منهم الصلاة لأجله «لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلاَمٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ فَمِي». هذا الرسول القدير في كلمة الله، الذي أعلن له الله أسرار ملكوته،

يطلب صلاة المؤمنين لأجله حتى يعرف كيف يتكلم! كان دوماً متقدماً في الكلام (أعمال ١٤: ٢١) لكنه يحتاج للصلاة. فكم يحتاج رعاة الكنائس في أيامنا هذه للصلاة؟!

وهو يطلب الصلاة حتى «يُعْلِمَ جِهَاراً بِسِرِّ الإِنْجِيلِ» فيوضح الحقائق العميقة التي كانت مستورة عن البشر إلى أن أعلنها الله لهم بروحه القدوس.

ويعلن الرسول حاجته للصلاة، فيقول عن الإنجيل: «الَّذِي لأَجْلِهِ أَنَا سَفِيرٌ فِي سَلاَسِلَ» فالسفير يمثِّل ملك بلاده في دولةٍ أجنبية. ويقول الرسول: «نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا» (٢كورنثوس ٥: ٢٠). فهو سفير يقدم كلام الله، لكنه أسير في سلاسل، يحتاج لإرشاد الرب وقوته حتى «يجَاهِرَ فِيهِ كَمَا يَجِبُ أَنْ يتَكَلَّمَ».

عدونا الشيطان، وسلاحنا سلاح كامل. فلنحارب مصلين بكل صلاة وطلبة لأجل نفوسنا، ولأجل الجميع!

الفصل الثاني عشر
خاتمة الرسالة
(أفسس ٦: ٢١-٢٤)

«٢١وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ أَيْضاً أَحْوَالِي، مَاذَا أَفْعَلُ، يُعَرِّفُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ تِيخِيكُسُ الأَخُ الْحَبِيبُ وَالْخَادِمُ الأَمِينُ فِي الرَّبِّ، ٢٢الَّذِي أَرْسَلْتُهُ إِلَيْكُمْ لِهَذَا بِعَيْنِهِ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَحْوَالَنَا، وَلِكَيْ يُعَزِّيَ قُلُوبَكُمْ.
«٢٣سَلاَمٌ عَلَى الإِخْوَةِ، وَمَحَبَّةٌ بِإِيمَانٍ مِنَ اللهِ الآبِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. ٢٤اَلنِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. آمِينَ».

هذه الآيات الأخيرة في هذه الرسالة العظيمة هي الإشارة الشخصية الوحيدة فيها، فقد أرسل الرسول بولس تيخيكس إلى أفسس حاملاً هذه الرسالة، وكلَّفه حين يزورهم أن يروي لهم كل شيء عن أحوال الرسول، ويشجعهم ويعزي قلوبهم برسالة الرب، وبأخبار تقدم الإنجيل.
ونحن لا نعرف الكثير عن تيخيكس، إلا أنه مسيحي من آسيا كان موجوداً مع بولس الرسول في روما يساعده أثناء وجوده في السجن. ويظهر أنه كان مندوب كنيسته في توصيل العطايا التي جمعها المؤمنون ليقدموها إلى المسيحيين الفقراء في أورشليم (أعمال ٢٠: ٤). ويقول التقليد إن تيخيكس صار أسقفاً فيما بعد. وليس غريباً أن الأخ الحبيب والخادم الأمين يقوم برعاية رعية المسيح التي اقتناها بدمه.
ويختم الرسول رسالته بإرسال السلام للإخوة في أفسس، فيقول: «سَلاَمٌ عَلَى الإِخْوَةِ» هذا السلام يرسله من قلب محب مؤمن «وَمَحَبَّةٌ بِإِيمَانٍ». ومصدر هذا السلام الصادر من قلب محب مؤمن هو «الآبِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ».
وبعد سلامه يقول لهم: «اَلنِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ فِي عَدَمِ فَسَادٍ». فنعمة الله تشمل صاحب القلب المحب للمسيح محبة طاهرة، لا فساد فيها ولا رياء. وهي محبة خالية من عناصر الفساد!
وتُختَم الرسالة بالقول: «آمين». أي: نعم يا رب. ليكن هكذا. لتكن النعمة لكل من يحبك بالحق. وكما بدأ الرسول رسالته طالباً لهم النعمة والسلام، يختمها بالسلام. وهذا هو السلام الذي نرجوه لك أيها القارئ العزيز.